المقالات المفيدة
في
التوحيد والفقة والأخلاق والعقيدة

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد منَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليَّ بإلقاء بعض النصائح للمسلمين في شهر رمضان من عام ١٤٣٩هـ، ثم فرغها بعض المحتسبين جزاه الله خيرًا ونفع به فرأيت أن اجهزها للطباعة لعل الله أن ينفع بها أكثر، وقد زدت عليها بعض ما رأيته نافعا من غيرها، وأسميتها «المقالات المفيدة في التوحيد والفقة والأخلاق والعقيدة»، فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعبادة مؤدية إلى مرضاته، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

١٧/ شوال/ ١٤٣٩هـ

الفائدة الأولى:
النصيحة الهندية، بملازمة توحيد رب البرية

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

في هذا اليوم السابع والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٤٣٩هـ، تلبيةً لطلب أخينا أبي داود الهندي حفظه الله، وأصلح ذريته، بكلمةٍ مختصرةٍ فيها الحث على التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد، أقول مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ:

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق عباده لتوحيده، فقَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦].

وأرسل الرسل من أجل توحيده، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥].

وأنزل كتابه لذلك؛ فقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد:٢٥].

وأعظم القسط أن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يفرد بما هو له تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

وخلق الجنة وأعدها للموحدين، قال النَّبِيُّ ﷺ كما في حديث عُثْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

وخلق النار وأعدها للمشركين، فقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة:٧٢]، وقَالَ تَعالَى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر:١٨]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [آل عمران:١٩٢]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:١١٦]، فالشرك لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ.

وأمر بعبادته، وحذر من الشرك، فقال عَزَّوَجَلَّ:{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء:٣٦]، وقَالَ تَعَالَى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء:٢٣]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [الأنعام:١٥١].

في آيات غيرها يحث الله عَزَّوَجَلَّ على التوحيد ويحذر من الشرك والتنديد، فمن آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا ونبيًا، واستقام على هذا الإيمان ظاهرًا وباطنًا؛ فهو المسلم حقًا، وهو الذي يذوق طعم الإيمان وحلاوته.

أما من أشرك وندد؛ فإنه على خطرٍ عظيمٍ، وذنبٍ جسيمٍ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»(١) قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ * وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦١)، ومسلم (٨٦).

أَثَامًا} [الفرقان: ٦٨].

وقال النَّبِيُّ ﷺ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في «الصحيحين»: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(١).

وأعظم حسنةٍ، حسنة التوحيد لا يبطلها شيء من الأعمال إلا الشرك، وإلا فهي محفوظة للعبد يجدها في حال الحاجة إليها يدخله الله عَزَّ وَجَلَّ، ويكرمه بها الجزاء الأوفى، كما في حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ** »، قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**».

والشرك قد تنوعت طرقه وأساليبه ليس فقط ما عليه اليهود، والنصارى، والبوذيون، والهندوس، ومن جرى مجراهم ولكن كذلك وقع فيه كثير ممن يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ لأنه ما علم معنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وما استقام على معنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وإنما قالها بلسانه وأعرض عنها بقلبه وجوارحه فلم تكن نافعة له فقد

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

(٢) برقم (٢٦٣٩).

قالها المنافقون ولم تنفعهم؛ بل إنهم: {فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء:١٤٥].

ومعنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، لا معبود بحق إلا الله، قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج:٦٢].

* **ومعناها**: الكفر بالطاغوت، والبعد عن كل ما يناقض التوحيد، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٥٦].

فمن الشرك المنتشر في بلاد الإسلام ويظنه أهله تعظيمًا للأولياء وإنزالهم المنازل التي أنزلهم الله، هو ما يقوم به الكثير من دعاءهم، والنذر لهم، والذبح لهم، والطوف في قبورهم، والخوف منهم، والتوكل عليهم، والرهبة، والرغبة، والاعتماد، والحلف بهم، إلى غير ذلك مما يتعاطاه عباد القبور الذين بنو عليها القباب، وزخرفوها، وشيدوها، وجعلوا المواسم لزيارتها، والطواف بها، ونذروا لها النذور، وذبحوا بساحاتها الجزور، فظهر شركٌ عميمٌ، وشرٌ مستطيرٌ في كثير من بلاد الإسلام؛ فإذا ما أنكر عليهم أحدٌ هذا الشرك الذي وقعوا فيه، والذي لو خرج رسول الله ﷺ لقاتلهم عليه، وإذا بهم يتهمونه بالتشدد، والتنطع، وعدم تعظيم الأولياء، وغير ذلك.

فالتوحيد شأنه عظيم: وهو أن تعبد الله مخلصًا له الدين لا تشرك معه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا فحقه خاص به.

وفي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»(١) قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ**

(١) البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى اللهِ؟» قَالَ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا**».

فلا تشرك به في قولك، ولا فعلك، ولا اعتقادك؛ فإن الشرك يقع بها جميعًا كما أن الإيمان والطاعة تقع بها جميعًا، فطاعة القلب الإخلاص، والتوكل، والإنابة، والخشية، والرهبة، والرغبة.

ومعصية القلب وشركه، كالخوف من غير الله خوف عبادة أو ما يسمى بخوف السر، والمحبة لغير الله محبة عبادة، وكذلك التوكل والاعتماد على غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في جلب المنافع ودفع المضار.

والشرك باللسان كدعاء المقبورين يا عبد القادر، يا جيلاني، يا عيد روس، يا محمد، يا علي إلى غير ذلك من الأدعية، ومثله الحلف بمحمدٍ، وعلي، وعبد القادر، ونحو ذلك.

هذا من الأمور التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ لأنها شرك عظيم، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٣٣].

فمن أشرك بالله شركًا أكبر ومات على ذلك صار مخلدًا في نار جهنم، وليس بنافعه قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» إذ لم يعمل بمقتضاها، ويحقق معناها فقد فهمها المشركون الأولون وأبو أن يقولها، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات:٣٥]، وقالها المشركون المتأخرون وناقضوها، فهم

يقولون في أذاناتهم: أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ويقولون ذلك في أذكارهم؛ ولكن الواقع أنهم يخالفونها قولًا، وفعلًا، واعتقادًا أو ببعضها.

ومن كان هذا حاله فيجب عليه التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} [الانفال:٣٨].

ومن لم يكن هذا حاله كان من الموحدين؛ عليه أن يحمد الله عَزَّوَجَلَّ على نعمة الإسلام، والاستقامة، والسنة؛ فإن كثيرًا من الناس زلت بهم الأقلام، وزلقت بهم الأقدام؛ بسبب الجهل بالتوحيد، وعدم معرفة الشرك والتنديد؛ فالواجب على المسلم أن يتعلم العلم الشرعي وأن يعلم غيره.

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ ❁❁❁ لَكِـــنْ لِتَوَقِّيـــهِ
وَمَـنْ لَمْ يَعْـرِفِ الشَّـرَّ ❁❁❁ مِـنَ النـاسِ يقـعْ فيـهِ

وعلينا أن نهتم بعلم التوحيد وتعليمه، ولا يكون حالنا كحال الحزبيين ومن إليهم الذين يُزَهِّدون في هذا الجانب، ويقول بعضهم: التوحيد يمكن أن يُعرف ويُعلم بمجلس أو بربع ساعة!، التوحيد دعا إليه رسول الله ﷺ منذ بعثه الله عَزَّوَجَلَّ وحتى قبضه الله عَزَّوَجَلَّ.

* **فهو أول الأمر**: ففي حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

* **وآخر الأمر**: كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[(١)]، وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقِّنُوا هَلْكَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[(٣)].

وجاء من فعله ﷺ حين دخل على الغلام اليهودي، ففي البخاري[(٤)] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»، وفي رواية لأحمد، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا فُلَانُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[(٥)].

وحين دخل على عمه أَبِي طَالِبٍ، ففي «الصحيحين»[(٦)]، عَنِ الْمُسَيِّبِ بْنِ حَزْنٍ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٧).

(٣) أخرجه النسائي (١٩٦٦)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

(٥) أخرجه أحمد (١٢٧٢٩)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} [التوبة:١١٣] الآيَةَ.

لكن تقدم أنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ فحبك، ونذرك، ودعاءك، يجب أن يكون لله، كما أن الصلاة، والصيام، يجب أن تكون لله عَزَّوَجَلَّ.

ولا تطف بقبرٍ، ولا تدعوه ولا تتمسح باتربة الموتى؛ فهم فقراء إلى الله عاجزون عن النفع والضر، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [الأحقاف:٤].

وقَالَ تَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ:٢٢].

ففي هذه الآية بيان عجز الأصنام، والانداد عن النفع، والضر من جميع الجهات.

والله الموفق إلى سواء سبيل.

الفائدة الثانية:

بيان الدليل الصريح في إثبات صفة النزول لله عَزَّوَجَلَّ

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ متصف بالصفات الفعلية الاختيارية:

قَالَ تَعَالَى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج:١٦]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام:١٥٨]، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} [البقرة:٢١٠]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا} [الفرقان:٢٥]، أي: استعدادًا لنزول الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢٢].

وينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «الصحيحين»، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»**، متفق عليه(١).

فهذا حديث خرجه كثير من أصحاب الكتب المصنفة كالمسانيد والجوامع، وهو العمدة في إثبات هذه الصفة.

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وجاء من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»(١) الحديث.

وذكر الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند» حديث رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ - يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» الحديث، وقد اختُلِفَ فيه بين محسنٍ ومعلل له، وهو مذكور في «نقض عثمان الدارمي على المريسي»(٢).

وأيضًا جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَنْ أَبِي مُوسَى، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أحاديث كثيرة في الباب؛ حتى ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الصحابة الذين رَوَوا حديث النزول قريب من ثمانيةٍ وعشرين صحابيًا.

ويستدل العلماء على ذلك بحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في «صحيح مسلم»(٣): «وَإِنَّ [الله تعالى] لَيَدْنُو - عشيَّةَ عرفَة - ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟».

ويستدلون بحديث عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»(٤). بهذا اللفظ.

وهنا مسائل: المسألة الأولى؛ هل يلزم من إثبات النزول الحركة، والإنتقال، أم لا يلزم؟

ذهب الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «نقضه على المريسي» إلى إثبات الحركة، والإنتقال،

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٦٧٣)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) (٢١٢).

(٣) برقم (١٣٤٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٧٩)، وهو حديث ثابتٌ ومخرج في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

وشدد على من نفاهما، والصحيح في هذه المسألة وما في بابها من الحد، والغاية والجهة، والحيز، والحركة، والإنتقال؛ أننا نقول: ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ نفيناه مع إثبات كمال الضد، فالنبي ﷺ جاء بلفظ: «**يَنْزِلُ**»، وجاء بلفظ: «**يَهْبِطُ**»، وجاء بلفظ: «**يَدْنُو**»، وجاء بلفظ: «**يقرب**»، فنثبت هذه الألفاظ على ما جاءت مع إثبات معانيها الحقه.

قضية يخلو منه العرش، أو لا يخلو منه العرش؟!، أو بحركة وانتقال، أو بغير حركة وانتقال؟!، هذه لم تأتي في الكتاب والسنة إثباتًا، ولا نفيًا فنتوقف فيها، وهذا مذهب الذهبي، وأظنه لابن القيم أيضًا، وابن قدامة، والشيخ ابن عثيمين، وعليه كذلك مشائخنا، وعليه كثير من المتقدمين، والمتأخرين.

* بقي هل يقال ينزل بذاته، أم نقول ينزل ويكفي؟

ينزل، قالوا: لو قلنا ينزل بذاته لقلنا يسمع بذاته، ويبصر بذاته، ويعلم بذاته، يخلق بذاته؛ والسلف لم يكونوا يستطردون هذا الاستطراد، مع أن بعضهم قد قال: ينزل بذاته وبَدعه بعضهم، ولا يصل لحد البدعه، ولكن يصل إلى أنه قولٌ غيره أحسن منه.

وقد نظم ابن الجوزي الأبيات ليدلل على أن بعضهم يقول: ينزل بذاته:

أَدْعُوكَ وَلِلْوَصْلِ تَأْبَى ❁❁❁ أَبْعَثُ رَسُولِي فِي الطَّلَبِ
أَنْزِلُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي ❁❁❁ أَلْقَاكَ فِي النَّوْمِ

* مسألة: صفة النزول يثبت بها صفة العلو

لأن النزول يكون من أعلى، والأدلة على صفة العلو كثيرة في الكتاب

والسنة منها، قَول اللَّهُ تَعَالَىٰ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:١].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل:٢٠].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠]، إلى غير ذلك مما يأتي إن شاء الله.

*** وعندما نقول ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا لا يلزم أن السماء تُقِله، أو تُظِلُّه؛ بمعنى أن السماء الثانية تكون فوقه، والسماء الدنيا تكون حاملة له،** ولا يجوز اعتقاد هذا؛ لأن الكرسي أعظم وأعظم وأعظم من السموات والأرضين، والله عَزَّوَجَلَّ لا يحل في شيء من مخلوقاته؛ ولكن جاءت الأحاديث بإثبات النزول نثبته مع البعد عن هذه اللوازم، فلا يعتقد أن السماء تُظِلُّه، أو تُقِلُّه فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الغني الحميد الواسع الكبير.

*** ونفى النزول المبتدعة** من أمثال المعتزلة، والجهمية، والأشاعرة، ومن سلك سبيلهم من الإباضية، والرافضة، ومن إليهم.

وقالوا: الذي ينزل هو الرحمة، أو الأمر، أو ملك من ملائكة الله؛ ورد عليهم بأنه لا يقول قائل، ولا عاقل، أن الذي يقول: من يدعوني؟، من يسألني؟، من يستغفرني؟ هي الرحمة، أو الأمر، أو الملك؛ لأن هذا خطاب من الله عَزَّوَجَلَّ: «**لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنِ الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ**»(١)، والمعلوم أن الذي يستجيب الدعاء هو الله عَزَّوَجَلَّ، «**مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ**»، والمعلوم أن الذي يفرج الكرب، ويقضي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٢١٥)، عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الحاجات هو الله عَزَّوَجَلَّ، «**مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران:١٣٥].

هذه بعض الفوائد المتعلقة بهذه المسألة، وقد ألف فيها أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة حققها أخونا الشيخ صادق البيتي، وحققها الشيخ حامد الفقِّي.

والله المستعان.

الفائدة الثالثة:

آداب استقبال شهر رمضان مع بيان بعض فضائل الشهر المبارك

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

كثير من الناس يتسألون، ويتراسلون فيما يُستقبل به رمضان، وأحسن ما يُستقبل به رمضان العلم لمن كان جاهلًا بأحكام الصيام؛ فينبغي له أن يتعلم كيف يصوم كما صام رسول الله ﷺ، فإن أفضل الأعمال العمل الذي يكون خالصًا لله عَزَّوَجَلَّ، وعلى طريقة رسول الله ﷺ.

ومن جهل شيئًا عاداه، فكثير من الناس يتنكر للسنن التي في رمضان بسبب جهله، فيرى تأخير الفطور مع أن السنة التعجيل، ويرى تعجيل السحور مع أن السنة التأخير، وربما رأى عدم جواز السواك في نهار رمضان، أو بعد الظهر من رمضان.

فمن أراد أن يستقبل الشهر استقبالًا صحيحًا، فليتعلم كيف كان يصوم النبي ﷺ.

* الأمر الثاني: التوبة، والاستغفار، فإن الذي يثقل الإنسان عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ويفتره الذنوب والمعاصي، فإنها ثقيلة على القلب، والبدن، ويعجز الصحيح عن كثير من العمل الصالح، فلا أفضل من التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغفار قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١].

قَالَ تَعَالَى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه:٨٢].

فالفلاح بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلنستغفر من ذنوبنا، ولنتحلل من مظالمنا، ونرجع إلى ربنا فإنه هو التُّواب؛ فإذا فعلنا ذلك انشرح الصدر، وتيسرت العبادة، وقوي البدن، قَالَ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود:٥٢].

ويضاف إلى ذلك الاستعانة بذكر الله. والإكثار من ذكر الله، قَالَ تَعَالَى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت:٤٥].

فكلما ذكر العبد ربه اطمئن قلبه، وازداد إيمانه، وعلت درجته، وحصل له الخير العظيم، وذكره الله فيمن عنده.

❀ ❀ ❀

وجاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»(١).

* **قد يقول قائل**: نحن نرى أنَّ كثيرًا من الشرور تقع في رمضان، إذن الشياطين موجودة تفرق بين النَّاس، وتحرش بينهم كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(٢).

* **فكان الجواب**: أنَّ التي تُصفد هي مردة الجن، والحديث على ظاهرة، ويبقى مما يؤُز على المعاصي، النفس الأمارة بالسوء، والقرين، وعوام الشياطين، وشياطين

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٢) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإنس، نسأل الله السلامة والعافية.

لكن الواقع أن الخير يكثر في رمضان، ويقبل الناس على العبادة، حتى تارك الصلاة تراه يهرع إلى المسجد للصلاة، والمضيع لكثير من الحقوق تراه يبادر إلى أداء الحقوق، ويجد الإنسان انشراحًا في الصدر، وطمانينةً في القلب، وتلذذًا بالعبادة فهو شهر مبارك.

✿ ✿ ✿

والوصية لنفسي أولا، ثم لكم باغتنام هذا الشهر بقراءة القرآن، والتوبة، والاستغفار، والإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والإكثار من أوجه الخير من بذل، أو نفقة، أو غير ذلك.

فإن هذا شهرٌ عظيمٌ، وشهرٌ مباركٌ، وشهرٌ كريمٌ، اختصه الله عَزَّوَجَلَّ بإنزال الكتاب، واختصه الله عَزَّوَجَلَّ بفرض الصيام فيه، واختصه الله عَزَّوَجَلَّ بالعشر الآواخر منه التي هي أفضل ليالي العام، واختصه الله عَزَّوَجَلَّ بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، قَالَ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص:٦٨].

وأنصح كل مسلم أن لا يفرط في قيام ليلة من لياليه، لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، متفق عليه(١).

ولو أن يصلي ركعة، وأكمله إحدى عشر ركعة، وأكمله أن يقوم في الثلث الأخير من الليل، وأكمله أن يكثر من قراءة القرآن فيه.

إلا إذا صلى التراويح فإن وقتها المختار بعد صلاة العشاء مباشرة.

وأنصح كل مسلم أن لا يفوته قيام العشر الآواخر من رمضان؛ فإنها عشر

---

(١) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قليلات معدودات، وإن أعان الله على صيامها، وقيامها، وتقبلها، صار صاحبها من السعداء عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وأنصح كل مسلم بصيام هذا الشهر كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وكما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه(١).

والإكثار من الدعاء بالثبات على دين الله، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ، والإكثار من الدعاء في إصلاح الراعي، والرعية، والإكثار من الدعاء بأن يدمر الله عَزَّوَجَلَّ على الكافرين، وأن يلعنهم، ويبعدهم، ويكفي المسلمين شرهم، وهي أيام معدودات يمضي الشهر من حيث لا نشعر.

❁ ❁ ❁

أخرج الإمام الترمذي في «جامعه»(٢)، وجاء عند غيره، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**».

هذا الحديث عباد الله فيه بيان من رسول الله ﷺ لعظم هذا الشهر، ومنزلته بين المسلمين، كما أنه عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ إذا أنه يصفد الشياطين: وهم

(١) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) برقم (٦٨٢).

مردة الجن، وقيل: يصفد العتاه منهم وليس كل الشياطين، وقيل: بأنه يصفدهم ويبقى الشيطان الأكبر؛ لأن الله قد وعده بالنُظْرَةِ إلى يوم الدين.

والذي نهتم به أن الله عَزَّوَجَلَّ يُصفدُ الشياطين، ونرى ذلك في أنفسنا، فتسهل عندنا العبادات، ويسهل عندنا الطاعات، ويحب المسلم القربات.

انظر إلى نفسك يا عبد الله، ربما قبل أيام ما تستطيع أن تدخل المسجد، ربما تكون مشغولًا بدنيا، أو كسل عن طاعة، وهذه الأيام سبحان الله يجد الإنسان من نفسه نشاطًا، وقوةً، وراحةً، وطمأنينةً.

ثم إن الصلاة أخف من الصيام في شأن المشقة، ومع ذلك تجد كثيرًا من الناس يضعفون عنها، ويُفرطون فيها؛ بسبب تسلط الشياطين عليهم، فإذا جاء رمضان صاموا، وصلوا، وقاموا، وبادروا إلى الطاعات، وهذا يدل دلالةً واضحةً أن الشياطين تصفد، ولم يبقَ إلا من كانت نفسه خبيثة من الداخل لا يستجيب.

وإلا إذا صُفدت الشياطين أقبل المسلمون على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ رجالًا، ونساءً، وصغارًا، وكبارًا.

حتى أننا نرى صغار السنِّ يصومون، وفي الأيام العادية تقول له: ياولد صلِ يشرد منك هنا، ويشرد منك هنا.

وفي هذه الأيام تقول له: يا ابني أخشى عليك من الجوع، قال: لا أنا سأصوم. يا ابني أرقد قال: لا أنا سأسهر وأصلي معكم؛ لأن الشياطين التي تثبط الإنسان عن الطاعة مقيدة بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه أيضًا أن أبواب النار تغلق، سبحان الله! بركة عظيمة تغلق أبواب النار، وطرق النار، ومداخل النار على المسلمين، فعند ذلك يجد المسلمون طريق

الجنة مفتوحًا فيسلكونه، وتفتح أبواب الجنة فلا يبقى منها بابًا مغلقًا.

فالبدار البدار، ولهذا قال النبي ﷺ في نفس الحديث بعد أن ذكر تصفيد الشياطين، فينادي منادي الله أعلم ملك من ملائكة الله، أو كما أراد الله: «**يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ**»، أي: يامريد الخير أقبل على الطاعة، وأقبل على ما يحب الله عَزَّوَجَلَّ، أقرأ القرآن، أعمل بالسنة، حافظ على الصلوات، استغل الفرصة قوي نفسك في هذه الأيام إذا انتهى رمضان وجاءت الشياطين تجد أنك قويًا لا تستطيع التأثير عليك، تفتح أبواب النار تجد أنك قويًا بعون الله لا تريد أن تسلك سبيلها.

* نعم «**يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ**»؛ يا مريد الخير لنفسك، ولزوجك، ولابنك. يا مريد الخير في الدنيا، والآخرة أقبل على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

* «**وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»؛ يا من أنت تريد الشر وترغب فيه قَصِّر على نفسك، وابتعد عن هذا الفعل القبيح الذي سيفسد عليك الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة.

انظروا إلى هذا الترغيب، من الله الغني الحميد، الله الذي لو اجتمع من في السموات والأرض على الكفر ما ضروه، ولو اجتمع من في السموات والأرض على الطاعة ما زادوه، وهو الغني الحميد.

كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ**

فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

الله غنيٌ حميدٌ، ومع ذلك يقول لك: «يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ»، من أجل نفسك لا من أجله؛ فاشترِ نفسك من الله. «وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»، من أجل نفسك.

«وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» أيها المسلم، نحن نعرف أن لله عتقاء، ونؤمن بذلك كإيماننا بأن دون اليوم أمس؛ لأن خبر النبي ﷺ صدق، ووعده حق، لكن هل علمنا أن الله قد أعتقنا؟ ما علمنا بذلك.

إذًا لماذا لا نبادر إلى الطاعة، والقربه حتى نكون من العتقاء.

انظر كم يفرح العبد إذا أعتقه سيده وهو في أمر دنيا، فكيف إذا علمنا أنَّ الله أعتقنا من النار، وأنَّ الله وعدنا الجنة كيف ستكون السعادة، والطمأنينية والراحة؟.

* فيا أيها المسلم، بادر وشمر إلى الله، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة:٢٨١]، تُوفَّى كل نفس ما كسبت من خير وتوفاه مضاعف، ومن شر توفاه بغير ظلم.

قيل أن هذه الآية أخوف آية في القرآن: {وَاتَّقُوا يَوْمًا} اتقو أيها الناس جميعًا يومًا: يوم القيامة.

{تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} رجالًا، ونساءً وصغارًا، وكبارًا، وَحُفَاةً، وَعُرَاةً، وَغُرْلًا، وَبُهْمًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **بُهْمًا**: ليس معك شيء.

* **عُرَاةً**: ليس عليك ثياب.

* **غُرْلاً**: كما خرجت من بطن أمك ما قد ختنت.

قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}: رجوع الأرواح، والابدان حقيقة.

وقَالَ تعَالَى: {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ}: أي تجازى على عملك من خير أو شر.

وقَالَ تَعَالَى: {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}: لأن الله عَزَّوَجَلَّ ليس بظلام للعبيد. قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩].

والحمد لله

الفائدة الرابعة:

«أَيـنَ اللهُ؟»

الحمدُ لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد جاء من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام مسلم(١)، قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

الحديث فيه فوائد عظيمة أولى هذه الفوائد:

أنَّ الإنسان يراقب نفسه مع غيره، فهذا رجل ضرب جاريته على أمرٍ؛ ربما أنها غفلت عن الغنم فجاء الذئب فأخذ الغنمة، لكن مع ذلك أراد أن يتحلل من هذه الصكة لعله كان ظالمًا لها، أو لعله تجاوز الحد فيها، فذهب إلى النبي ﷺ يستفتيه في ذلك، فأمره النبي ﷺ أن يأتيه بها.

وهذا أيضًا من حكمة النبي ﷺ لم يأمره بعتاقها مباشرة، بل أراد أن يختبرها، هل هي من ذوي العقول التي يرجى نفعها إذا أُعتقت، ويرجى خيرها، وإقبالها على الله عَزَّوَجَلَّ؟

(١) برقم (٥٣٧).

فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها سؤالًا يجهله كثيرٌ من المسلمين الآن، قَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟»، وكثير من الناس إذا قلت له أين الله؟ قال: الله في كل مكان، وربما غضب من هذا السؤال!.

والصحيح أن لا غضب، هذا السؤال قد وجهه النبي ﷺ إلى صحابية، وما وجهه إلا لأهميته، فالنبي ﷺ كان يفعل الأمر، أو يسأل عنه تعليمًا لأمته، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.

ومعنى (فِي السَّمَاءِ) في لغة العرب: على السماء.

والدليل على هذا القول، أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لنا: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} [الملك:١٥]. والذي يمشي في الأرض يمشي داخل الأرض أم فوق الأرض؟! يمشي فوق الأرض، فالمراد {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} أي: على مناكبها.

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أيضًا في شأن فرعون: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه:٢٠]، أي: على جذوع النخل.

*** إذن فمعنى قولنا: (الله في السماء)** أنَّه على السماء، استوى على عرشه، كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥]، وكما قال {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف:٥٤]، والاستواء: هو العلو والارتفاع.

والنَّبِيُّ ﷺ، يقول: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١)، ويقول: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ، يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(٢).

النبي ﷺ ليلة أسري به أخبر أنه عرج به إلى السماء إلى مستوى يسمع فيه

(١) متفق عليه، البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

صريف الأقلام(١).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:١]، ونحن نقول في السجود كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»(٢).

وكم هي الأدلة التي تدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، أي: على السماء على عرشه، وعرشه سقف الجنة، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(٣).

فالله عَزَّوَجَلَّ على عرشه تنزه أن يكون في كل مكان؛ لأنه لو كان في كل مكان للزم أن يقع فيه القاذورات، والمستقبحات، وأن يكون في السُّفل، والسفل وصف ذميم، فالله في العلو، قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:٢٥٥].

فله علو القدر، والقهر، وعلو الذات .

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٣]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠].

فكل هذه الأدلة تدل على أن الله في السماء على عرشه.

ثم قال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، هذا اختبار بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه لا يتم الإيمان إلا بالإقرار لله عَزَّوَجَلَّ بالوحدانية، والإقرار لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة.

فعند ذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، أمره بعتاقها إحسانًا إليها،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي حَبَّةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٢) من حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

وتكفيرًا لصكتها؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ**»، وفي لفظ «**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ [مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ]، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**»(١).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»(٢).

وفي هذا الحديث المجازاة على العمل الصالح، انظر هذه المرأة لما أجابت بهذا الجواب الموافق لشرع الله، ولسنة رسول الله ﷺ، أمر النبي ﷺ بعتاقها.

فعلينا عباد الله أن نسمع الأحاديث النبوية، ونتدبر المعاني الإيمانية التي تدل عليها، ونعتقد ما دلت عليه، نعتقد بأن الله يُرى يوم القيامة يراه المؤمنون، كما قَالَ تَعالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢].

ونعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه مستوٍ بائن من خلقه، ونعتقد أيضًا ما دل عليه الحديث في «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، متفق عليه(٣).

فنؤمن بكل شيء أخبرنا الله به، وأخبرنا به رسوله ﷺ ولنبدأ بالعقيدة، العقيدة أمرها مهم؛ لأنه إذا صلحت العقيدة صلح العمل، وإذا فسدت العقيدة فسد العمل.

انظر إلى الرافضة لما فسدت عقائدهم سبوا الصحابة، وكفروهم، وطعنوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥٧) عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

(٣) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

في زوجة النبي ﷺ، واستحلوا دماء وأعراض الناس، وفعلوا كل منكر لفساد العقيدة؛ لأن الذي عقيدته سليمة يخاف الله، ويراقبه، ويخشاه، ولا يَقْدم على عملٍ إلا على وفق شرع الله، وإن قُدر أنه أخطأ، والخطأ يقع، يتوب إلى الله تعالى، ويبادر بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أما فاسد العقيدة لا يصلح معه شيءٌ، وبفساد العقيدة فساد الأخلاق، وفساد الأقوال، وفساد المعاملات.

انظر إلى الكفار لَمَّا كانت عقائدهم فاسدة كثر فيهم الزنا، والربا، والظلم، والسرقة، والبطش، إلى غير ذلك من الباطل، فكلما صلحت عقيدتك كلما زاد إيمانك وقربك من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلما فسدت عقيدتك كلما ضعف إيمانك وكان بُعدك عن الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**»[1].

أسألك بالله، ماذا يفيدك إذا كنت تصلي أو تصوم أو تحج أو تعتمر وأنت تعلق الحرز أو تأتي الساحر، والكاهن، أو تذهب عند القبر تطلب منه المراد والولد والعون، فلا ينفع صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا شيء من الطاعات، إذا كانت العقيدة فاسدة لا سيما عقيدة التوحيد.

والله المستعان.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الفائدة الخامسة:

«اللَّهُمَّ إِنَّك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عَنِّي»

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»، أخرجه الترمذي(١)، وغيره وقد أعلَّه الدارقطني وغيره بالإرسال.

وهو حديث عظيم يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لمعرفتهم بحاجتهم إليه، فالله عَزَّ وَجَلَّ، يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

* فنحن بحاجة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لقضاء حوائجنا، وستر عيوبنا، وتسهيل ما صعب علينا.

وفي حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند ابن السني: «**اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزَنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا**»(٢).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث يعلم فضل الدعاء؛ ولذلك حثها على كلمات جامعات: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ**»، أي: أنَّ اسم الله العفو الذي يعفو ويصفح، ويتجاوز عن عباده، وعفوه عنهم بستر عيوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، وزلاتهم.

---

(١) برقم (٣٥١٣).

(٢) «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٥١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وما أعظمها من صفة، ولو آخذنا الله بذنوبنا لهلكنا، ولما بقي على الأرض من دآبة، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ} [فاطر:٤٥].

والذي يقول: أنَّه ليس بمذنبٍ فهذا القول ذنب عظيم؛ لأن النبي ﷺ يروي عن ربه: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(١).

* فقوله: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ**»، يحب العفو والصفح، ولهذا أثنى على الذي يعفو عن الناس، قَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى:٤٠]، والنبي ﷺ ما رفع إليه شيء إلا أمر به بالعفو. كما جاء عند أبي داود(٢) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ**».

كونك تختلف مع أخيك هذا يحصل، لكن تعامل مع الأمور بعفو، وصفح، وتجاوز.

وهذا من التوسل المشروع حيث يتوسل بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ العفو، على أن يعفو عنه.

والتوسل المشروع يكون: بدعاء الرجل الصالح، وبالأسماء والصفات، وبالاعمال الصالحة.

* قوله: «**فَاعْفُ عَنِّي**»: أي تجاوز عني فيما وقعت فيه من الخطأ والزلل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) برقم (٤٤٩٧)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا الدعاء إذ يُعَلم النبي ﷺ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقوله في ليلة القدر، ليس معناه أنه مخصوص بتلك الليلة، فنحن بحاجة أن ندعو الله عَزَّوَجَلَّ به في جميع الأوقات، وإن استطعنا في جميع الصلوات.

والله إن كثيرًا مما يلحقنا من ضيق الصدور، وقلة الأرزاق، وفساد الذريات، والمشاكل؛ بسبب ذنوبنا، فإذا عفا الله عَزَّوَجَلَّ عنا ذهب هذا كله، إلا ما كان من إبتلاء يريد الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفعك به فهذا شأن آخر.

* ونحن في شهر فضيل، شهر مبارك، الدعاء في مستجاب، نهاره مع الصيام، وليله مع القيام.

فادع لنفسك، وادعُ لزوجك، وادعُ لابنك، وادعُ لابنتك، وادعُ لأخيك، ولأختك، وادعُ لجارك، وادعُ لرئيسك، وادعُ لجميع المسلمين، دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، «**عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[(١)].

لكن هنا تنبيه؛ لا يكون نيتك بالدعاء أن يقول: المَلَك آمين، هذا ما اخلص لله، وإنما دعا من أجل أن يدعو له المَلَك.

ادعُ لأخيك إخلاصًا لله، محبةً في الله أن يصلحه الله، أن يرزقه الله، أن يوسع الله عَزَّوَجَلَّ عليه، عند ذلك حين يعلم الله عَزَّوَجَلَّ منك ذلك يوفق ذلك الملك أن يدعو لك بما دَعُوتَ لأخيك المسلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٣)، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الفائدة السادسة:

«إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يبسط يده بِاللَّيلِ لِيتوب مُسِيءُ النَّهَار»

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»(١) من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

* في هذا الحديث إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وكلتا يدي ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يمين، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»(٢)، ومما يدل على صفة اليدين، قوله تَعَالَى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]، وقَالَ تَعَالَى: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر:٦٧]، إلى غير ذلك.

* وفي هذا الحديث محبة الله عَزَّوَجَلَّ للتوبة حيث أنه يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل معجلًا بالتوبة ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار معجلًا بالتوبة حتى لا يقع التسويف؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ، يقول: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١].

والتوبة واجبة من كل ذنب، وأفضل التوبة، الاستغفار في الثلث الأخير

---

(١) برقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

من الليل؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا نزول يليق بجلاله، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧-١٨].

* **فوقت السَحر وقت مبارك؛** فينبغي لنا أن نهتم بهذا الوقت استغفارًا ودعاءً وسؤالًا، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يستجيب لنا دعوة يكون بها صلاح الحال والمآل.

ونزول الله عَزَّوَجَلَّ حقيقي، كما قال بعضهم:

أَدْعُـوكَ وَلِلْوَصْـلِ تَـأْبَى ❁❁❁ أَبْعَـثُ رَسُـولِي فِي الطَّلَـبِ
أَنْـزِلُ إِلَيْـكَ بِنَفْسِـي ❁❁❁ أَلْقَـاكَ فِي النَّـوْمِ

فلا يكون الإنسان كَسِلًا مُتَوانيًا وربه يدعوه؛ حيث يَقُولُ: «**مَنْ يَدْعُونِي؟**»، «**مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟**»، «**مَنْ يَسْأَلُنِي؟**»، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، فَأَغْفِرَ لَهُ، وأُعْطِيَهُ.

وقت مبارك، كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقومه؛ بل كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوقض عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ، قَالَ: «**قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ**»(٢).

---

(١) متفق عليه، البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٤).

الفائدة السابعة:

حكم تناول الطعام أو الشراب مع أذان المؤذن للفجر

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فهنا فائدة:

كثير من الأخوة يسأل عن حكم تناول الطعام أو الشراب مع أذان المؤذن؟

وقد بوب الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الجامع الصحيح» باب من سمع الأذان والإناء بيده فيجوز له أن يشرب منه.

واستدل بحديث أخرجه أحمد(١) من طريق حَمَّادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمُ النِّدَاءَ وَالْإِنَاءُ عَلَى يَدِهِ، فَلَا يَضَعْهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ**».

وقد اختُلِفَ في هذا الحديث فوَقفه بعضهم، ووصله بعضهم، وكان الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد حسَّنَهُ ثم تراجع عنه في «أحاديث مُعلة ظاهرها الصحه» رقم (٤٦٦)، ونقل قول أبي حاتم: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ. فهو حديث ضعفه أبو حاتم من جهة سنده، وهو ضعيف من جهة متنه.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ، يقول: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة:١٨٧]، فلا يجوز الأكل، أو الشرب بعد ظهور الخيط الأبيض؛ سواءً أذن المؤذن أو لم يؤذن؛ فمن شرب أو أكل مع أذان المؤذن

---

(١) في «المسند» رقم (١٠٦٢٩).

إن كان يؤذن في الوقت فصيامه باطل يستأنف يومًا بدلًا عنه.

ومما يدل عل نكارة هذا المتن قول النبي ﷺ: «**إِنَّ بِلاَلًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**»، ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، لاَ يُنَادِي حَتَّى يُقَالَ لَهُ: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ[1].

معناه أنه إذا أذن ابن أم مكتوم يتوقف الجميع عن الأكل والشرب، فإن ابن أم مكتوم كان يؤذن إذا قيل له أصبحت أصبحت.

وجاء نحو هذا الحديث عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] وفي سنده ابن لهيعة، وجاء عن غيرهم، الشاهد أن هذا الحديث ضعيف لا يجوز الإحتجاج والعمل به، فمن عمل به فصيامه باطل.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٧٥٥).

الفائدة الثامنة:

«ربَّ صائمٍ حظُّه من صيامِه الْجوعُ والعطشُ»

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

جاء عند الإمام أحمد[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ**»، والحديث حسنٌ كما ذكر ذلك الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في كتابه «الجامع الصحيح».

ومن هذا تعلم أنَّ الإخلاص مهم في شأن العبادات، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصًا لوجهه، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥]، وقَالَ تَعَالَى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: ٢].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[٢].

وكما في «صحيح مسلم»[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

فالحديث يُخبر عن صنف من الناس يصومون، ويمتنعون عن الطعام،

---

(١) في «المسند» برقم (٨٨٥٦).

(٢) متفق عليه، البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) برقم (٢٩٨٥).

والشراب، والمفطرات، ويقومون من الليل ما شاء الله أن يقوموا؛ ولكن لا حظ لهم في الأجر لا على صيامهم مع فضيلة الصيام العظيمة، ولا على قيامهم مع فضيلة القيام العظيمة؛ والسبب عدم الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، أو عدم المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب:٢١].

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»(٢)، ومن هذا أيضًا نصوم كما صام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

توجد أيضًا بعض الأعمال التي تؤدي إلى حبوط أجر الصائم، أو إلى عدم حصوله على الأجر كاملًا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٣).

وقول الزور: ليس هو اللفظ فقط كما يظنه بعضهم، بل شهادة الزور من قول الزور، ومن قول الزور: فعل الزور، شهود الزور، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو زور، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان:٧٢].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن بعض الأعمال أنها زور وإن لم تكن قولًا، كما في حديث مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح مسلم»(٤): عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ [آخرَ قدمةٍ قدمها] فَخَطَبَنَا وَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١) عن مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

(٤) برقم (٢١٢٧).

أَحَدًا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْيَهُودَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَلَغَهُ فَسَمَّاهُ الزُّورَ»، يعني الواصِلةَ في الشَّعرِ، وفي روايَةٍ أنَّهُ قالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ**».

* **فكل ما خالف الكتاب والسنة فهو زور سواءً قلتة بلسانك، أو فعلتة بجوارحك، أو اعتقدته بقلبك**، فالواجب علينا عباد الله أن نحافظ على هذه العبادة بإخلاص العمل لله، وبالمتابعة لرسول الله ﷺ، وبالبعد عن المعاصي، والسيئات، والآثام، والزلات التي تنقص الأجور وربما تبطلها.

والحديث قصير المبنى، عظيم المعنى، وهو خبر من النبي ﷺ، وخبر النبي ﷺ صدق، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل منا الصيام والقيام، وأن يرزقنا الإخلاص، ونعوذ بالله عَزَّوَجَلَّ من حبوط العمل.

يأتي يوم القيامة والإنسان يرجو أن يجد عملًا وإذا بها هباءً منثورًا، كما في حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا**»(١)، والسبب أنه ما حفظ نفسه بطاعة الله؛ والسبب أنه ما حافظ على حسناته بالبعد عن محبطاتها من الظلم وغير ذلك من الأمور.

والحمد لله.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الفائدة التاسعة:

«طُوبَى لِمَنْ وجَدَ فِي صَحِيفتِه اسْتِغْفارًا كَثِيرًا»

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد أخرج ابن ماجه في «سننه» من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»(١).

والحديث فيه فضيلة الاستغفار.

«**طُوبَى**»، قيل: بأنها شجرة في الجنة، وقيل: منزلة في الجنة لمن وَجَدَ في صحيفته استغفارًا كثيرًا، وهذا دليلٌ على كتابة الأعمال على الناس في صحائفهم، صحائف يجدها العبد يوم القيامة.

كما قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف:٤٩]، وقَالَ تَعَالَى: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء:١٣-١٤]، فهذه الصحيفة إن لم تُملأ بالخير مُلئت بالشر.

وفي الحديث القدسي، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ**

(١) برقم (٣٨١٨)، والحديث في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» للشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١)، الحديث فيه كثير بن فائد، ضعيف، ولكن له شواهد.

ودعوة الرسل كانت بالاستغفار: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود:٣]، هذا قول النبي ﷺ فيما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

وقول هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

وقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

وبعد العبادات شرع الاستغفار، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**»(٢).

وكان إذا جلس مجلسًا، أو قرأ قُرْآنًا، أو صلى صلاةً قال في دبرها: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، كما صح عن عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا(٣).

وفي الحج، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

وفي الليل بعد القيام والدعاء والذكر: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ *

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١)، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣).

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات:١٧-١٨]، وقال اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران:١٧].

* فالاستغفار مزيل لأدران الذنوب والمعاصي.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين:١٤]**»(١).

فيا عبد الله استغفر ربك؛ لكن لابد أن يتوافق القلب واللسان في الاستغفار، فلا يكون مستغفرًا بلسانه مُصرًا بقلبه، بل يستغفر ربه مع تركه للذنب، وعزمه على عدم العود، والندم على فعله، فإنه إذا فعل ذلك حصل له الخير العظيم من تفريج الذنوب، وقضاء الحاجات، وسعة الأرزاق، وصلاح الذريات.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في شأنه: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} [الفتح:١-٢].

غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان يَقُولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٢)، وفي رواية: «**وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(٣).

وأخبر بهذا مع أمره لنا بالاستغفار: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ**

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٥٢)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١).

بل أبلغ من ذلك، ما جاء في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أبي داود، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»**(٢)، وفي رواية: **«إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»**(٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

الشاهد أن الإنسان يحرص أن تُملأ صحيفته بالاستغفار، وما أجمل تلك المقولة: دقائق الإنتظار أجعلها في الاستغفار؛ فإن لنا ذنوبًا كثيرة، منها ما يكون بالهم، ومنها ما يكون بالقول، ومنها ما يكون بالفعل، والله المستعان.

نستغفر الله ونتوب إليه من جميع الذنوب والمعاصي.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) برقم (١٥١٦)، والحديث في «الصحيح المسند».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٣٤)، ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الفائدة العاشرة:

صلة الرحم

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ:

فيقول النَّبِيُّ ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»[١]، هذا الحديث فيه بيان من نبينا ﷺ أن الجنة والنار قريبتان من الإنسان، وما بين العبد وما بين الجنة إلا أن يلازم العمل الصالح، وما بين العبد وما بين النار إلا أن يلازم العمل الطالح.

فيا عبد الله، عود نفسك على الأعمال الصالحة؛ فالأعمال الصالحة محبوبة عند الله عَزَّوَجَلَّ، ثم هي محبوبة عند جميع العقلاء، كل العقلاء تعجبهم مكارم الأخلاق، ويكرهون سفاسفها، ومن هذه الأعمال الصالحة القريبة من الإنسان، والمُفَرِّط فيها كثير من الإنس والجان؛ صلة الرحم أمرها عظيم وأجرها كبير، وتضييعها كثير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ**»، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢][٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه، البخاري (٧٥٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

كثير من الناس لم يوفقوا للحق؛ بسبب قطيعة أرحامهم؛ لأن قاطع الرحم معرض للعن الله، والطرد من رحمته، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد:٢٢-٢٣].

فيطرد من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ}، وتصم أذنه عن سماع الحق: {فَأَصَمَّهُمْ} ، وتعمى عينه عن بصره: {وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، ويطبع على قلبه، ويغلق بالقفل، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤].

فالمعاصي من أعظم الأسباب التي تُحيل بين الإنسان وبين فهم مراد الله عَزَّوَجَلَّ، ومراد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»(١).

الله أكبر، من وصلها وصله الله، فبسبب صلة رَحِمك، وصلة أقاربك بالإحسان إليهم، ببذل المعروف لهم يصلك الله بخيره، وبركته، ورزقه، وتوفيقه، وعونه؛ فالجزاء من جنس العمل إلا أنه لا سواء، عمل العبد ضعيف، وفعل الله عظيم، من وصلني وصله الله.

ألا تحب أن يكون بينك وبين الله عَزَّوَجَلَّ واصلا؟

ألا تحب أن لا تبات وتصبح إلا وصلة الله عَزَّوَجَلَّ موصولة إليك؟

أي والله إننا نحب ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٥)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

۞ فلماذا إذن لا نبادر إلى صلة أرحامنا، والإحسان إليهم، والتغاضي عما صدر منهم، وبذل المعروف لهم؟

لله؛ ليس لأنهم أحسنوا، أو لأنهم أعطوا، أو لأنهم قَرَبُوا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(١).

هذا ما هو واصل هذا مجازي وصلني وصلته، أعطاني أعطيته، أحسن إلي أحسنت إليه، ولكن الواصل؛ «**الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»، هذا هو الواصل هذا هو الممدوح، هذا هو المحبوب عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(٢).

* أنت محفوظ ما دمت بارًا، وواصلًا لرحمك، بينما الآخر ومن قطعها قطعه الله، ربما يقطعك الله من صلة ذريتك، ربما يقطعك الله من وصل رحمك، لا يصلونك وتتألم على ذلك، ربما قطعك الله من خيره وبره وبركته.

ومما يدل على ذلك حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

أعمال أجرها لنا ونفرط فيها، انظر إلى هذه الأجور العظيمة، تحب أن يبقى

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).
(٣) البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

لك ذكر في الأثر، تحب أن يُبارك لك في الرزق، تحب أن تُوصَل من الله عَزَّوَجَلَّ، صل رحمك، واعف عن من ظلمك، وأحسن إلى من قطعك، وليكن عملك لله عَزَّوَجَلَّ.

وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»، متفق عليه[1].

وكم في القرآن، والسنة، وآثار السلف من الحث على صلة الأرحام، والإحسان إليهم، والتجاوز والصفح عنهم.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ العون والسداد.

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة الحادية عشر:

فضيلة الذكر قبل الدعاء

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

في «المسند»[١] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ قَالَ: «**تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عَشْرًا، وَتَحْمَدِينَهُ عَشْرًا، وَتُكَبِّرِينَهُ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي حَاجَتَكِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ فَعَلْتُ**».

وأخرجه الترمذي[٢]: بلفظٍ مقاربٍ: «**كَبِّرِي اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي مَا شِئْتِ**»، يَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ.

* هذا حديث فيه من الفوائد حرص السلف رضوان الله عليهم على دعاء الله عَزَّوَجَلَّ والقرب منه، وهذه امرأة ومع ذلك تتعلم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبل استجابة الدعاء.

وفي الحديث فضل التسبيح، والتكبير، والتهليل؛ فإن الإنسان إذا أثنى على الله عَزَّوَجَلَّ قبل دعائه، وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ذلك أرجى لقبول دعائه.

ويسمى هذا عند أهل العقيدة التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته.

والله عَزَّوَجَلَّ، يقول: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف:١٨٠].

فحين تقدم بين يدي سؤالك حمدًا، وثناءً وتنزيهًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن ذلك من أسباب استجابة الله عَزَّوَجَلَّ يستجيب لك، ويحقق لك طلبك.

---

(١) برقم (١٢٢٠٧).

(٢) برقم (٤٨١)، والحديث في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه الثلاث الكلمات محبوبات عند الله عَزَّوَجَلَّ، كما في حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»(١).

* **ومعنى «سُبْحَانَ اللهِ»**: تنزيه الله عن النقائص.

* **ومعنى «الْحَمْدُ لِلَّهِ»**: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بأوصاف الكمال، والجلال، والمحبة، وهو دال على إثبات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ.

* **ومعنى «اللَّهُ أَكْبَرُ»**: أي أنه الكبير، العظيم، الواسع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأنت حين تقول قبل دعائك: سبحان الله عشر مرات، الحمد لله عشر مرات، الله أكبر عشر مرات، ثم تسأل حاجتك، يُرجى أن الله عَزَّوَجَلَّ يستجيب لك.

لكن هنا فائدة بعض الناس يظن أن إجابة الدعاء لا يكون إلا بتحقيق الأمر المسؤول عنه، وليس كذلك.

ففي «مسند أحمد»(٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**» قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللَّهُ أَكْثَرُ**».

فليس من شرط الاستجابة أن يتحقق المطلوب، فقد يُصرفُ عنك شرٌ وأنت لا تدري، وقد يُكتبُ لك خيرٌ وأنت لا تؤمله.

إذن فلنتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته، ومن أسمائه الاسم الأعظم؛

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) برقم (١١١٣٣).

وهو لفظ الجلاله الله على الصحيح يتضمنه كلمة سبحان الله، وكلمة الحمد لله، وكلمة الله أكبر.

وفي هذا الحديث أن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بحرف وصوت يُسْمَع، يسمعه من شاء من عبادة، والدليل أَنَّهُ يَقُولُ: «**قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ فَعَلْتُ**»، وفي رِوَايَة يَقُولُ: «**نَعَمْ نَعَمْ**»، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا على طاعته.

وإذا قسى القلب ما تستطيع تدعو الله، تحاول من هاهنا، ومن هاهنا وإذا قد شرح الله الصدر، ييسر لك سبل السؤال، وإذا سألته أعطاك.

ومثاله في يوم القيامة يؤتى بالعبد بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، فيقول الله: يا عبد سل، فيسأل حتى يعجز، «**فَيُذَكِّرُهُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ، **سَلْ كَذَا وَكَذَا**»(١)، فالشاهد أن الإنسان قد يعجز عن الدعاء، لكن يحاول بقدر الإمكان أن يستحضر أنه بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قال بعضهم عندما سأله النَّبِيُّ ﷺ: «**كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟**» قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(٢).

فكل الدعوات المشروعات مآلها إلى كيف تصل إلى الجنة، وكيف تنجو من النار؛ لكن هناك دعوات جوامع يحتاج الإنسان أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بها.

والحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٨٩٨)، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

الفائدة الثانية عشر:

الأذكـــــار

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصطفي ما يشاء، وقد «**اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ** - من الكلام -: **سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(١).

وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**»(٢).

ولو تأملنا حالنا مع هاتين الكلمتين لرأينا تقصيرًا عظيمًا، أحسننا حالًا من يأتي بأذكار الصباح والمساء. مع ما فيهما من الفضل، «**حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**»، مع خفة الإتيان بهما إذ لا مشقة تلحق القائل بهما، ولا تبعه مالية، ولا بدنية؛ فينبغي للمسلم أن يحرص على الأجور، وعلى تحصيلها.

وفي معنى ذلك حديث أبي سُلمى عند أحمد(٣): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ**».

«**ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**»؛ ميزان لا يفوته مثاقيل الذر، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنَضَعُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) برقم (١٥٦٦٢).

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧].

وقد قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ كما في سورة يقرأها الجميع، ويحفظها أكثر المسلمين: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٧-٨].

كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة:٦-١١].

فالبسهولة بمكان أن تثقل ميزانك بهذه الكلمات، ففي حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»(١).

وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو حسن بشواهده، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأى أبا أمامة كثير الذكر، وهذا دأب الصحابة أنهم كانوا كثيري الذكر، والطاعة لله عَزَّوَجَلَّ، ويُشبَّهُ بهم في هذا الزمان الإمام ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ، وربما ذكر الله بين لُقَمه، وربما ذكر الله عند إجابته على الأسئلة، يقرأ السائل السؤال وهو يسبح، ويستغفر، ويهلل.

فالشاهد أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٩٢١).

وأصح منه حديث جُوَيْرِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ – الله أكبر، نسائهم، ورجالهم، وشبابهم، وشاباتهم كلهم كانوا على خير، ونحن الآن جزى الله من يصلي الفجر خير الجزاء رجالًا أو نساء، أما أنْ تَرى من يحافظ على الذكر، ويزداد في الطاعة فهذا أمر زائد – فوجدها على الحال، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(١).

وفي حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٢).

بل جاء في خارج الصحيح «**وَتُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٣).

ونختم بحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُما عند أحمد في «مسنده»(٤) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَصْلَتَانِ – أَوْ خَلَّتَانِ – لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، تُسَبِّحُ اللَّهَ عَشْرًا، وَتَحْمَدُ اللَّهَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُ اللَّهَ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ – قَالَ: وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْقِدُهُنَّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٨).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٩٠٥)، وأحمد (١٤٩٦) ولفظه «**وَتُمْحَى عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ**»، وغيرهم.

(٤) برقم (٦٩١٠).

بِيَدِهِ - فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ» - الصلوات خمسٌ: الفجر، الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، لو سبح دبر كل صلاة عشر تسبيحات، وحمد عشر تحميدات، وكبر عشر تكبيرات، صار المجموع في كل صلاة ثلاثين، ومجموع الصلوات الخمس مائه وخمسون - قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ - عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيَّتُهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ - إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قَالَ: «**يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُومُ وَلَا يَقُولُهَا، فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا**».

فاحرص يا عبد الله أن لا تُحرم الخير بسبب الغفلة، والبعد عن ترويض اللسان على الذكر، ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي(١): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**»، فالإنسان يرطب لسانه بالذكر حتى إذا قُدِّر عليه بشيء يكون متعودًا على الذكر.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في قصة الذي قيل له: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابٍ؟، قَالَ: وَهَذَا الْكَلَامُ لَهُ قِصَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ وَاقِفًا بِإِزَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ بَابُهَا يُشْبِهُ بَابَ هَذَا الْحَمَّامِ، فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَةٌ لَهَا مَنْظَرٌ، فَقَالَتْ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابٍ؟ فَقَالَ: هَذَا حَمَّامُ مِنْجَابٍ، فَدَخَلَتِ الدَّارَ

(١) برقم (٣٣٧٥).

وَدَخَلَ وَرَاءَهَا، فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا فِي دَارِهِ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ خَدَعَهَا، أَظْهَرَتْ لَهُ الْبُشْرَى وَالْفَرَحَ بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ عَيْشُنَا وَتَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا، فَقَالَ لَهَا: السَّاعَةَ آتِيكِ بِكُلِّ مَا تُرِيدِينَ وَتَشْتَهِينَ، وَخَرَجَ وَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ وَلَمْ يُغْلِقْهَا، فَأَخَذَ مَا يَصْلُحُ وَرَجَعَ، فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ، وَلَمْ تَخُنْهُ فِي شَيْءٍ، فَهَامَ الرَّجُلُ وَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا، وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الطُّرُقِ وَالْأَزِقَّةِ وَيَقُولُ:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ ❁❁❁ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ؟

فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا يَقُولُ ذَلِكَ، إِذَا بِجَارِيَتِهِ أَجَابَتْهُ مِنْ طَاقٍ:

هَلَّا جَعَلْتَ سَرِيعًا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا ❁❁❁ حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ

فَازْدَادَ هَيَمَانُهُ وَاشْتَدَّ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ هَذَا الْبَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا(١). اهـ.

فأنت يا مسلم روض لسانك على الذكر؛ التسبح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، تقولها في سيارتك، في طريقك، تقوله المرأة وهي تطبخ، وهي تعجن، وهي تغسل. والله المستعان.

---

(١) «الداء والدواء» (٩١).

الفائدة الثالثة عشر:

نظرة الناس إلى الجمال أو المال أو قوة البدن

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فالمتأمل لحال الناس يجد أنَّ نظرتهم إلى الجمال، أو المال، أو قوة البدن، أو نحو ذلك مما يتفاخرون به، والمتأمل للأحاديث النبوية، وقبل ذلك الآيات القرآنية يجد أن هذه الأمور ليست بمحل نظر الشرع؛ بل نظرة الشرع إلى الإيمان والعمل كما قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٤٦ - ٢٤٧]

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا من أقل الناس أموالًا، ومن أضعفهم أبدانًا، ومع ذلك صاروا في مرتبة عَليَّه، ومرتبة سامية لم يبلغها غيرهم، ولنضرب مثلًا بأربعة من الصحابة رضوان الله عليهم:

الأول: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان دقيق الساقين، حتى رقى يومًا على شجرة الأراك فضحك الصحابة،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أتعجبون من دقة ساقيه، «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(١).

انظر إلى هذه الصحابي الجليل بلغ به الحال أن تكون ساقاه في النحافة إلى مستوى يُتَعَجَبُ منه؛ لكن العبرة بالعمل صار وزن ساقيه في الميزان أثقل من أحدٍ، وهذا الحديث دليل على وزن العامل يوم القيامة.

وفضائل هذا الصحابي أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر في العلم والعمل.

الثاني: ثَابتُ بْنُ قَيسِ بْنِ شَمَّاس الأَنصَاريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: {لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢]، احتبس في بيته يبكي فقال: أنا أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عملي، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وهو في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١١٩).

هذا الرجل تقول عنه زوجته: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنْقِمُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلاَ خُلُقٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ[(١)].

وجاء عند ابن ماجه[(٢)]: والله يارسول أني إذا رأيته أهم أن أتنخم في وجه لدمامة خلقه، وفية حجاج بن أرطأة ضعيف.

وفي رواية: «**أَنَّهُ ضَرَبَهَا فكَسَرَ بَعْضَهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الصُّبْحِ، فَاشْتَكَتْهُ إِلَيْهِ**»[(٣)].

وأمرها النبي ﷺ أن تختلع لمَّا كان هذا حالها معه ورُدَّتْ عليه حديقته وفارقها، جاء في البخاري «**وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً**»[(٤)]، لكن الجمهور على أن الخلع فسخ، وليس بطلاق.

شاهدنا أن هذا الرجل من المبشرين بالجنة بغض النظر عن جماله، أو ماله، أو غير ذلك.

والثالث: بلال الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال له النبي ﷺ يا بلال بما سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك أمامي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبِلَالٍ: عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ «**يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**»، قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) برقم (٢٠٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٢٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٧٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ(١).

وهذا الرجل عظيم الفِعَال، نبيل الخِصَال، ولكنه لم يكن في النسب كغيره، لكن رفعه الله بالإسلام، إذ أن الإسلام ليست نظرته إلى النسب المجرد، أو إلى جمال الظاهر المجرد، إنما النظرة إلى العمل الصالح، وإلى امتثال الشرع.

مع أنَّ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**خِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**»(٢).

الرابع: جليبيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ جُلَيْبِيبًا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ، يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيبٌ؛ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ، لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ. قَالَ: وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ؟ أَمْ لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «**زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ**». فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنُعْمَ عَيْنِي. قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي**». قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لِجُلَيْبِيبٍ**». قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُشَاوِرُ أُمَّهَا فَأَتَى أُمَّهَا فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ. فَقَالَتْ: نِعِمَّ. وَنُعْمَةُ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ. فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيبٌ إِنيه؟ أَجُلَيْبِيبٌ إِنيه؟ أَجُلَيْبِيبٌ إِنيه؟ لَا. لَعَمْرُ اللَّهِ لَا نُزَوَّجُهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا: قَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ؟ ادْفَعُونِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يُضَيِّعْنِي. فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: شَأْنَكَ بِهَا فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيبًا قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: نَفْقِدُ فُلَانًا وَنَفْقِدُ فُلَانًا. قَالَ: «**انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: لَا. قَالَ: «**لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا**». قَالَ: «**فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى**». قَالَ: فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ غَسَّلَهُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا**» . قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ(١).

والحديث في مسلم(٢) بدون زيادة الزواج، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ، فَأَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ**» فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ،**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٩٧٨٤).

(٢) برقم (٢٤٧٢).

هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا.

فيا عباد الله هذه الأمثلة تبين لنا أن قيمة الإنسان بقدر تمسكه بدين رب العالمين في الدنيا وفي الآخرة.

أما جمال ظاهره وهو بعيد عن الجمال الباطن فلا خير فيه، وإذا جميل الوجه لم يأتِ بالجميل فما جماله، جميل الوجه إذا لم يأتِ منه الجميل من الفعال ما ينفع له ذلك الجمال، وهكذا السمين البطين البعيد عن تعاليم الدين لا فائده في سمنه إلا أنه مذموم، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

فليكن حرصنا على إصلاح ظواهرنا وبواطننا، وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة الرابعة عشر:

تصحيح الألفاظ، والتحلي بالألفاظ الشرعية

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فمما ينبغي أن ينتبه له تصحيح الألفاظ، فقد جاء في «الصحيحين»[(١)]: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: «**أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**». قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا.

وعَنِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[(٣)].

ولَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، - فنهاهم عن ذلك - وَقَالَ: «**بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»[(٤)].

وهكذا أمرهم أن يقولوا: «**مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»[(٥)].

---

(١) البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٧)، ومسلم (١٦٤٧).
(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣٩،١٩٦٤)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٣٣٩)، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالشاهد أنَّ كثيرًا من الناس يتكلمون بكلماتٍ لا يتبينونها، وربما يكون معناها مخالفًا للتوحيد، أو معارضًا له، ورُبَّما تحمل بعض المعاني الباطلة، وانظر إلى قول اليهود للنبي ﷺ: «راعنا»، فكان بعض المسلمين يقولون بقولهم، ومراد المسلم انتظرنا، ومراد اليهودي السب وهي من الرعونة وعدم التعقل، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بعدم قول هذه الكلمه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا} [البقرة:١٠٤]، فأمرهم أن يأتوا باللفظ الشرعي الموافق للكتاب والسنة.

والآن تجد بعض الناس ربما حلف بشرفه، وربما حلف برأس أولاده، وربما حلف بقبرٍ، أو وليٍّ كما يسميه إلى غير ذلك، فنحن مأمورون أن نستخدم الألفاظ الشرعية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي**»، متفق عليه(١).

مع أنه في اللغة يقال: عبد، ويقال: أمة؛ لكن لما خشي أن يستخدم بعضهم هذا اللفظ، ويؤدي إلى فهم غير صواب، سد ذرائع الشر.

أو ربما يكون اللفظ فيه مشاركة لله عَزَّوَجَلَّ في ربوبيته، أو في ألوهيته، نهاهم أن يقول: «**عَبْدِي وَأَمَتِي**»؛ ولكن ليقول: مولاي، أو ليقل: «**فَتَايَ وَفَتَاتِي**»، أو كما قال النبي ﷺ.

ونهى أن يُسمي الرجل يسارًا، أو نافعًا، أو نحو ذلك من الأسماء خشية التزكية، وكانت ابنة عمر اسمها: عاصية، فسماها النبي ﷺ: جميلة(٢)، وكانت زينب اسمها: برة، فسماها النبي ﷺ: زينب(٣).

---

(١) البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

(٢)، (٣) «صحيح مسلم» برقم (٢١٣٩،٢١٤١).

فالشاهد أن الأحاديث النبوية، وقبل ذلك الآيات القرآنية مليئة بالأمر بتصحيح الألفاظ، وعلى الإنسان أن يأتي بالألفاظ الشرعية كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

الألفاظ الشرعية فيها خير عظيم:

* **أولا:** المتكلم بها متكلم بالكتاب، والسنة.

* **ثانيًا:** المتكلم بها بعيد عن مشابهة أهل الأهواء، أو مشابهة الكفار.

* **ثالثًا:** المتكلم بها بعيد عن الاتيان بالمعاني الباطلة التي قد تؤدي إلى إحقاق الباطل، وإبطال الحق.

ومن أهم المهمات في هذا أن الإنسان لا يحلف إلا بالله، قال النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»، أخرجه الترمذي[1]، وفيه انقطاع بين سعد بن عبيدة وبين عبد الله بن عمر، ولكن الحديث له شواهد كثيرة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**»[2]. وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ**»[3].

فاللسان ينبغي أن يعود على أن يأتي بالألفاظ كما شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

وبالله التوفيق.

---

(١) برقم (١٥٣٥)، من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤٨).

الفائدة الخامسة عشر:

الآداب الشرعية عند حصول الريح

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

نسمع كثيرًا عن الرياح، والأمطار التي تنزل في سقطرى، ويخبر أصحاب الإرصاد أنها ربما تصيب بعضًا من بلاد عُمان، والمهرة.

وديننا بحمد الله دينٌ شاملٌ كاملٌ، فيه بيان لما ينبغي على المسلم أن يسلكه في القحط، والمطر، وفي الريح وغيرها، فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يدبر الأمر، والريح ما هي إلا من جنده.

وقد أهلك الله عَزَّوَجَلَّ بالريح قومًا: قَالَ تَعَالَى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} [الحاقة:٤-٨].

وكما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلاَّ مَساكِنُهُمْ كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الأحقاف:٢٤-٢٥].

ونصر الله عَزَّوَجَلَّ بالريح قومًا، وهم أصحاب محمد ﷺ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الأحزاب:٩].

وكما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا** - وهي الريح الشرقية -، **وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ** - وهي الريح الغربية -»(١).

وكانت الريح مسخره لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} [الأنبياء: ٨١]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ:١٢].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ}** [الأحقاف:٢٤] **الآيَةَ**»(٢).

ثم حث النَّبِيُّ ﷺ أنَّ من رأى الريح أن يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»، هذا الحديث جاء عَنْ عَائِشَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٣)، بألفاظٍ متقاربة.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٦)، واللفظ له، ومسلم (٨٩٩).
(٣) حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخرجه مسلم (٨٩٩)، وحديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أحمد (٢١١٣٩).
(٤) أخرجه أحمد (٧٦٣١).

فالله عَزَّوَجَلَّ يقول عن نفسه: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ} [المؤمنون:٨٨].

فلا نتهيب بكثرة الإعلانات التي يأتي بها أصحاب الطقس، إذا أراد الله أن يهلك أمة أهلكها بدون مقدمات، وإذا أراد الله أن يكرم أحدًا أكرمه بدون مقدمات.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس:٨٢].

ومع ذلك قد يقع ما يذكره أصحاب الطقس والحساب لأمور يلاحظونها، لاسيما الآن تقع الريح ويرون بؤرتها، وحركتها، ثم يقدرون سرعتها، إلى غير ذلك.

فنحن نستجير برب الريح، ونلجأ إليه أن يسلم البلاد والعباد، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يلطف بإخوننا في سقطرى، نسأل الله أن يلطف بهم وبجميع المسلمين.

* **بلاد سقطرى بلاد طيبه، وأهلها طيبون**، والكفار ومن إليهم حريصون على إفسادها بالسياحة وغيرها، فلعل الله عَزَّوَجَلَّ حين سلَّطَ مثل هذه الرياح غَيْرَةً على دينه ورحمة بهم: {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء:١٩].

فهم مجتمع محب للعلم، والسنة، والخير، يتميزون بصدق الحديث، وبالتواضع، وهي بلد جميلة مع ما فيها من هذه الأخلاق.

يقولون: أكبر الوحوش البرية فيها القط، ليس فيها كلاب، وليس فيها نمور، وليس فيها أسود، وليس فيها إلا الغنم الكثير اللّهم بارك، وربما تعدت عليه بعض القطط البرية، وإلا فالأصل أن أهلها على خير.

فنسأل الله أن يحفظهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، وأن يحفظ عليهم دينهم، وأن يكفي المسلمين الشرور والآثام.

* واحفظوا هذا الحديث بارك الله فيكم:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رأَى الرِّيحَ قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»(١).

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه الإمام مسلم (٨٩٩)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا.

الفائدة السادسة عشر:

أهمية مسائل الإيمان، وبيان الشرك بالله تعالى

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

جاء جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى النَّبِيِّ ﷺ في صورة رجلٍ يسأله عن بعض المسائل، ومنها أنه سأله عن الإيمان، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، - وفي آخر الحديث - يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

فمسألة الإيمان من المسائل المهمة التي ينبغي أن يحققها العبد المسلم؛ إذ أن صلاح الأعمال الظاهرة مشروط بصلاح الأعمال الباطنة.

وهذه الأركان الستة اتفق عليها جميع الرسل؛ إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل رسله، وأنزل كتبه بها:

الأول الإيمان بالله، أي: الإيمان بالله ربًا، مع الرضا به ربًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتضمن هذا الأمر أربعة أركان:

* **الأول الإيمان بوجوده**: فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خالق وما سواه مخلوق، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، كما أنه الآخر الذي ليس بعده شيء، قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:٢].

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقَالَ تَعَالَى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان:٥٨].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى:١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: {وهُو الْعلِيمُ الْحكِيمُ} [التحريم:٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر:٢٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر:٢٣-٢٤].

وقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: {لله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:٢٥٥].

* **الثاني الإيمان بأسمائه وصفاته:** التي ذكرها في كتابه، وذكرها رسوله ﷺ في صحيح سنته من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ بل هو سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

* **الثالث الإيمان بربوبيته:** فنؤمن أنه الخالق، الرازق، المالك، المدبر، قَالَ تَعَالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:٥٤].

* **الرابع الإيمان بألوهيته:** فنؤمن بأنه المعبود بحق، وإن عُبِد غيره فبباطل، قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج:٦٢]، وقَالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}

[النساء:٣٢]، وقالَ تعالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦].

فلا يشرك معه غيره لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»(١).

وعَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا، يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعِي هَذِهِ، وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ**»(٢).

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»(٣).

ولما سمعهم ﷺ يقولون: «**مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ**» قَالَ: «**بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»(٤)، وقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»(٥).

فلا يجوز أن تصرف العبادة لأحدٍ من المخلوقات؛ ملكًا أو رسولًا، وليًّا أو سيدًا أو شريفًا، وما يفعله كثيرٌ من الناس من تشييد القبور وبناء القباب عليها، ثم صرف العبادات لها، هو نظير ما كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم التي

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، وهو في «الصحيح المسند».
(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).
(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١٩٦٤)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣٩)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نصبوها حول الكعبة، قَالَ تَعَالَى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم:١٩-٢٠].

عبدوها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويذبحون لها، ويتوسلون بها، مع اعتقادهم أن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر؛ لكن لم ينفعهم هذا الاعتقاد؛ لأنهم أشركوا مع الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [العنكبوت:٦١-٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة:٧٢].

فالذي يطوف بالقبر، أو يتعلق قلبه بصاحب القبر، أو ينذر بأرض، أو بيت، أو سيارةٍ، ونحو ذلك للقبر أو صاحب القبر، أو يحلف كذلك بالقبر معظمًا له كتعظيمه لله، فكل هذه تناقض التوحيد، وإن قال: أنا أصلي، وأصوم، وأحج، وأعتمر، وأقرأ القرآن، هذا لا ينفعه؛ لأن كفار قريش كانوا يحجون، وكانوا يعتمرون، وكانوا يتصدقون، ويعتقون، كانوا يتقربون إلى الله بنسك، ويتقربون إلى الله بدعاء، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء:٦٧].

لكنهم لم يخلصوا العبادة لله، كانوا إذا حجوا قالوا: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ(١).

فيا عباد الله كثرت القبور المعبودة من دون الله عَزَّوَجَلَّ في بلاد المسلمين بين

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أناس يقولون: لا إله إلا الله في صبحهم، وليلهم، وفي أذاناتهم، ومع ذلك لقضاء الحاجة تعلق قلبه بالولي، أو الشريف، أو السيد، أو القبر، وأمولهم مدفوعة إلى المقبورين، وهذا لقُبَّةِ خضير، وهذا للهادي وهذا لابن علوان، وهذا لأبي طير، وهذا للعيدروس، وهذا لغيرهم، حتى قال بعضهم:

لي خمسة هم الحجا ❁❁❁ من نار لظى والحاطمة
المصطفى والمرتضى ❁❁❁ وابناهما والفاطمة

وبعضهم يقول:

هات لي منك يا بن موسى إغاثة ❁❁❁ عاجلةً في سيرها حثاثة

ومن أشهر الزيارات التي تقع مخالفة لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ما تسمى بزيارة شعب هود، حيث ينذرون النذور، وينحرون الجزور، ويحلقون الرءوس، ويرمون كما يرمي الحجاج عند بيت الله الحرام، فما تركوا من عبادة يتقرب بها الموحدون إلى الله إلا وتقربوا بها إلى تلك القبة المزعومة لهود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فمن كان من هذا الصنف، أو كان ساحرًا، أو مشركًا، أو منددًا فلم يحقق الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، فينبغي أن نحقق هذا الركن العظيم.

والله لا يدخل أحدٌ الجنة مهما كان وهو كافر بالله، وهو مضيع لهذا الركن، من لم يؤمن بالله ربًا كما شرع الله عَزَّوَجَلَّ فليس بمؤمن.

فالله عَزَّوَجَلَّ حذرك من تصديق الكهَّان، والسحَّار، والمشعوذين، حذرك من عبادة الأصنام، سواءً كان اسمه قبرًا، أو صنمًا.

قَالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} [الإسراء:٢٣].

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» وَقُلْتُ أَنَا: «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

الفائدة السابعة عشر:

صفة صلاة التراويح

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «**كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّ التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ**»(١).

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بتطبيق هذه السنة التي ثبتت عن رسول الله ﷺ، كما في «صحيح مسلم» من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبوب عليه النووي: بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ.

ونحن عبيد لله، نتعبد له بما تعبد به رسول الله ﷺ، فما قام فيه قمنا فيه، وما جلس فيه جلسنا فيه، ولسنا بأحرص على الخير منه، فما من خير إلا وهو السباق إليه، وما من خير إلا في طريقه.

قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:٢١].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

* والاقتصاد في سنة خيرٌ من الاجتهاد في بدعة، السنة فيها بركة: لأن الله عَزَّوَجَلَّ اختارها لمحمد ﷺ؛ ولأن محمد ﷺ تَعَبَّد بها لله عَزَّوَجَلَّ.

فالحمد لله على توفيقه، وفضله، ونسأله كما وفقنا لأداء الصلاة أن يتقبل منا؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧].

فالعبد يؤدي الفعل مخلصاً لله فيه، ومتابع لرسول الله ﷺ فيه، ويرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل، ونسأل الله التوفيق والسداد والعون.

فوالله يا إخوة إننا نفرح بتطبيق السنن أعظم من كثير من الأمور.

لأن النبي ﷺ ثبتت عنه كيفيات عدة في صلاة القيام:

* **الطريقة الأولى:** أن يصلي تسع ركعات لا يجلس إلا في الثامنة، ثم يصلي ركعتين خفيفتين وهو جالس على الوجه الذي رأيتم(١).

* **الطريقة الثانية:** أن يصلي سبع ركعات يجلس في السادسة منهن، وهذا لما كَبُرَ سِنه، ثم يصلي ركعتين خفيفتين(٢).

* **الطريقه الثالثة، وهي أشهر الطرق:** صلاة الليل مثنى مثنى، كما جاء عن ابن عباس، وعائشة، وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجاء عن غيرهم.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى**». متفق عليه(٢).

وَعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ

---

(١)، (٢) أخرجه مسلم (٧٤٦)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) البخاري (٩٩٠)، ومسلم (٧٤٩).

لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الوِسَادَةِ وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي اليُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ(١).

* **الطريقه الرابعة**: جاءت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ، لَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهَا**»(٢).

* **الطريقه الخامسة**: جاءت من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»، متفق عليه(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).
(٢) أخرجه مسلم (٧٣٧).
(٣) البخاري (٣٥٦٩)، ومسلم (٧٣٨)، واللفظ له.

* **ومن الطرق التي ثبتت عن النبي ﷺ أنه صلى بركعه:** كما في حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ(١).

بأوجه كثيرة ثبتت عن النبي ﷺ، والحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. هذه العبادات ينبغي للإنسان أن يحمد الله إذ لو جاءت على طريقة واحدة لشقَّ على الناس، لكن تنوعت العبادة بحيث يتعبد الإنسان لربه بهذه الطريقة.

ثم يأتي بالطريقة الأخرى ويستشعر فعل النبي ﷺ، ويؤجر إن شاء الله على التأسي بالنبي ﷺ، ويؤجر على إحياء السنة لاسيما في هذا الزمن الذي جهل الناس كثيرًا من السنن.

هناك رسالة مختصرة صغيرة للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لخص فيها هذه الطرق، وبين فيها هدي النبي ﷺ في قيام الليل، وقيام الليل شامل لقيام رمضان الذي اصطلح عليه الناس وسموه التراويح، وشامل لغيره.

وقد رأينا بعضهم يفرق فيجعل قيام الليل عشرين ركعة، ثم يجعل الوتر ثلاثة عشر ركعة، هذا تقسيم غير صحيح، فقيام الليل هو الوتر وهو التهجد، إنما سمي التهجد؛ لأنهم يقومونه في آخر الليل.

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

وسمي الوتر؛ لأنه وتر إحدى عشر ركعة، تسع ركعات، سبع ركعات، خمس ركعات، وهكذا.

وسُمِّي قيام الليل؛ لأنه في الليل فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ**»[(١)].

والحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٥).

الفائدة الثامنة عشر:

التفاضل في الآيات والسور القرآنية، والأسماء والصفات الإلهية

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

أخرج الإمام البخاري(١) من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}** [الأنفال:٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «**أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ**»، قَالَ: «**{الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ}** [الفاتحة:٢]، **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

* هذه السورة عظيمة، وهي أفضل سورة في القرآن، ولهذا أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نتلوها في كل صلاة بل في كل ركعة، وسماها الله عَزَّوَجَلَّ الصلاة، ومن أسمائها فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والرقية، والشافية، والكافية، وغير ذلك من الأسماء.

وجاء عند الإمام مسلم(٢) من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا المُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ**

---

(١) برقم (٤٤٧٤).
(٢) برقم (٨١٠).

أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**».

وهذه آية عظيمة تضمنت أسماءً لله عَزَّوَجَلَّ، وصفات لله عَزَّوَجَلَّ، وهي متضمنة لعشر جمل عظيمة تدل على علو منزلتها، ومكانتها من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، مع أن كلام الله عَزَّوَجَلَّ كله فاضل، وكله كمال، ولكن قد فاضل الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وجاء عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»(١) أي: {قُلْ هُوَ اللَّهُ}.

وجاء (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيكُم ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٤).
(٢) أخرجه مسلم (٨١٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٥).

ﷺ، فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ**»(١).

وجاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ. فَقَالَ: «**يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ**»؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»(٢)، وفي رواية: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»(٣).

* فهذه ثلاث فضائل لثلاثة مواطن من القرآن تدل على علو منزلة ما ذكر من السور والآي، والقرآن كما قلت لكم: كله كلام الله، ووحيه، وتنزيله، ونوره؛ لكن الله عَزَّوَجَلَّ قد فاضل بين بعضه، ومن هذا أخذ أهل العلم التفاضل بين الأسماء والصفات؛ لأن القرآن صفة الله ومتضمن لأسماء الله.

* وكما وقع التفاضل فيه، فالتفاضل في صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وفي أسمائه حاصل، ومن هذا الباب الاسم الأعظم الذي أخبر عنه النبي ﷺ كما جاء عَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٠١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٢٥١٢)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(١).

فأسماء الله كلها عظيمة، لكن منها عظيم وأعظم، ومنها فاضل وأفضل، وهذه السور التي ذكرتها لكم ينبغي لنا أن نعرف معانيها؛ فسورة الفاتحة نقرأها في كل ركعة، وهي نصفين كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند مسلم(٢) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة:١]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

ففيها بيان حقٍ لله عَزَّوَجَلَّ، وقسمٌ فيه بيان للطريق الموصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهو سؤال العبد لله أن يبصره بهذا الطريق.

* وآية الكرسي أخبر النبي ﷺ: «**أنه من قرأ آيةَ الكرسيِّ في ليلةٍ، لم يزَلْ عليه من اللهِ حافظٌ ولا يقربُه شيطانٌ حتى يُصبحَ**»، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩٦٥).
(٢) برقم (٣٩٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣١١).

وجاء عن غيره أنها تُقرأ في الصباح، والمساء، ومن قرأها لا يقربه شيطان حتى يمسي، وحتى يصبح، وهذا فضل عظيم.

وأما قرآتها دبر الصلاة، فقد جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»، أخرجه النسائي(١)، لكن الحديث ضعيف، من رواية مُحَمَّدِ بْنِ حِمْيَرٍ، وقد أنكر الذهبي هذا الحديث كما في الميزان.

وسورة الإخلاص أخلصت الوصف لله عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:١]، أمر الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وهذا كما قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق:١]، {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس:١]، {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ} [الجن:١]، فهو عبدٌ مأمورٌ، كما قال عن نفسه: أقول كما قال الله، بمعنى الحديث، يقول كما قال الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، قال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.

* **وبين بعض أهل العلم أن القرآن ثلاثة أجزاء:**

- جزء في التوحيد ودلت عليه سورة الإخلاص.
- وجزء في القصص والأخبار، وهذا في القرآن كثير مما قصه الله علينا من أخبار من سلف، ومن أخبار من سيأتي.
- وقسم أحكام، كأحكام الصلاة، والصيام، والنكاح، والعدة، وغير ذلك من الأحكام.

* ف{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} متضمنة لحق الله عَزَّوَجَلَّ، فمن أسمائه الأحد، ولا يجوز أن يسمى أحدٌ بهذا الاسم من باب الإثبات إلا الله عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) برقم (٩٨٤٨).

أَحَدٌ}، ولهذا لم يقل الأحد، قال العلماء لأنه مختص به.

بينما في الصمد، في العليم، في الخبير، في الحكيم، في القوي؛ لأنها أسماء غير مختصه تقدم بالألف واللام الذي يفيد الاستغراق، والاختصاص.

بينما في هذا الاسم {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، أي: الأحد الذي {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١]، {وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد:١٦].

* وقوله: {اللَّهُ الصَّمَدُ}، الصَّمَدُ: الذي لا جوف له، وقيل: الذي تصمد إليه الخلائق، وقيل: الذي {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وقيل: هو الكامل في سؤدده، الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في جميع صفاته.

وكلها معاني يدور عليها معنى الصمد، فالله عَزَّوَجَلَّ تَصمد إليه الخلائق، وهو السيد الذي كمل في سؤدده، وهو الذي {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}.

وهذه التي تقدمت تسمى عند العلماء صفات ثبوتيه، وأما قوله: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}: هذه تسمى صفات منفية، أو سلبية بمعنى أن الله ينزه عنها.

{لَمْ يَلِدْ}: بحيث أن له ولد، {وَلَمْ يُولَدْ}: بحيث أن له والد، بل هو سبحانه الخالق، وما سواه مخلوق، بل هو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

فالله عَزَّوَجَلَّ صمدٌ لم يلد ولم يولد، بل هو المتصف بالحياة الأزلية الأبدية، قَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} [الجن: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان:٥٨].

وَقَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة:٢٥٥].

* قوله: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، لم يكن له سمي، ولا مثيل، ولا معين، ولا ظهير، ولا نصير، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتفرد بالخلق، والملك، والتدبير.

كما أنه المتفرد بالألوهية، فمن أشرك معه غيره بطلت عبادته، لا يجوز أن يشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ غيره لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا.

وقد جاء في بعض الآثار أنها نُسبة الله، كما جاء عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلاَّ سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلاَّ سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لاَ يَمُوتُ وَلاَ يُورَثُ: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلاَ عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[(١)].

وجاء مرسلًا عَنْ أَبِي العَالِيَةِ والمرسل أصح، وابن حجر يحسنه لتعدد طرقه.

فهذه السورة فيها صفات الله عَزَّوَجَلَّ الثبوتية الدالة على الكمال المقدس من كل وجه.

من هذا عُلِمَ أنَّ هذه الآيات القصار، والسور القصار، ربما يكون فيها من المعاني، والفضائل ما يفوق غيرها، وكلما كانت السورة والآية متمحضة في بيان حق الله كلما كانت أكمل من غيرها من السور والآي، مع أن كله كلام الله، ووحيه، وتنزيله. وإنما قلنا هذا من باب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بين التفاضل بين السور والآي؛ كي يكون عند العبد مزيد إهتمام لقراءة بعض السور والآي وتدبرها.

وهذا السور التي ذكرتها يعلمها أغلب المسلمين ومع ذلك يجهلون

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٤).

أحكامها إلا من رحم الله.

ولو علم المسلمون معاني السور والآي لازداد إيمانهم، وازدادت مراقبتهم، وزاد خوفهم ورجائهم في الله عَزَّوَجَلَّ.

وكما أسلفت لكم، ذلك الأنصاري الذي كان يقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، في كل ركعة، لا لأنها قصيرة، قد قال له أصحابه: إن كنت ترى أنها لا تجزيك أقرأ بغيرها، وإن كنت ترى أنها تجزيك اقرأ بها، لكن قال: إِنِّي أُحِبُّهَا لأنها صفة الله.

وفي الحديث الآخر: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»، وكان الله محبًا له؛ بسبب حبه لصفة الله، بارك الله فيكم.

الفائدة التاسعة عشر:

رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ:

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ}، ثم يقول في آخرها: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين:٢٢-٢٦].

استدل العلماء بهذه الآية على أن أعظم ما شمَّر من أجله المشمِّرون، وتنافس من أجله المتنافسون؛ هو الوصول إلى النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؛ ولهذا كان يقول النَّبِيُّ ﷺ في دعاءه المأثور: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»(١).

وفي حديث صُهَيْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ»، وفي روايةٍ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦](٢).

وفسرت الزيادة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنها النظر إلى وجه الله يوم القيامة.

---

(١) أخرجه النسائي «الكبرى» (١٢٢٩) عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١٨١).

وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

والمزيد: هو النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

والمؤمنون يرون الله عَزَّوَجَلَّ حين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والكافرون يحجبون لغضبه عليهم، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

والمؤمنون يرون الله عَزَّوَجَلَّ في موطنين:

١- **الموطن الأول**، في أرض المحشر، والدليل قول اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، والنظر هنا عُدِّي بإلى، والمراد به: نظر العين.

* والنَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

كما في حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وأَبِي هُرَيْرَةَ، وأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيسَ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»(١). فالله عَزَّوَجَلَّ يُنعِمُ على المؤمنين بالنظر إليه في يوم المحشر، فيطمئنون، ويستبشرون.

٢- ثم يُنعِمُ عليهم بالنظر إليه في الجنة يرونه بأبصارهم.

وأحاديث الرؤية متواترة حتى قال بعضهم:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ ❁❁❁ وَمَنْ بَنَى للهِ بيتًا واحْتَسَبْ

ورؤيـةٌ شَـفَاعَةٌ والْحَـوضُ ❁❁❁ وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وهذى بَعْضُ

---

(١) البخاري (٥٥٤،٨٠٦،٤٥٨١،٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢،١٨٣،٦٣٣،٢٩٦٨).

وقد ألف فيها الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا من أنفس ما صنف في هذا الباب، وهكذا الأجري في كتابه «الشريعة» كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وألف فيها أبو شامة رسالة، ومنَّ الله عليَّ أيضًا بوضع رسالة في الصحيح في هذا الباب مع رد شُبه المخالفين الذين يزعمون أن الله لا يراه المؤمنون يوم القيامة من أمثال: الروافض، والإباضيه، والمعتزلة، والجهمية، ومِنْ مَنْ تأثر بهم.

أما مذهب أهل الحق الذي عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان، والذي دل عليه القرآن، والسنة، وإجماع السلف: أن الله يراه المؤمنون بأبصارهم حقيقةً، ولا يحيطون به، لقول الله عَزَّوَجَلَّ:{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣].

* **فالمنفي هنا: هو الإحاطة بالله** عَزَّوَجَلَّ، {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠]، ولا يحيطون به رؤية، وإنما يرونه بأبصارهم حقيقةً، ولا يحيطون بذاته؛ لأنه الكبير المتعال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ومما يدل على أن الإدراك رؤية وزيادة؛ أن قوم موسى لما رأوا قوم فرعون قالوا لموسي: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء:٦١]. قال موسى: {كَلَّا} [الشعراء:٦٢]. نفى موسى الإدراك، ولم ينفِ الرؤية.

وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف:١٤٣]؛ فهذا في الدنيا، {وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف:١٤٣]، علم موسى أن لا قدرة له على النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا.

وَالنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **حَتَّى**

يَمُوتَ»[١]، هذا خبر، وخبر النبي ﷺ صدق، وتتعلق به أحكام الثبوت، فلا أحد يرى ربه إلا بعد الموت.

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[٢].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ} [البقرة:٢٢٣].

* قال العلماء كل آية ذكر فيها اللُّقي فيدخل فيها الرؤية؛ لأن الرؤية لا تكون إلا بلقي، أو كما قالوا رحمهم الله كما قرر ذلك ابن خزيمة، وشيخ الإسلام، والشيخ ابن باز، وغير واحد من المتقدمين، والمتأخرين.

وجاء فِي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**»[٣].

الحديث دليل على أن المؤمن يلقى الله ويرى الله عَزَّوَجَلَّ، ومع ذلك الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**»[٤]، وقال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ**»، والشمس والقمر في

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩)، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.
(٢) متفق عليه، البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦)، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦٨).
(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

السماء فالله عَزَّوَجَلَّ يُرَى في العلو، خلافًا لم ذهبت إليه الأشاعرة من أن الله يُرَى لا في جهة، ورد عليهم العلماء هذا القول، فإن ما من موجود إلا ويُرَى في جهة، والله عَزَّوَجَلَّ يُرَى في جهة العلو؛ لأنه على عرشه استوى.

فاسأل ربك أيها المسلم بمعنى هذا الحديث الذي كان النبي ﷺ يسأله الله: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**».

أعظم نعيم الجنة، أعظم من الحور العين، وأعظم من شرب اللبن، والعسل، والماء، وغير ذلك من النعم التي في الجنة، النظر إلى وجه الله.

فيجب أن نعتقد ما أعتقد السلف، ونتكلم بما تكلم به السلف، وندعوا إلى ما دعا إليه السلف رضوان الله عليهم.

ومن أسباب النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ:

* **المحافظه على صلاة الفجر، والعصر في جماعة.**

قال النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ - أَوْ لَا تُضَاهُونَ - فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}** [طه:١٣٠]»(١).

* **ومنها توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.**

* **والإحسان مع الخلق ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.**

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣).

﴿الْحُسْنَى﴾: الجنة.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾: النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾: من نعيم الجنة.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبالله التوفيق

الفائدة العشرون:

بيان بعض أهم أسباب الرزق

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فإن من طبيعة الإنسان أن يحرص على رزقه، وعلى طرق جمعه؛ لأن الإنسان يعيش على ذلك، ولهذا ما خلق الله أحدًا إلا وقد كتب رزقه، وأجله، وعمله، وكتبه شقيًّا، أو سعيدًا.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»(١).

والله عَزَّوَجَلَّ قد هدى كل مخلوق إلى طرق رزقه، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

فلو تأملت الجنين منذ أن يكون نطفة في بطن أمه وحتى يخرج، ويرزقه الله عَزَّوَجَلَّ وهو في بطنها يسخر له دمًا يغذيه، فإذا ما خرج تحول ذلك الدم إلى لبن، ثم يقويه الله عَزَّوَجَلَّ حتى يتقبل بقية الأرزاق.

وهكذا في الحيوانات قد جعل لها طرقًا في تحصيل معائشها فتجد الدود الذي في الدقة بمكان يبحث عن رزقه ويتحصل عليه، والذي يرزقه الله، وهكذا الطير، كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا**

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(١)، ربما يخرج طائر من بيضة لا يعلم شيئًا مما يقوم حياته وإذا بربنا يسخر له في أمه أو ببعض الطيور تأكله بمنقارها.

ولله عَزَّوَجَلَّ الحكمة، والقوة، والقدرة البالغة، في هذا الباب. انظر إلى الأسماك يسترزق بعضها من بعض.

والذي يهمنا في هذه الحالة أن نذكر شيئًا من أسباب الرزق الذي غفل عنها الناس، فإن كثيرًا من الناس أصبح حاله كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ**»(٢)، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قَالَ: «**اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**» قال: أخذ الحلال، وترك الحرام.

وأعظم أسباب الرزق:

* التوحيد:

فالموحد يرزقه الله رزقًا مباركًا فيه، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٦-٥٨].

* الصلاة:

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ} [طه:١٣٢].

* التمسك بالكتاب والسنة:

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٥)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٥٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَعْمَلُونَ} [المائدة:٦٦].

ومما يدل على ذلك قول النَّبِيِّ ﷺ: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»(١).

وقد أقبل الله عَزَّوَجَلَّ بكنوز كسرى، وقيصر على المسلمين، لما طبقوا الكتاب والسنة وامتثلوهما علمًا وعملًا.

*** الإيمان:**

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف:٩٦].

فالإيمان بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا، من أوسع أبواب الرزق سواءً الرزق الخاص: الذي هو الإسلام، والإيمان، والعمل الصالح، أو الرزق العام: الذي هو من مأكول، أو ملبوس، أو غير ذلك من المتمولات.

*** الدعاء:**

فإنه من أعظم أسباب الرزق، ولهذا كان من الدعاء المأثور: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»(٢).

فالله عَزَّوَجَلَّ بيده خزائن السموات والأرض، ولا يعجزه شيء، فما على الإنسان إلا أن يرفع أكف الضراعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ متوسلًا إليه بفضله، وكرمه، وجوده، ورحمته، وغير ذلك من صفات الإحسان، والكمال.

فإن الإنسان إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ استجاب له، فكم من فقير أغناه الله، وكم من محتاج فرج الله عنه، وكم من جائع أطعمه الله، وكم من عارٍ كساه الله.

كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ**

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٧)، عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

فالله عَزَّوَجَلَّ يُسترزق، ويطلب منه الرزق، قَالَ تَعالَى: {هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٨].

* التوكل:

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**(٢).

يرزق طائر لا يد له، ولا قوة إلا بالجناح، والمنقار، وإذا به يذهب خميصًا جائعًا، ويرجع بطينًا سمينًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٥)، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعم فالتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم وأوسع أبواب الرزق الحلال الطيب المبارك؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يضيع من توكل عليه، ولا يضيع من رجاه، ولا من طلب الخير منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*** طلب العلم:**

ففي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الترمذي(١)، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**».

*** الاستغفار:**

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح:١٠-١٢].

فالاستغفار، والتوبة من أعظم أسباب تكفير الذنوب، والذنوب من أعظم أسباب منع الإنسان من رزقه الذي يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ له، فإن المعاصي تحيل بين الإنسان وبين ذلك.

*** فعل الأسباب الشرعية من العمل وغيره:**

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك:١٥].

*** تفريج الكربات:**

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ**

---

(١) برقم (٢٣٤٥)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١].

* فيا عباد الله علينا أن نسلك هذه المسالك الشرعية، والطرق السوية في سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الرزق، فإن الله عَزَّوَجَلَّ حييٌ كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا.

فما علينا إلا أن نحسن الظن بربنا عَزَّوَجَلَّ، ونتوكل عليه في قضاء حوائجنا، وتيسير أمورنا، والله هو المستعان، وعليه التكلان.

وقد ذكرت أكثرمن ذلك في كتابي «الدر المكنون في أحكام الديون».

الحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة الحادية والعشرون:

أهميـة الصـلاة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

من أركان الإسلام الخمسة المشهورة، الصلاة.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة:٤٣]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} [النساء:١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون:٤-٥]، وُقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ} [المدثر:٤٢-٤٤].

وامتدح الله المصلين في مواطن:

* قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} [المعارج:٢٣].

* وقَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج:٣٤].

وذم الله عَزَّوَجَلَّ الخُلْف الذين لا يصلون وأضاعوها عن وقتها، قَالَ تَعَالَى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم:٥٩].

فشأن الصلاة عظيم لاسيما، أن يصليها المصلي في بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى،**

وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»(١).

ثم أخبر أن الصلاة في المسجد من سنن الهدى، التي ينبغي أن يحافظ عليها المسلم في رمضان، وفي غير رمضان، وفي صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات؛ الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر؛ لا مناص للمسلم في التخلف عنها إلا لمرض، أو سفر، وغير ذلك من الأعذار كمن أكل ثومًا أو بصلًا فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** - يَعْنِي الثُّومَ - **فَلَا يَأْتِيَنَّ الْمَسَاجِدَ**»(٢)، أو من حضرت الصلاة وهو يدافعه الأخبثان؛ فتأخر عن الجماعة. أو من حضره الطعام، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»(٣).

وإلا فالأصل أنَّ الإنسان إذا سمع النداء وجب عليه أن يكون مليًا.

* جاء عبد الله ابن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النَّبِيِّ ﷺ يستئذنه في التخلف عن الصلاة، وكان أعمى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).
(٢) أخرجه مسلم (٥٦١).
(٣) أخرجه مسلم (٥٦٠).

ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَجِبْ**»(١).

فإذا كان الأعمى لا توجد له رخصة، وكان حضوره الصلاة لا يؤدي إلى ضرره، فكيف بك أيها المبصر؟

وكيف بك أيها الشاب؟

وكيف بك أيها الشيخ؟ الذي مَنَّ الله عليك بنعم كثيرة؛ صحة البدن، والسمع، والبصر، وربما القرب من المسجد.

ومع ذلك تتخلف، هذا يخشى عليه أن يكون من المُخَلَّفِين الذين يتخلفون عن الخير، ويُخشى عليهم الضرر.

فعلينا أن نحافظ على هذه الصلوات في أوقاتها حيث ينادى بها، وعلينا أن نصلي كما صلى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أمور لا بد أن تجتمع حتى تكون الصلاة مقبولة تامة.

جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ، تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، وَقَالَ: أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٩)، ومسلم (٦٤٩).

فيا أيها المسلم الذي لا تبالي بهذه الأجور العظيمة، كم تحرم؟ كم يفوتك من الخير؟ وكم تتحمل من الإثم؟ من أجل عشر دقائق.

الفرض يمكن أن يصليه المسلم في عشر دقائق هذا مع القراءة المتأنية، ومع إحسان الركوع، والخشوع، والتطويل فيهما، أما إذا كان يصلي صلاة خفيفة ربما في خمس دقائق ربما الركعة تأخذ دقيقة مع ذلك يضيع الصلاة التي أول ما نحاسب عليها يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ: **انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكْمِلُونَ بِهَا فَرِيضَتَهُ، ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حِسَابِ ذَلِكَ**»(١).

أول شيء تسأل عنه الصلاة، ماذا جوابك؟ إذا قلت: ما صليت مصيبة، وإذا قلت: صليت، على أي طريقة صليت؟، وفي أي وقت صليت؟، وعلى أي هيئة صليت؟.

فنحن مسؤلون عن أمور: إن أتيت بالعبادة، كيف أتيت بها؟، ولمن أتيت بها؟، وإن لم تأتِ بها، لماذا لم تأتِ بها؟.

* فحثوا أنفسكم وحظوا أزواجكم، وحظوا أبناءكم على التقرب إلى ربكم؛ فإنه سبحانه ما تقرب به بشيءٍ أحب إليه مما أفترض علينا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»(٢).

ومن أوجب ما أُفترِضَ علينا الصلاة، الصلاة التي من تركها كفر، فعَنْ

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧٠٤).

الفائدة الثانية والعشرون:

بيان حال المؤمن، والمنافق المعرض عن وحي الله تعالى

الحمد لله، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أمَّا بعدُ:

وصف الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين، بقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢].

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ المنافقين بقوله: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد:١٦].

وجمع الله عَزَّوَجَلَّ بين الوصفين بقوله: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة:١٢٤-١٢٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصفهم أيضًا: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ} [التوبة:١٢٧].

* من هذه الآيات يظهر الفرق الواسع، والبَوْن الشاسع بين المؤمن وغيره، وأن المؤمن يتقبل ما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلى رسوله ﷺ، وحاله ما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥].

* **أما الصنف الثاني** فهو رادٌ لكل ما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ إما بلسان الحال، وإما بلسان المقال، وإما بهما، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن اليهود، وغيرهم بقوله: {قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} [البقرة:٩٣].

قوله: {سَمِعْنَا}، يعني: ما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: {وَعَصَيْنَا}، أي: لم نلتزم شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

ففرق عظيم بين {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، و{سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}، فهذا في طرف السعداء، وهذا في طرف الأشقياء، هذا حقق العبودية، وهذا حقق التمرد على الله عَزَّوَجَلَّ.

فيا أيها المسلم اجعل من نفسك مستجيبًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل ما تسمع، القصور حاصل لدى كثير من الناس، لكن ليكن حالنا كما قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال:٢٤].

ومعنى الآية أن المؤمن إذا استجاب لأمر الله، ولأمر رسوله ﷺ، حصلت له الحياة، حياة القلب، وحياة الإيمان، الحياة الحقيقية.

وإذا لم تحصل منه هذه الاستجابة، حصل النقيض، حصل الإعراض، والقسوة، وكم نسمع في رمضان، وغير رمضان، من النصائح، والمواعظ، وما أظن أحدًا من المسلمين إلا في بعض المناطق النائية إلا وهو يسمع موعظة، وعلم، وتذكير، ودلالة على الهداية، وإرشاد إلى الخير.

ولكن العلة في قلة الاستجابة، صارت العبادة عندنا مواسم، في رمضان كل الناس يصلي، كل الناس يصوم، كثير من أصحاب المعاصي يتركون، ينتظرون ذهاب رمضان؛ إذا ذهب رمضان، عاد تارك الصلاة إلى تركه، وعاد المذنب

والمسرف على نفسه؛ إذن لم تكن العبادة لله عَزَّوَجَلَّ خالصة، كانت العبادة بالزمان، ما هكذا أُمِرَ المسلم.

المسلم مأمور بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ في جميع العام، مأمور بالاستجابة لأمر الله عَزَّوَجَلَّ في جميع العام، مأمور بامتثال سنة النبي ﷺ في جميع العام؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن، وأوحى السنة ليعمل بها حتى يأتي الإنسان اليقين، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر:٩٩].

فلا تكن عبادتنا لله موسمية، نعم إن هناك أوقات أفضل من أوقات، وهناك هبات من رب العباد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمتن على الناس بها من أجل تكفير ذنوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، ويكون فيها بلاغ لهم ونشاط؛ لكن ليس معنى ذلك أن تعود القهقرى قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه(١).

فإذا انتهى رمضان شرع الله صيام ستة أيام من شوال، كما قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»(٢).

فإذا انتهى شوال، شرع الله عَزَّوَجَلَّ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وشرع صيام يوم عرفة؛ تكفر السنة الماضية والآتية، وشرع صيام يوم عاشوراء؛ يكفر السنة الماضية، فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ،**

---

(١) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١١٦٤) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»(١).

وهكذا في الصلوات جعلها الله عَزَّوَجَلَّ تتناوب في اليوم والليلة، تارة الفرض، وتارة النفل فلا تبخل على نفسك أيها المسلم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، لاتكن من الذين قالوا: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ} [التوبة:١٢٧].

هذه الأيام صفدت الشياطين، وحصل لك الإيمان فاستمر على هذه الدفعة، استمر وواصل، صليت في المسجد لازم المسجد، ما هو آخر ليلة في رمضان ما تأتي المسجد حيل بينك وبين الطاعة، هذا من علامة عدم قبول العمل، فمن علامة عدم قبول العمل أن ينقطع العبد عن العمل، ومن علامة قبول العمل أن العمل الصالح يجر إلى عمل آخر.

ولهذا ذكر بعض أهل العلم في علامة الحج المبرور، قالوا: أن يستمر العبد على الطاعة بعد الحج.

هذا هو الذي أمرنا الله به، وشرعه الله، لنا فلنستفد من هذه المواسم بمضاعفة الجهود، والأجور المترتبة على ذلك، وزيادة الإيمان، فإذا خرج الموسم لا أقل أن تبقى على الواجب، كما قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فيما يرويه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**»(٢). والحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦٧٦٤).

الفائدة الثالثة والعشرون:

الإيمان باليوم الآخر

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

من عقيدة أهل السنة، والجماعة الإيمان باليوم الآخر: وهو أحد أركان الإيمان الستة التي دل عليها حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه مسلم[١] قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

والذي دل عليها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**»[٢].

وهكذا القرآن مليء بذكر اليوم الآخر، وبأسمائه المتكاثرة الدالة على صفاته العظيمة، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده، وينتهي الناس إلى دارين لا ثالث لهما، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى:٧].

وهو يوم مهول، قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:١-٢].

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»[٣]، وجاء

---

(١) برقم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عند أحمد(١): «عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا».

* **أما الحفاة**: الذين لا نعال لهم.

* **وأما العراة**: الذين لا لباس لهم.

* **وأما البهم**: الذين ليس لهم شيء من المتاع.

* **وأما الغرل**: فهو الغير مختون.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**».

ويحشر الله عَزَّوَجَلَّ الناس جميعًا، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ} [المطففين:٦] قَالَ: «**يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء:١٠٤]**»(٣).

﴿ إلا أن هنا أمور ينكرها المبتدعة ناسب الحديث عنها، وهي الصراط.

فالصراط ثابت في السنة، وقد أشار إليه القرآن، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم:٧١-٧٢]، والمعنى الصحيح لهذه الآية وعليه جماهير المفسرين، أن المراد بالورود هو المرور على الصراط يوم القيامة.

---

(١) برقم (١٦٠٤٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣١)، ومسلم (٢٨٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم:٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم:٧٢]**»(١).

وجاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم:٧١]، قَالَ: «**يَدْخُلُونَهَا، أَوْ يَلِجُونَهَا، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ**»(٢).

* **والصراط**: هو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم يجوزه المؤمنون، لا يجوزه غيرهم؛ لأن الكافرين يُساقون إلى النار سوقًا حتى يُلقون فيها، ويتقادعون فيها تقادع الفراش، وأما المنافقون فهم يصعدون على الصراط، ثم تنطفئ أنوارهم، فيرجعون فيتقادعون فيها، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [الحديد:١٣-١٤].

وهو جسرٌ «**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**»، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**»(٣)، وفي روية «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).
(٢) أخرجه أحمد (٤١٢٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٣).
(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٩).

قوله: «**دَحْضٌ**» أي: أن الناس يزلقون عليه زلقًا إلا من ثبته الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «**مَزِلَّةٌ**» أي: أن من سقط منه سقط في النار.

وحاله كما قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(١).

وهو السبيل إلى الجنة، لا سبيل إلى الجنة إلا من طريق الصراط، وأول من يجيزه محمد ﷺ وأمته، ولا يتكلم عند الصراط إلا الرسل، ودعوتهم: «**اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**»(٢).

وبعد الصراط قنطرة توصل بين الصراط وبين الجنة، يُحجز الناس عليها لا يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لأحد، ما يدخل إلا بعد أن يُنقى، ويُهذَّب، ويُصفَّى، ففي البخاري(٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»، فنؤمن بهذا كله، وينبغي أن نستعد لمثل هذه المواطن.

۞ ومما يؤمن به أهل السنة، والجماعة: الحوض.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:١-٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) برقم (٢٤٤٠).

* **والحوض**: هو نهر وعده الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عليه خيرٌ كثير، آنيته عدد النجوم، وماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، وزواياه سواء مسيرة شهر تمده ميزابان من الجنة من نهر الكوثر، من شرب منه لا يظمأ بعدها ابدًا.

فعَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(١)، وفي رواية: «**هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ**»(٢).

وأحاديثه متواترة وأقرب المراجع كتاب الفضائل من «صحيح مسلم».

* **ويطرد منه طائفتان، الطائفة الأولى: أهل البدع**، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»، متفق عليه(٣)، وفي رواية: فَأَقُولُ: «**سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»(٤).

* **ويطرد منه بعض أهل المعاصي**، ففي «مسند أحمد»(٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «**أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٧).
(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٦)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) برقم (١٤٤٤١).

يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي».

* **ومن يُكرم بالشرب منه أهل اليمن**، والمقصود بهم أهل السنة، أهل الإسلام الخالص، لا أهل الشركيات، والبدع، والخرافات الذين غيروا، وبدلوا. فَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**»[(١)]، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ: أَطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ لِيَرْفَضَّ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، وَهَذِهِ كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ مُجَازَاةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ، وَتَقَدُّمِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَمَعْنَى (يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ) أَيْ: يَسِيلُ عَلَيْهِمْ[(٢)]. اهـ.

وهذه كرامة عظيمة إذ يُقَدَّمُونَ في الشرب من حوض رسول الله ﷺ، فينبغي لنا التمسك بالسنة حتى ندخل في هذه الفضائل.

وقد أنكر الحوض أهل البدع من المعتزلة، والخوارج، ومن تأثر بهم من الروافض، وغيرهم.

✿ ومما نؤمن به الميزان: ميزان توزن به أعمال العباد له كفتان:

١ - يوزن العبد العامل:

كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٦٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»(١).

٢- ويوزن العمل:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»(٢).

٣- وتوزن الصحف:

كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ »، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»(٣).

* ومراتب ما ذكرناه على النحو التالي:

١- الحوض.

٢- ثم الميزان.

٣- ثم الصراط.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٩٩١)، وهو في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩).

وهذه مواطن لا يعرف فيها أحدٌ أحدًا.

ففي «مسند أحمد»(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**» قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ**» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

٤- وزد إليها موطن رابع؛ وهو موطن تطاير الصحف.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة:١٩-٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا} [الانشقاق:٧-١٢].

هكذا يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن المؤمن يأخذ كتابه بيمينه، وأن الكافر يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره، فيجب علينا الإيمان بما تقدم، وما لم يُذكر من اليوم الآخر.

وهذه المواقف يجب علينا أن نستعد لها، نستعد بالتمسك بالكتاب والسنة، حتى تشربَ من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأخذ كتابك بيمينك، وتجوز الصراط،

---

(١) برقم (١٢٨٢٥).

ويثقل ميزانك، وإلا فلا ينفع في ذلك اليوم، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء:٨٨-٨٩].

والحمد لله.

الفائدة الرابعة والعشرون:

الموت في الأيام أو الأماكن الفاضلة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

يسأل بعضهم ويقول: نرى أُناسًا على غير صلاح واستقامة، ولكن نراهم يموتون في الأيام الفضيلة مثل رمضان، ومثل يوم الجمعة؟

أقول موتهم في مثل هذه الأيام، أو موتهم في الأماكن المفضلة مثل الحرم، وغيره، لا يغير من حالهم شيئًا، ولا يدل على صلاحهم، ولا على حسن الخاتمة؛ لأن الإنسان إنما يجازى على عمله، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في وصف أهل الجنة: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف:٧٢].

وهكذا يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في شأن أهل النار بأنهم ما دخلوها إلا بسبب معاصيهم، وكفرهم، وعنادهم، إلى غير ذلك، قَالَ تَعَالَى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء:١٤].

وأما الحديث الذي فيه: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**»(١)، فهو حديث ضعيف لا يثبت في سنده رَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ وهو ضعيف.

وعلى القول بثبوته يُحمل على أهل الخير، والصلاح الذين هم يعملون الصالحات في جميع الأيام، وإذا جائهم الموت يوم الجمعة كانوا من المستعدين له

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بالتوبة، والاستغفار، وحسن الخاتمة، وغير ذلك.

أما مجرد موت الإنسان في يوم فضيل، أو في شهر فضيل أو في مكان فضيل هذا لا يؤثر ليس من عمله، اليوم الفضيل ليس من عمله، والشهر الفضيل ليس من عمله، والمكان الفضيل ليس من عمله، وإنما يثاب الإنسان بعمله.

والموت في المكان المبارك إن استطاع الإنسان أن يتحصل عليه فهو أمر مطلوب، فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاءه ملك الموت: «**سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ**»(١).

وكان عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرجو أن يموت يوم الاثنين موافقة لموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين، وقبض يوم الثلاثاء؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: فِي كَمْ كَفَّنْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: «**فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ**» وَقَالَ لَهَا: فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: «**يَوْمَ الِاثْنَيْنِ**» قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَتْ: «**يَوْمُ الِاثْنَيْنِ**» قَالَ: أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ(٣).

لأن الزمن الفضيل يفرح به المؤمن يموت على خير، ويبعث على خير، كما قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالإنسان إن مات صائمًا هذا الذي يرجى له الخير، إن مات ساجدًا هذا الذي يرجى له الخير، إن مات مُصليًا مُزكيًا هذا الذي يرجى له الخير، إن مات طالب علمٍ هذا الذي يرجى له الخير.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلاَ تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(١).

لأن هذه أعماله يعملها، ويتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وختم الله عَزَّوَجَلَّ له بها، والأعمال بالخواتيم، أما أن يموت يوم الجمعة ماله فيه أي دخل أصلًا.

ومثله قراءة القرآن على نية الميت ليس للميت فيه أجر؛ لأنه ليس بعملٍ له أصلًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩].

ومثله عندما أن يقول الإنسان: اللّٰهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بحق نبيك، أو بحق موسى، أو بحق عيسى، أو بحق آل البيت أو غير ذلك، ما له فيه أي مدخل.

جاه النبي ﷺ له، وجاه عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ له، وحق آل البيت الصالحين لهم، إذا قلنا آل البيت ما نريد الروافض، الآن أصبح الوصف على آل البيت على الروافض، نعوذ بالله من تقمصهم لهذا الوصف، إذا أطلقنا آل البيت نريد آل البيت الصالحين، مثل: علي، والحسن، والحسين، ومن سار على سيرهم.

فالشاهد أن الإنسان يجازى بعمله، فلا تذهب إلى نسب، ولا إلى يوم، ولا إلى شهر، ولا إلى شيء، اذهب على أنك مُتَ على صلاح في يوم سبت، في يوم

(١) أخرجه البخاري (١٨٥١).

جمعة، في يوم أحد، في يوم اثنين، وأنك مت على صلاح في شهر رجب، أو في شهر شعبان، أو في شهر محرم، أو في غير ذلك من الشهور.

أما أن يظن الظان أن من مات في رمضان له فضيلة، إن مات صائمًا له فضيلة، إن مات قائمًا له فضيلة، أنه يبعث على ما مات عليه.

أما تارك الصيام، ماذا يستفيد إذا مات في رمضان؟

أو تارك الصلاة، ماذا يستفيد إذا مات في رمضان؟

أو متعاطي السيئات والآثام، ماذا يستفيد إذا مات في رمضان؟

فعلينا عباد الله أن نبادر بالصالحات، وأن نستغل الأوقات المباركات بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الإنسان لا يدري متى يُقضى عليه.

كم من إنسان ختم له بسوء خاتمة، انظروا ذلك المغني طلال مداح، كم قد أفسد بأغانيه، كم قد أفسد بدقته على العود، ربما حصل بسبب ما كان عليه فساد عريض في الأخلاق، في القيم، في المبادئ.

لأن الغناء كما قال السلف: بريد اللواط ورقية الزنا، وكان السلف يَحذَرونه جدًا، ويُحذِرون منه، مات وهو يغني على خشبة المسرح والناس ينظرون إليه وهو يدق العود، يبعث على ما مات عليه من البلاء، والشر، نعوذ بالله من الشر والبلاء.

بينما إذا مات الإنسان يقرأ القرآن، ويسبح، ويستغفر، ويحمد ربه، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، مات على وصية طيبة، المؤمن حتى عند موته وهو يخرج منه الصالح، يأمر أهله بالطاعة، يأمر أبناءه بالخير، أوصيكم بكذا، أوصيكم بكذا.

والمجرم إذا جاءه الموت إما يصيح، وإما يتألم ما يريد أن يموت، مع أن

الموت لا مفر منه، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} [الجمعة:٨]، سبحان الله ما قال: يدرككم، أو يلحقكم، قال: مُلَاقِيكُمْ كأنك تجري فار منه ويقطعك قطعًا، فهذا هو الواقع أن الموت أمام الإنسان يدركه لا محالة، قَالَ تَعَالَى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء:٧٨].

ما يستطيع الإنسان أن يفر من الموت أبدًا، لا المَلِكُ، ولا المَملوك، ولا الإنسي، ولا الجني، ولا الغني، ولا الفقير، ما يفرق الموت يقول: هذا مسكين يُرحم، وهذا غني يكرم، وإلا هذا عالم يُترك.

قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف:٣٤].

وَقَالَ تَعَالَى: {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد:٣٨].

أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ آجال العباد إذا جاء الأجل لا يُفَرِّق، ولا ينتظر، قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف:٣٤]

نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان، والسنة، والإسلام.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قلت: بفضلك يا رب. فقلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال: وعلى السنة(١). اهـ.

أمر عظيم أن يموت الإنسان على الإسلام، والسنة وهو بعيد عن البدع، والشر، ولكن أغلب الناس لا يتعظون مع أن أباه مات أمامه، وأمه، وأخاه، وأخته، وجاره وصاحبه، وهو في ما هو فيه من الباطل: كَفَى بِالمَوتِ وَاعِظًا،

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/٤٠٥).

والمفروض أنَّ الإنسان يكفيه الموت واعظًا في ما هو فيه من البلاء، إذا كان من أصحاب المعاصي، إذا ذكر الموت ينزجر.

وإذا كان من أصحاب الطاعات وذكر الموت يزيد في طاعته لأنه يعرف أنه سيحال بينه، وبين ما يشتهي من العمل، قَالَ تَعَالَى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ} [سبأ:٥٤].

وبالله التوفيق.

الفائدة الخامسة والعشرون:

عقيدة أهل السنة في الجنة والنار على أنهما موجودتان الآن

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنهما لا تفنيان أبدا، ولا تبيدان.

ومما يدل على وجود الجنة، والنار الآن ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا يَسْأَلُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ. وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ**»(١)، وهذا الحديث مخرج في كتاب شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

وفيه الكرامة العظيمة للمؤمن، حيث أن الله عَزَّوَجَلَّ سخر له الجنة تدعو له بدخولها، وسخر له النار تدعو له بالسلامة منها، وهذا مما يرجو أن يكون من أسباب استجابة الدعاء.

لأن الجنة كما قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا**»(٢).

فعندما أن تدعو الجنة الكريمة بأن الله عَزَّوَجَلَّ يدخل المؤمن الكريم فيها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٢٤٣٩).

(٢) متفق عليه، البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يُرجى أن يستجاب هذا الدعاء منها، وعند أن تدعو النار المخلوق العظيم أن الله يُسَلِّم المؤمن منها يرجى أن يستجيب الله عَزَّوَجَلَّ هذا الدعاء.

فيا أيها المسلم انظر إلى كرم الله الواسع حيث يسخر لك من يدعو لك، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر:٧]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى:٥].

فما عليك إلا أن تعمل السبب الذي من أجله يرجى أن يرفع الله عَزَّوَجَلَّ درجتك، ويعلي منزلتك، ويتجاوز عن سيئتك، وزلتك.

وحفظ هذا الدعاء سهل، إذا قال المؤمن: اللّٰهم إني أسألك الجنة ثلاثًا، قالت الجنة: اللّٰهم أدخله الجنة، وإذا قال: اللّٰهم إني أعوذ بك من النار ثلاثًا، قالت النار: اللّٰهم أعذه من النار.

فما عليك إلا أن تقول:

* اللّٰهم إني أسألك الجنة، اللّٰهم إني أسألك الجنة، اللّٰهم إني أسألك الجنة.
* اللّٰهم إني أعوذ بك من النار، اللّٰهم إني أعوذ بك من النار، اللّٰهم إني أعوذ بك من النار.

وفي الحديث استحباب الدعاء ثلاثًا، وقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا**»(١)، و«**كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٤)، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٩٤)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وفي الحديث بيان قدرة الله عَزَّوَجَلَّ فهو الخالق إن شاء أن يتكلم من شاء تكلم، فقد تكلم الحجر بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسبح، وهكذا الجنة تتكلم بأمر الله، والنار تتكلم بأمر الله، والجنة في السماء، والنار في الأرض السفلى، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»(١).

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين:٧].

وفي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «**اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى**»(٢).

وقَالَ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران:١٣١].

وقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى في ذكر الجنة: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد:٢٠].

وقَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم:١٣-١٦].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٥٣٤).

خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(١).

والأدلة في ذلك متواترة، وعلى هذا المعتقد إجماع أهل السنة والجماعة.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٦٤٨).

الفائدة السادسة والعشرون:

كل شيء لم يكتب له البقاء، إذا اكتمل بدأ في النقصان

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

* في اليوم الرابع عشر من رمضان، لعام تسعة وثلاثين وأربعمائه وألف.

أقول: من المعلوم أن الشيء إذا اكتمل بدأ في النقصان، إلا ما خلقه الله تعالى للبقاء، وهي المنظومة في قول بعضهم:

ثمانيــة حُكْــمُ البقــاء يعُمُّهــا ❁❁❁ من الخلق والباقون في حيِّز العدمْ
هي العرش والكرسي نار وجنة ❁❁❁ وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف:١٥].

* فالإنسان إذا اكتمل أشدَّه بدأ في النقصان، وهكذا القمر إذا صار بدرًا بدأ في النقصان.

فيا أيها الناس علينا أن نشمِّر فيما بقي، وأن نستغفر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يتجاوز عنا فيما مضى، ونسأله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا فيما يأتي، والأعمال بالخواتيم، فشهر رمضان شهر مبارك من أوله إلى آخره على ما تقدم مرارًا: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**».

إلا أن أواخره أفضل من أوائله، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ**» وَكَانَ سَقْفُ المَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ، فَأُمْطِرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْنَبَتِهِ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ(١).

وكان النبي ﷺ يجتهد في العشر الآواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها، مع أنه كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره؛ لكن «**كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ**»(٢)، أخرجاه.

فالأيام تذهب، والليالي تذهب، وبقي القليل، فـ«**يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ**»، «**وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**».

والناس في آخر المواسم كلٌ حريص على شراء سلعته، أو بيع سلعته، فنحن في آخر الموسم، فلنكن أحرص من أهل الدنيا على دنياهم، ولنشمر.

انظروا دخل رمضان قبل ليال ما كنا نتوقع أن يسير بهذه الخُطا المتتالية، المتسارعة، تَهيَّبنَا حره، وتَهيَّبنَا ما فيه من النصب، وإذا فيه الراحة، والطمأنينة، والسكينة، وكسر الله عَزَّوَجَلَّ ما توقع الناس من الحر، وصرف الله عَزَّوَجَلَّ الضر

(١) أخرجه البخاري (٨١٣).
(٢) البخاري (٢٠٢٤)، مسلم (١١٧٤) واللفظ له، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

الذي حصل لغيرنا، فهذا من دواع أن نقول: اللَّهم لك الحمد والشكر.

وأن نشكر الله عَزَّوَجَلَّ بالقول، واللسان والفعل، فإن النبي ﷺ كان يقيم الليل حتى تتفطر قدماه، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فقَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(١).

والنفوس تضعف، ففي أول الشهر ترى إقبالًا من الكبار، والصغار، ومن الرجال، والنساء على الطاعة، وبالاستمرار في الشهر ترى فتورًا، وتاونيًا، وكسلًا، وهذا ملحوظ عند الكثير إلا من جاهد نفسه.

فينبغي لنا أن نجاهد أنفسنا فيما بقي من هذه الليالي المباركة؛ لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الخير إذا أصلحنا النيات، وعالجنا الطويات، وتابعنا محمد ﷺ فيما كان يفعل ويذر.

والنفس كما تقدم تثقل عليها العبادة، لكن إذا عودتها الطاعة تعودت، النفس كالبعير إذا سايسه صاحبه سار به، وإذا لم يسايسه شرد به، فهكذا النفس إذا سايستها على الطاعة وتتعاون معها في سوقها إلى طاعة الله بالاستعانة به، والرجاء، والتوكل، وبالترغيب، والترهيب، وصلت إلى المطلوب.

وإذا تركتها تشرد شردت، وذهبت إلى حيث ألقت رحلها أمُّ قَعْشَمِ، ربما بعد ذلك لا تستطيع أن تماسكها.

والإنسان الذي ما يستقيم في هذه الأيام متى عساه يستقيم؟! صعب، إذا كان البدن هذه الأيام مؤهل للطاعة، والإنسان يشرد، متى يستقيم؟!

هذه الأيام البِطنة غير موجودة، والبِطنة تذهب الفطنة، وهذه الأيام

---

(١) متفق عليه، البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢١، ٢٨٢٠)، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وعَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

الشياطين، والمردة مصفدة، وهذه الأيام باب الشهوات مغلق أو موصد، أبواب النار مقفلة، وأبواب الجنة مفتوحه، فإذا لم يُؤهَل الشخص للخير مع وجود هذا المؤهلات متى يتأهل؟! .

متى يصل إلى المطلوب؟!.

فالله الله باغتنام ما بقي فالعمر يفنى والليالي تطوى، ولا يدري أحدنا بما يختم له، والأعمال بالخواتيم.

الفائدة السابعة والعشرون:

الاستعاذة من أربع

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

من دعاء المسلم إذا انصرف من صلاته: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب قول هذه الدعوات دبر الصلاة، حتى أن طاووس بن كيسان اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان إذا صلى ولده ولم يدعو بهذه الدعوات أمره أن يعيد الصلاة؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢).

ولو تأملت هذه الأربع التي يُستعاذ منها لوجدت أنَّ الشقاوة كل الشقاوة لأهلها، والمسلم مأمور بالبعد عن أسباب الشقاء والشقاوة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [الأعلى:٩-١٣].

فأولها «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ**»: من عذاب النار التي حرها شديد، وقعرها بعيد.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وجاء بنحوه عن عَائِشَةَ، وابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

قَالَ تَعَالَى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:٥٦].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر:٣٦-٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: {هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج:١٩-٢٢].

ففي كل الصلاة فريضة، ونافلة ينبغي لك وجوبًا، أو استحبابًا على قولين لأهل العلم أن تستعيذ من عذاب جهنم؛ لأنه عذاب شديد.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان:٦٥-٦٦]، شرابها بئس الشراب، ومكثها بئس المقام، قَالَ تَعَالَى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٢٩].

قوله: «**وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»: القبر أول منازل الآخرة، وقد كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلا

تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»(١).

والقبر فيه بلاء عظيم إن لم يثبت الله الإنسان، أوله ضمة القبر حتى تتخالف الأضلاع، وهذا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي اهتز له عرش الرحمن ضُمَّ ضَمَّةً، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ(٢).

قال بعضهم مثل ضمة الأم الحنون وهذا غير صحيح، فقول النبي ﷺ: «**ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»، دال على شدة. نسأل الله السلامة.

وفي القبر فتنة «**مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟**»، ولا يوفق للإجابة إلا موفق، وإلا كم من إنسان كان يصلي، ويصوم، ويحج، ويعتمر، وإذا سأل في قبره قال: «**هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فيقال له: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ... ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»(٣).

فانظر إلى هذه المرزبة «**لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا**»، يُضربُ بها شخص من بني آدم بسبب كفره وبعده عن طاعة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسلم من هذه الفتنة الأنبياء، والصِّدِّيقون، والشهداء، والمرابطون، وأدلة ذلك مبسوطة في موطنه.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٥٤).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٢١٩٣)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٨٦١٤)، عنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والقبرُ كما قال النَّبيُّ ﷺ، إن كان من أهل الجنة: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ**». قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**»، وأن كان من أهل النَّار: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ**»(١).

فَيَقُولُ المؤمن: «**رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي**»؛ لأنه يرى الجنة ومافيها من النعيم، ويَقُولُ المجرم: «**رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ**»؛ لأنه يرى النار وما فيها من العذاب الأليم.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في شأن قوم فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:٤٦].

قوله: «**وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**».

* «**فِتْنَةِ الْمَحْيَا**»: الدنيا وما فيها من الفتن التي تصرف الإنسان عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، والفتن متنوعة منها صغار، ومنها كبار، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «**مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ**»(٢).

* **فمن الصغار**: فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ**»(٣).

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، عنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩١)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٥)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **وهناك فتن تموج كموج البحر**: فَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(١).

هنالك فتن كثيرة، فتنة البدع، وفتنة الشركيات، وفتنة المعاصي والسيئات.

نسأل الله السلامة.

* قوله «**وَالْمَمَاتِ**»، من كان مفتونًا في الدنيا فتن في الممات لم يوفق لقول: لا إله إلا الله، ولم يوفق للخاتمة الحسنة يموت على فتنة، وربما جاءه الشيطان وأغواه.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَضَرْتُ أَبِي الْوَفَاةَ فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ، وَبِيَدِي الْخِرْقَةُ، وَهُوَ فِي النَّزْعِ؛ لِأَشُدَّ لَحْيَيْهِ، فَكَانَ يَغْرَقُ حَتَّى نَظُنُّ أَنْ قَدْ قُضِيَ، ثُمَّ يُفِيقُ، وَيَقُولُ: لَا بَعْدُ لَا بَعْدُ بِيَدِهِ، فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً، وَثَانِيَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ، إِيشْ هَذَا الَّذِي قَدْ لَهِجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ مَا تَدْرِي، فَقُلْتُ: لَا فَقَالَ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، قَامَ بِحِذَائِي عَاضًّا عَلَى أَنَامِلِهِ يَقُولُ: يَا أَحْمَدُ فُتَّنِي، وَأَنَا أَقُولُ: لَا بَعْدُ. حَتَّى أَمُوتَ(٢). اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٥)، ومسلم (١٤٤).

(٢) «حليه الأولياء» (٩/ ١٨٣).

فالإنسان لا يزالُ خائفًا وجلًا من الفتن حتى يموت، قد يأتيه الشيطان عند الموت فيجور في الوصية، وربما ساءت عقيدته في الله، أو في رسل الله، أو في غير ذلك من أركان الإيمان، نسأل الله السلامة.

فإن الشيطان حريص على إغواء الإنسان لاسيما عند الممات، فالمسلم يستعيذ بالله من فتنة المحيا أن يرتد عن دينه، أو يقع له ما لا يتحمله ويفتنه عن دينه، وفتنة الممات.

قوله: «**وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»، الدَّجَّالُ: رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان يدعي أنه ربٌّ، «**مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر أَيْ: كَافِرٌ**»[1]، وفي رواية: «**كَافِرٌ**»، و«**يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ**»[2]، وهو موجود الآن على القول الصحيح من أقوال أهل العلم، كما في حديث الجساسة عند مسلم[3].

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٣٣٨٥)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) برقم (٢٩٤٢)، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ

عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[1].

وفي هذا دليل لنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان حيث يقتل الدجال، ودلائل نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ متكاثرة منها، قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء:١٥٩]»[2].

فهذه أربع دعوات احفظها وادعو بها دبر الصلاة وادعو بها في غير الصلاة:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) متفق عليه، البخاري (٣٤٤٨)، مسلم (١٥٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة الثامنة والعشرون:

اللهم إني: «أعوذ بك من شر سمعي، وشر بصري، وشر لساني، وشر قلبي، وشر منيي»

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

كان من دعاء النَّبِيِّ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَشَرِّ بَصَرِي، وَشَرِّ لِسَانِي، وَشَرِّ قَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي**»(١).

خمسة أمور استعاذ النبي ﷺ من شرها، وهي في الإنسان؛ لأن شرها سبب لفساده.

قوله: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي**»، السمع: تدخل إليه الشبه وتدخل من طريقه كثير مما تسبب الأمراض للقلب؛ فهو أحد طرق القلب فبه يسمع الغناء، وبه يسمع الكذب، وبه يسمع الغيبة، والنميمة، وبه يسمع البهت، وبه يسمع الخير، والشر؛ لكن الاستعاذة من شره، وكم من إنسان أفسده سمعه.

وكما قيل:

يا قومِ أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عَاشِقَةٌ ❁❁❁ وَالأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانَا

بسبب سماعٍ سيءٍ تسلط على هذه الجارحة، فإذا وقاك الله شر قلبك، وشر سمعك الموصل إلى القلب المسموعات السيئة، وقيت شرًا عظيمًا.

قوله: «**وَشَرِّ بَصَرِي**»، البصر: هو طريق المبصرات إلى القلب، وبه

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤٥٥٥)، عَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

يبصر ما يكون سببًا لزيادة إيمانه، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران:١٩٠].

وبه يبصر ما يكون سببًا لفساد إيمانه، قَالَ تَعَالَى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ} [النور:٣٠].

ولسلامة البصر أمر الله بحجاب المرأة؛ فالبصر سبب لوصول شرور المُبْصَرات إلى القلب، فإذا وقاك الله عَزَّوَجَلَّ شر بصرك فقد وقيت شرًا عظيمًا.

وأغلب الذنوب التي تقع على الإنسان، إما أمراض شهوانية، أو أمراض شبهاتية، فالأمراض الشهوانية من أعظمها الزنا، واللواط، وغير ذلك من الفساد العريض الذي مبدأه البصر.

فالإنسان يستعيذ بالله أن يقع بصره إلا على ما يرضي الله، وأن يكون بصره سببًا لزيادة إيمانه لا لزيادة عصيانه، ولهذا عفى الله عَزَّوَجَلَّ عن نظر الفجاءة الذي ربما أطلق للفضاء لغير قصد شيءٍ فإذا به يرى امرأة أو نحو ذلك، فإذا غض بصرة كان ذلك نظر فجاءة معفوًا عنه، وأما إذا أتبع النظرة النظرة فهذا من أسباب فساد قلبه.

قُلْ للمَليحَةِ فِي الخِمارِ الأسْوَدِ ❁❁❁ مَـاذَا فَعَلـتِ بِزاهِـدٍ مُتَعبِّـدِ
قَد كَانَ شَمَّرَ للصَّلَاةِ إزارَهُ ❁❁❁ حَتَّى قَعَدتِ لَهُ بِبَابِ المَسْجِدِ
رُدِّي عَلَيـهِ صَلاتَهُ وصِيَّامَهُ ❁❁❁ لا تَقتُلِيـهِ بِحَـقِّ رَبِّ مُحَـمَّدِ

فالإنسان يستعيذ بالله من شر هذه الجارحة، ربما مشى بها إلى الحرام ويبصر

الطريق الموصل إلى الحرام، كما أن الأذن يسمع بها الحرام والطريق الموصل إلى الحرام.

قوله: «**وَشَرِّ لِسَانِي**»، اللسان: الآفة العظيمة التي ما من يوم إلا وجميع الأعضاء تكفر اللسان وتقول: اتقِ الله إنما نحن بك، كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَفَعهُ قَالَ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ**»(١).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»(٢).

واللسان سبب لكثير من الذنوب والآثام، منها: الكذب، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك من الشر، ومنها الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف.

كما أن به صلاح الدنيا والدين إذا وفق الإنسان لاستخدامه في الطاعات، والقربات به يقرأ القرآن، وبه يذكر الله، وبه يستغفر من الذنوب، والآثام، وبه يُدعو الله عَزَّ وَجَلَّ، وبه يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وبه تبذل النصائح، وبه تتحقق المصالح.

فالإنسان يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ بصلاح لسانه، وأن يقيه الله عَزَّ وَجَلَّ شر لسانه هذا العدو الذي بين فكيك.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ، وَأَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٦٣).
(٣) أخرجه أحمد (٩٠٩٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(١)، فاضمن لسانك وفرجك باستخدامهما بما شرع الله لك، ويضمن لك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الجنة.

❀ قوله: «**وَشَرِّ قَلْبِي**»؛ فشر القلب سبب لفساد الجوارح، والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»(٢).

* **والقلب**: محل الخواطر، ومحل الفكرة، ومحل الرياء، والعجب، والحقد، والحسد وغير ذلك من أنواع البلاء.

فإذا لم يقِك الله عَزَّوَجَلَّ شر قلبك؛ حصل لك الفساد العريض، وإذا كان نبينا ﷺ المعصوم، كان يدعو بهذا الدعاء، فإنه يدعو به تعليمًا لأمته، وتحذيرًا من شرور قلوبهم، وأبدانهم، التي إذا تسلطت عليهم أفسدت أديانهم، ولا حول ولا قوة الا بالله.

وتجد أن مرض المنافقين في قلوبهم، وأن سبب بعد الكفار عن الدين بسبب فساد قلوبهم، قَالَ تَعَالَى: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة:١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة:٧].

لو استقامت قلوبهم لاستقامت جوارحهم، وقيل بأن القلب لم يسمى بهذا الاسم: إلا لتقلبه، لذلك كان النَّبِيُّ ﷺ يتوسل بتقليب الله للقلب أن يثبت

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلبه: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»(١)، و«اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ»، و«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»(٢)، وكان إذا أقسم يقول: «لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»(٣).

فاستعذ بالله من شر قلبك، فأي شر يريده الإنسان يبدأ من القلب بالفكرة والخطرة، والتفكير، وكيفية الحصول عليه، والتزيين يقع في القلب ابتداء، فهو محل صناعة الشر إن لم يسلم الله عَزَّوَجَلَّ منه.

قوله: «وَشَرِّ مَنِيِّي» أي: فرجي، وشر الفرج أن يضعه في زنا، أو في لواط، أو في عادة سرية، أو في غير ذلك من المحرمات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:٥-٦]، وفي الحديث سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: «التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»(٤).

* فهذه الخمسة التي استعاذ منها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجد أنها مدخل كل شر، وكل ذنب، وكل معصية، يُعصى الله عَزَّوَجَلَّ بها في هذا العالم من هذا الإنسان المخلوق الضعيف، فاستعذ بالله من شرورها، فبيده الخير، وبيده الشر في صرفه ودفعه.

ومن دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ»(٥).

فاستعذ بالله من نفسك، ومن شرور نفسك، ومن آثام نفسك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أحمد (٦٥٦٩، ١٧٦٣٠)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه البخاري (٦٦١٧)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه الحاكم (٧٩١٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه أحمد (٨٩٦٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد جمعها النَّبِيُّ ﷺ في بعض المواطن، قال ﷺ: «**وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا**»(١). وفي رواية: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»(٢).

فالإنسان يستعيذ بالله من شر نفسه، وشر غيره، وبعض الناس إذا قلت له: أعوذ بالله من شرك غضب، الشر حاصل لدى كثير من الناس إن لم يدفعه الله عَزَّوَجَلَّ ويرفعه؛ فالذي يدفع الشر هو الله الذي بيده تصريف الأمور، ولايعجزه شيء.

* وفي الحديث من الفوائد:

أنَّ كثيرًا من المفاسد قد تقع للإنسان من نفسه، والشيطان ما يدخل على الإنسان إلا من نفسه، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر:٤٢]، والشيطان يقول، كما أخبر الله تعالى عنه: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} [إبراهيم:٢٢].

فالشيطان ليس له عليك سلطان، ولا يصل إليك إلا بفساد نفسك، إذا توقفت عن الطاعة، والذكر، والدعاء وجد السبل مفتوحة، فيدخل من جهة السمع، أو البصر، أو اللسان، وإذا وصل إلى القلب حرك الشهوات، والشبهات، وأفسد عليك الحياة والمهات.

نسأل الله السلامة ونعوذ بالله من شر الشيطان وشركه، وأن نقترف على أنفسنا سوء أو نجره إلى مسلم. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.

الفائدة التاسعة والعشرون:

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ}

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم:٩-١١].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يضرب الأمثال، للمؤمنين لعلهم يعقلون، ويتدبرون، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت:٤٣].

* وفي هذه الآيات بيان من الله عَزَّوَجَلَّ على أن المؤمن ينتفع بعمله، وأن المخالف لا ينفعه عمل غيره.

- فامرأة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وامرأة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ زوجتا نبيين، ومع ذلك لم ينتفعا بصلاح زوجيهما.

- وأمراة فرعون زوجة أعتى العتاة، وأفجر الفجرة من بني الإنسان، إذ زعم أنه الرب الأعلى، ومع ذلك ما ضرها ذلك في دينها.

ومريم ابنة عمران من بيت صالح، كلهم أولي صلاح هي وذويها، ولكلٍ عمله.

* فينبغي علينا جميعًا رجالًا، ونساءً أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا، وأن نعمل لمرضات ربنا، فهذا هو النافع في الدنيا والآخرة، والله لا تنفع الأموال، ولا الأحساب، ولا الأنساب، ولا الوساطات، ولا الجمال عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما الذي ينفع العمل الصالح، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(٢).

فالنَّسَبُ ما نفع أبا طالبٍ، ولا أبا لهبٍ، والنسب ما ضر بلالًا، ولا صهيبًا، فأولئك وضِعوا بالشرك، وهؤلاء رُفِعوا بالإسلام، والاستقامة.

لعَمْرُكَ مَا الإِنْسَانُ إِلاَّ بِدِيْنِهِ ❁❁❁ فَلاَ تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ

فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ❁❁❁ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيْفَ أَبَا لَهَبْ

ومع ذلك ينبغي لنا رجالًا ونساءً أن نلازم الآداب الشرعية التي يصلح بها

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

البيت؛ من بذل النصيحة، والتوجيه، والدعاء، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[١]؛ لأن الإنسان إذا دعا على نفسه وأهله قد يصادف ساعة إجابة فيقع عليهم الهلكة، لكن نشمر بالدعاء لأنفسنا، ولأبنائنا، وبناتنا، ولزوجاتنا، ولأبناء المسلمين عمومًا لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلح الحال، ويصلح المآل.

مع بذل النصيحة، والتوجيه، والرفق، وكل شيء في موطنه نافع بأذن الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لمَّا رأي الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، قَالَ: «**كِخْ كِخْ**» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»، متفق عليه[٢]، فعلمه صغيرًا، وأدبه صغيرًا، ونفع الله عَزَّوَجَلَّ الحسن بن علي بهذا الأدب النبوي.

وقد أدب النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا رأى يَدَه تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»، قَالَ عُمَرُ: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. متفق عليه[٣].

وتعويد النشأ على الطاعة أمر لازم للآباء، والأمهات؛ لأنه كما قيل:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا ❁❁❁ عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

فإذا رأى منك الوصية بعد الأخرى حتى وإن كان مُتعبًا سينتفع في يوم من

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩)، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

الأيام، وإذا رأى منك عدم المبالاة ربما يتمادى فيما هو فيه من اللعب، والمخالفة، فينشأ على ذلك فتضره ولو بعد زمن، ومع ذلك فحال المؤمن مع غيره كما قَالَ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية:٢٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى} [الأعلى:١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات:٥٥].

فالمؤمن دأبه التذكير، والتوجيه، والتعليم، والنصح، والدعاء لله عَزَّوَجَلَّ.

وبالله التوفيق.

الفائدة الثلاثون:

فضيلة الجلوس مع الصالحين في مجالس الذكر

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

أخرج أبو داود في «سننه»(١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى، أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً**».
والحديث خرجه شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

۞ وفي هذا الحديث بيان لعظم حضور مجالس الذكر، ولعظم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وتكثير سواد الصالحين، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

* **فالجلوس مع الصالحين سبب لنيل الحسنات**، كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه من أن الملائكة يقولون يارب: «**فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»(٢).

---

(١) برقم (٣٦٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقوله: «**لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى**»، بهذا القيد، أما مجالس الغيبة، والنميمة، والقيل والقال، والكذب، والضحك التي تُقسي القلب، وتبعد عن الله عَزَّوَجَلَّ فلا بركة فيها، فقد نهانا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عن «**قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[(١)]؛ ولكن القعود مع الصالحين سبب لنيل الحسنات، ورفع الدرجات، والنبي ﷺ مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وهو في المقام المعلَّى، ومع ذلك بين لمن يسر الله له القعود مع هذه الثلة الذاكرة لله عَزَّوَجَلَّ من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إليه من عتق أربعة من ولد إسماعيل.

* وفي الحديث فضل عِتق العبيد، والإماء، وقَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»[(٢)].

* ومع ذلك فالذكر أعظم أجرًا وأسهل تحصيلًا.

وفي الحديث بركة الوقتين؛ بركة وقت آخر النهار، وأول النهار؛ وهما وقتان مباركان، محبوبان عند رسول الله ﷺ، وقبل ذلك عند الله عَزَّوَجَلَّ إذ خصهما بعبادات دون غيرهما، قَالَ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم:١٨]، ولهذا خُصَّ هذان الوقتان بمزيد ذكرٍ لله عَزَّوَجَلَّ كأذكار الصباح، وأذكار المساء.

فيا مسلم لا تبخل على نفسك في صباحك، ومسائك بنيل الدرجات العلى، والنعيم المقيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣)، عَنْ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويا مسلم لا تضيع هذه الأوقات المباركة بغير ما يقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان:٣٤].

وأحاديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيها بركات كثيرة، لكن نأخذ الظاهر من دلالتها، وإلا لو أراد أحد أن يتكلم عن فضل الذكر الذي تضمنه هذا الحديث لكان في سِفرٍ مستقلٍ؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعث بجوامع الكلم.

الفائدة الحادية والثلاثون:

قال تعالى: {ونبلوكم بالشَّرِّ والْخير فتنةً وإلينا تُرْجعون}

الحمد لله، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء:٣٥]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان:١].

ومما ابتلى الله عَزَّوَجَلَّ به العباد ما ينوبهم من الخير، ومن الشر، ومن المصائب، ومن النعيم، فكم من متنعم لم يشكر ربه على هذا النعيم؟!؛ بل كان نعيمهم من أسباب بعدهم عن الله عَزَّوَجَلَّ، وكم من مبتلى لم يستفد من بلواه بالرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فزاد شره على ما فيه من البلاء؟!، وبعد من الله مع ما فيه من البلاء.

* **بينما المؤمن حاله مختلف عن ذلك تمامًا**، كما في حديث صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم(١): «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**».

أنعم الله عليه بالولد، والزوجة، والمسكن، والمال، والجاه، والعلم، وغير ذلك من النعم، شكر الله عَزَّوَجَلَّ، وظهر ذلك عليه، وعلى جوارحه، وفي أقواله.

---

(١) برقم (٢٩٩٩).

وإذا أصابته ضراء صبر، أُبتلي بمرضٍ، بفقرٍ، بكثرة أعداء، لغير ذلك من البلاء، وإذا به يصبر، ويتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بهذا البلاء، ويدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفعه عنه متأسيًا بما سبقه من الأنبياء، والمرسلين.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء:٨٣-٨٤]، مع ما كان فيه من المرض، والتعب، والنصب؛ إلا أنه كان شاكرًا، ذاكرًا، داعيًا لله عَزَّوَجَلَّ.

ﮩ وقد ضرب الله عَزَّوَجَلَّ لنا مثلًا بنبيين كريمين، أحدهما: في الرخاء، والثاني: في الشدة والضراء، أما صاحب الرخاء فهو سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث، قَالَ الله تَعَالَى عنه: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص:٣٥-٤٠].

وكذلك حين ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في آخر قصته: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص:٤١-٤٤].

وكلاهما كان نعم العبد؛ إذ أن الحال الذي كان عليه لم يغيره، ولم يغير سبيله إلى الله، فسليمان سخر الله له الجن، والشياطين، والريح، وآتاه وعلمه منطق الطير، ومع ذلك كان مسارعًا في العبادة، والطاعة، بل أنه لما شغل بالخيل عن صلاة المغرب ندم على ذلك، قَالَ تَعَالَى: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ

مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص:٣٢].

وأيوب مع شدة المرض، والسقم حتى ذُكِرَ أنه مرض ثمانية عشر سنة حتى تركه القريب، والبعيد، ومع ذلك ما زال صابرًا شاكرًا، داعيًا متضرعًا، فليكن حالنا كحالهم إن أعطانا الله فهو فضله، وفضله يجب أن يشكر عليه، قَالَ تَعَالَى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم:٧].

وإن منعنا الله وابتلانا ونسأله اللطف يجب علينا أن نصبر؛ لأنه ما ظلمنا ولا أخذ حقنا وإنما هي حكمته، ويُشكر في هذا الحال على عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي هو فعال لما يريد، وكم من إنسان تكون له منزلة في الجنة لا يبلغها مع السراء؛ فيبتليه الله عَزَّوَجَلَّ بالضراء حتى يبلغها.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لِتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(١)، فالأمر لله ما يدري الإنسان ما الذي يصلحه، وما الذي يكون من أسباب فساده.

وأما فتح الدنيا فلا عبرة به، قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:٤٤-٤٥].

وفي حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد(٢)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام:٤٤].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٩٠٨).
(٢) برقم (١٧٣١١).

* فالمؤمن لله في جميع أحواله، والكافر لغير الله في جميع أحواله، تتأسى بالمؤمنين، ولا تتأسى بالكافرين؛ لأن بين هذين الصنفين طوائف بعضهم يقرب من حال أهل الإيمان، وبعضهم يقرب من أهل النفاق والكفران.

فدائمًا غلب الجانب الذي يوصلك إلى الله وهو راضٍ عنك، فإذا رضي عنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كل شيء يهون ولا يُبالى به، وإذا غضب علينا ربنا والله لا نستأنس برضى أحد.

وفي الأثر: (من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، واسخط عليه الناس، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عليه، وأرضى عنه الناس)، فالأمر لله من قبل، ومن بعد.

والحمد لله.

الفائدة الثانية والثلاثون:

قال تعالى: {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا}

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

 يقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الجنة: {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان:١٣-٢٢].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ} [طه:١١٨-١١٩].

فانظروا يا عباد الله إلى ما يعانيه الناس من حر شمسٍ بعيدة، مع وجود وسائل تلطيف الجو؛ فكيف بك أيها المسلم حين تزهد في نعيم الجنة، أو تعرض نفسك لعذاب النار، فالله عَزَّوَجَلَّ جعل ما في الأرض أمثلة لما في ذلك اليوم.

قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان:٦٢].

وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**»، متفق عليه(١).

فالحياة السعيدة حقًا في الجنة، لا يرون فيها شمسًا تؤذيهم بحرها، ولا يُلقَونَ فيها زمهريرًا يؤذيهم بردها؛ بل هي بين ذلك كلها نعيم، قَالَ تَعَالَى: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة:٣٠-٣٨] الآيات، يتنعمون بما أعد الله عَزَّوَجَلَّ فيها للمؤمنين.

ومعلوم عند الجميع أن الله عَزَّوَجَلَّ قد شرع شرائع تكون سببًا لدخول الجنة، وكما قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ(٢).

فلا بد لمن أراد الجنة أن يقدم السبب الذي به يدخل إليها، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف:٧٢].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الواقعة:٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة:٢٤]

وَقَالَ تَعَالَى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} [يس:٢٦-٢٧].

فالجنة دار النعيم تُنال برحمة الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ يرحم أصحاب

---

(١) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٥١).

الأعمال الصالحة، فنحن نعمل ونرجو من الله القبول، والثواب.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور:٢٨].

وفي حديث عَائِشَةَ، وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(١).

* والشاهد: مما تقدم أن النعيم المقيم في الجنة.

انظر إلى ما يعانيه الناس إما جوع، أو عطش، أو حر، أو برد، أو هم، أو هرم، أو سقم، وكل هذا منتفٍ في الجنة.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**»(٢)، وخبر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدق لا خُلْفَ فيه.

وقوله: «**لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**»: يعني: حياة كلها نعيم.

وإذا دخل صاحب الجنة، الجنةَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا**»(٣).

بالإضافة الى ما وعد الله به آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ} [طه:١١٨-١١٩].

فالله، الله بالتشمير إلى الجنة بأداء العمل الصالح، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١].

﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ بشرط: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١١-١١٢].

وبعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ من أعظم أسباب دخول الجنة الجهاد في سبيله، والشهادة في سبيله، قال أيضًا: ﴿التَّائِبُونَ﴾ الذين يعودون إلى ربهم ويرجعون من ذنوبهم ومعاصيهم.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿الْعَابِدُونَ﴾ أي: الذي يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ، ويتقربون إليه بالطاعات، والقربات من صلاة، ودعاء، ونذر، وحج، وعمرة، إلى غير ذلك.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَامِدُونَ﴾ أي: الذين يكثرون من حمد الله عَزَّوَجَلَّ على نعمه وآلائه الكثيرة، والله عَزَّوَجَلَّ يحب الحمد، ولهذا حمد نفسه، وأمر عباده أن يحمدوه، وكان من تسبيح الملائكة أنهم يحمدون الله عَزَّوَجَلَّ صبحًا، وعشيًا، ومن أفضل ما اصطفى لهم من الكلام: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[(١)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿السَّائِحُونَ﴾، قيل: الصائمون، وقيل: طلاب العلم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّاكِعُونَ﴾، أي: الذين يتقربون إلى الله بالصلوات الفرائض والنوافل.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿السَّاجِدُونَ﴾، أيضًا يكثرون من السجود بأنواعه فهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

متقربون إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما أمرهم.

وَقَالَ تَعَالَى: {الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ}، وهو كل ما وافق الكتاب والسنة من التوحيد فما دونه.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ}، وهو كل ما خالف الكتاب والسنه من الشر فما دونه.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ}، المحافظون على أنفسهم من مجاوزة الشرع وحده؛ فيأتون بالمأمور وينتهون عن المحظور.

فينبغي لنا أن نبادر في تحصيل سبل دخول الجنة، انظروا كيف يشكي الناس من الحر، كلٌ يقول: الجو حار، وأنت تحت الظل، وأنت على رأسك المروحة، فكيف بحر يوم القيامة، فكيف بحر جهنم، ونفرح إذا اشتغل المكيف، أو اشتعلت المروحة، فكيف بالفرح العظيم إذا دخل الإنسان الجنة ورأى ما فيها من النعيم المقيم، والفضل العميم الذي أعده الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين.

ذلك هو الفرح الحقيقي، وذلك هو الحزن الحقيقي، فرح أهل الجنة هو الفرح الذي ليس بعده فرح، وحزن أهل النار هو الحزن الذي ليس بعده حزن، نسأل الله السلامة والعافية.

ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصفه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر:٣٤-٣٥].

نكثر من هذا الدعاء نسأل الله الجنة، ونعوذ بالله من النار، ندعوا لأنفسنا، ولأبائنا، وأمهاتنا، ولجميع المسلمين، لا يضرك أن تشرك المسلمين في دعوتك، وانظر إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ} [إبراهيم:٤١].

فالمؤمن يؤجر على دعائه للمؤمنين، والمؤمنون يستفيدون من دعوة الرجل الصالح، فربما تصيبهم دعوةٌ وهم في قبورهم فتكون بها رحمتهم، وربما تصيبك دعوةُ رجل صالح وأنت حي فيكون من أسباب صلاحك، كما في حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين»[1]، في وصف التشهد وفيه: «**أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

---

(١) البخاري (٦٢٣٠)، ومسلم (٤٠٢).

الفائدة الثالثة والثلاثون:

مختصر صفة صلاة النبي ﷺ

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

❀ فمن فضل الله عَزَّوَجَلَّ على أهل السنة، والجماعة؛ أنهم يحرصون على متابعة النبي ﷺ في جميع شأنه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وما سُمُّوا بهذا الاسم؛ إلا لأخذهم بالسنة قولًا، وعملًا، واعتقادًا.

وهذا معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:٢١].

فالذي يريد الله عَزَّوَجَلَّ، ويريد اليوم الآخر، وأن يُغفر له، ويُتَجَاوز عنه من شدة ذلك اليوم، فالطريق الأصل هو الأخذ بسنة النبي ﷺ، وأعظم ما يتابع به النبي ﷺ بعد التوحيد؛ الصلاة؛ ولذلك قال ﷺ كما في البخاري(١) من حديث أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**».

❀ **هذا الحديث قصير في مبناه عظيمٌ في معناه.**

* فقوله: «**صَلُّوا**» هذا أمر لجميع الناس من الرجال، والنساء، وهو معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة:٤٣]، في آيات كثيرات يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بإقام الصلاة؛ إلا أن الحديث فيه بيان آخر حتى لا يصلي هذا على طريقته، وهذا على مذهبه، وهذا كما رأى أباه، وتلك كما رأت

---

(١) برقم (٦٣١).

أمها؛ بل «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» أي: صلوا كصلاة رسول الله ﷺ.

*** قد يقول قائل: نحن لم نرَ رسول الله ﷺ، فيكيف نصلي كصلاته؟**

نقول بحمد الله عَزَّوَجَلَّ قد روى الصحابة رضوان الله عليهم ما يتعلق بصلاة رسول ﷺ وغيرها، ودونت مروياتهم في الكتب الصحاح: كـ«البخاري»، و«مسلم»، وما دونها في الصحة، وفيها الكثير من الصحيح: كـ«السنن الأربع»، و«مسند أحمد»، و«صحيح ابن خزيمة»، و«صحيح ابن حبان»، و«مستدرك الحاكم»، و«معاجم الطبراني»، وغير ذلك من الكتب التي جمعت أحوال النبي ﷺ وما يتعلق بعباداته.

فنحن مأمورون أن نصلي كما صلى رسول الله ﷺ، وهذا يحتاج منا إلى تعلمٍ وتعليمٍ، وعمل بالعلم، فإنك إذا صليت كما صلى أبوك، أو كما صلت أمك، أو كما صلى صاحبك، ربما لم تكن مصليًا كما صلى رسول الله ﷺ؛ وذلك لأن كثيرًا من الناس يخالفون صلاة النبي ﷺ.

والصلاة لها شروط، وأركان، وواجبات، ومستحبات، فمن وفقه الله عَزَّوَجَلَّ لأدائها فهو الموفق، فإنه كلما قربت صلاة العبد من صلاة رسول الله ﷺ، كلما كان أجره أعظم، وكان له العهد عند الله.

كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**»(١).

فهذا الذي يصلي كصلاة رسول الله ﷺ؛ له عهد عند الله أوجبه الله على

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٤) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نفسه تفضلًا، وتكرمًا، ومن لم يحسن وضوؤهن، ولا خشوعهن، ولا ركوعهن، صلى لا كصلاة رسول الله ﷺ فأساء «**فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**» فهو على خطر؛ لأنه لا يضمن الثواب، ولا يأمن من العقاب.

فلنحرص بارك الله فيكم أن نصلي كما صلى رسول الله ﷺ

* **فيفتح الإنسان الصلاة بالتكبير**، وهذا ركنٌ، ثم يستحب له مع هذا الركن أن يرفع يديه مدًا ويقول: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، ورفع اليدين إما مع التكبير، أو قبل التكبير، أو بعد التكبير، كل هذا قد ثبت عن النبي ﷺ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ(١)، ومَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢)، وكلاهما في الصحيح.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ «**إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلاَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ**»، وَرَفَعَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ.

* **ثم يأتي بدعاء الاستفتاح**، وأدعية الاستفتاح كثيرة، وأصحها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ، سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**». متفق عليه(٣).

* **ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم**، وأصح شيء في هذا الباب، أن يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧)، ومسلم (٣٩١).
(٣) البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ) لظاهر القرآن.

وما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره عند أبي داود[1] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ**»، لم يثبت؛ لكن لو أتى به لا يُنكر عليه.

* **ثم إن كان إمامًا، أو منفردًا في صلاة جهرية يستحب له أن يسر بالبسملة؛** لأن النبي ﷺ لم يجهر بها كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، قَالَ: «**صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}** [الفاتحة: ١]»[2].

وما جاء في حديث نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ عند النسائي[3]، وغيره - أنه جهر بها - قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة:١]، ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:٧] فَقَالَ: «**آمِينَ**». فَقَالَ النَّاسُ: آمِينَ وَيَقُولُ: كُلَّمَا سَجَدَ «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، وَإِذَا قَامَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الِاثْنَتَيْنِ قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ**»، فهي شاذة من رواية نعيم المُجمِر ويقال: المُجَمِّر، خالف فيها نعيم الرواة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **ثم يقرأ الفاتحة وجوبًا،** فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب كما في حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[4].

---

(١) في «الصغرى» (٧٧٥)، وأخرجه ابن حبان (١٧٩٧).
(٢) أخرجه مسلم (٣٩٩).
(٣) برقم (٩٠٥).
(٤) البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ**» ثَلاثًا غَيْرُ تَمَامٍ[١].

فلا بد من قراءة الفاتحة من إلامام، والمأموم، والمنفرد، كما بينه البخاري في كتابه «القراءة خلف الإمام»، وذهب إلى تضعيف حديث: «**مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ، فَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ**»[٢]، وبوب في الصحيح: بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ.

*** ثم يسن له إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين أن يقول: آمين**، يقولها الإمام، والمأموم، والمنفرد.

وكان النبي ﷺ إذا قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: آمين، ورفع بها صوته، فعَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] فَقَالَ: «**آمِينَ**» يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ[٣]، وما جاء أنه: «خَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ»[٤] فهي رواية حكم عليها العلماء بالشذوذ.

*** ويستحب للمأموم أن يكون تأمينه مع تأمين الإمام**، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة:٧] **فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٥]، وحديث: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٦]، يحمل على هذا.

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٨٥٠)، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه أحمد (١٨٨٤٢).
(٤) ذكره الترمذي عقب الحديث (٢٤٨).
(٥) أخرجه البخاري (٧٨٢)، ومسلم (٤١٠).
(٦) أخرجه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* **ثم يقرأ ما تيسر معه من القرآن إن أحب،** فالقراءة فوق الفاتحة مستحبة، وليست بواجبة إن كان مأمومًا يكتفي بالفاتحة في الجهرية يقرأها بعد قرأة الإمام.

* **ثم يرفع يديه مدًا كما رفعهما عند الدخول ويكبر.**

* **ثم يهوي إلى الركوع ويلقم يديه ركبتيه ويَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»**(١)، أقلها واحدة، وكلما زاد فهو أفضل، وأقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهناك تسابيح أخرى.

ويسوي ظهره في الركوع، لحديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: أَنَا كُنْتُ أَحْفَظَكُمْ لِصَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **«رَأَيْتُهُ إِذَا كَبَّرَ جَعَلَ يَدَيْهِ حِذَاءَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ وَلاَ قَابِضِهِمَا، وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ القِبْلَةَ، فَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَلَسَ عَلَى رِجْلِهِ اليُسْرَى، وَنَصَبَ اليُمْنَى، وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ قَدَّمَ رِجْلَهُ اليُسْرَى، وَنَصَبَ الأُخْرَى وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِهِ»**(٢).

* **ثم يرفع رأسه من الركوع ويقول: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»**(٣)، إن كان إمامًا، أو منفردًا، وإن كان مأمومًا يقول إذا استوى: **«اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ»**(٤)، وفي الباب عدة صفات مذكورة عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويقف حتى يطمئن قائمًا ويرجع كل عظم إلى فقاره لما تقدم، ويرفع يديه مع هذا القيام مدًا كما رفعها في تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند القيام من الركوع، ثم يهوي ساجدًا، ويستحب له أن يقدم يديه قبل ركبتيه، لحديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «الصحيحين»(٥): «**أَنَّهُمْ**

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢)، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٨٢٨).
(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢)، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٧٩٥).
(٥) البخاري (٦٩٠)، ومسلم (٤٧٤).

كَانُوا يُصَلُّونَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ أَرَ أَحَدًا يَحْنِي ظَهْرَهُ، حَتَّى يَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَخِرُّ مَنْ وَرَاءَهُ سُجَّدًا».

قال العلماء لو كان النزول على الركبتين لما احتاج إلى حني الظهر، وجاءت أحاديث بمجموعهما تدل على أن اليدين تقدم قبل الركبتين.

* **ثم إذا هوى ساجدًا يجعل رأسه بين كفيه**، كما ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ من حديث وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَلَمَّا، سَجَدَ سَجَدَ بَيْنَ كَفَّيْهِ**»[١]، وجاء عند أبي داود[٢] مرفوعًا: «**ثُمَّ سَجَدَ وَوَضَعَ وَجْهَهُ بَيْنَ كَفَّيْهِ**»، ويقول: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»[٣]، أقلها مرة، وأعلاها ما شاء، ويجعل أطراف أصابع قدمه متجهةٌ إلى القبلة لما تقدم من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويلصق قدميه لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ[٤].

ويسجد على سبعة أعضاء كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ وَلَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ**»، متفق عليه[٥].

* **ويستحب أن يكثر في السجود من الدعاء**، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠١).
(٢) برقم (٧٢٣).
(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢)، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه مسلم (٤٨٦).
(٥) البخاري (٨١٢)، مسلم (٤٩٠).
(٦) أخرجه مسلم (٤٧٩)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم يقول: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، ويقول بين السجدتين: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، كما في حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»[(١)].

وجاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»[(٢)].

ظاهر سنده الصحة، لكن حكم عليه الإمام أحمد بالنكارة؛ لأنه من طريق كامل بن العلاء، وفيه عنعنة حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ وهو مدلس، وحديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصح.

* **ثم يفعل ذلك في جميع صلاته، حتى إذا كان في صلاة رباعية وجلس في الركعتين، أو في صلاة ثلاثية وجلس في الركعتين يأتي بالتشهد الأوسط:** «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، متفق عليه[(٣)].

وزاد ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما جاء عند أبي داود[(٤)]، قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - قَالَ ابْنُ عُمَرَ: زِدْتُ فِيهَا: وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

* **ثم يقوم، ويستحب أن يرفع يديه،** كما في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، السابق.

* **ثم يصلي بقية الصلاة كما صلى.**

* **ثم إذا كان في التشهد الأخير يزيد على ذلك التشهد:** «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٥٠).

(٣) البخاري (٧٣٨١)، ومسلم (٤٠٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) برقم (٩٧١).

مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»**(٢).

وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**(٣).

ويزيد: «اللَّهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٤).

* **ولا بأس أيضًا**: أن يدعو: **«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»**(٥).

* **ثم يسلم، وأكمله «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ»**، لما ثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ

---

(١) متفق عليه، البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦)، عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٤٠٥).
(٣) متفق عليه، البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).
(٤) البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) متفق عليه، البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥)، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَامَ تُومِئُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ**»(١)، وأما التسليمة الواحدة فلم يثبت منها شيءٌ عن النَّبِيِّ ﷺ.

* **وعند قعوده في التشهد يستحب أن يشير بالسبابة بدون تحريك**، لما ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وعَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعن جمع من أصحاب النَّبِيَّ ﷺ، أنه أشار بإصبعه السبابة.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَعَدَ فِي الصَّلَاةِ، جَعَلَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ، وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ**»(٢).

وجاء في حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَدْعُو بِأُصْبُعَيَّ، فَقَالَ: «**أَحِّدْ أَحِّدْ**»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ(٣).

* **ويستحب له كذلك الضم**، وذهب جمع من أهل العلم إلى وجوبه، والضم: أن يضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ اليَدَ اليُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ اليُسْرَى فِي الصَّلَاةِ»(٤).

واختلف أهل العلم، قال بعضهم: على صدره، وقال بعضهم: على بطنه، والصحيح أنه يضعها على الهيئة الأسهل له.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣١).
(٢) أخرجه مسلم (٥٧٩).
(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٩)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٧٤٠).

أما الرفع إلى الصدر فهي رواية شاذة، وأما الوضع على الخاصرة فقد نهى عنها النبي ﷺ، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا**»(١)، وجاء عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عند أبي داود(٢)، فعَنْ زِيَادِ بْنِ صَبِيحٍ الْحَنَفِيِّ، قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ، فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى خَاصِرَتَيَّ، فَلَمَّا صَلَّى، قَالَ: «**هَذَا الصَّلْبُ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْهُ**».

* **ويجب عليه أن يصلي إلى سترة**، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَى سُتْرَةٍ، وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنْ أَبَى فَلْتُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»(٣).

والسترة مقدارها شبر، وهو: ثلثي ذراع، ويجوز أن يصلي إلى عمود أو إلى إنسان، إلا أنه لا يصلي إلى القرآن، أو الكتب لنهي السلف عن ذلك، أو إلى شيء ممتهن، وقد بوب البخاري بَابُ مَنْ صَلَّى وَقُدَّامَهُ تَنُّورٌ أَوْ نَارٌ، أَوْ شَيْءٌ مِمَّا يُعْبَدُ، فَأَرَادَ بِهِ اللَّهَ، ذاهبًا إلى كراهية الصلاة إليها.

* **هذه بعض أحكام الصلاة**، وهناك أحكام أخرى يحتاج الإنسان في معرفتها، وقرأتها إلى المطولات.

فكلما صلى الإنسان كما صلى رسول الله ﷺ كلما كانت صلاته أقرب إلى القبول، وأبرء للذمة.

والحمد لله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٠)، مسلم (٥٤٥).
(٢) برقم (٩٠٣)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه ابن حبان (٢٣٦٢)، عَنِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الفائدة الرابعة والثلاثون:

ملازمة الطاعة حتى يأتي اليقين

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فإن ملازمة الطاعة حتى يأتينا اليقين هو الأمر الذي ينبغي ألا نغفل عنه؛ لأن الأعمال بالخواتيم، والإنسان يُذكر في جميع شأنه الدنيوي والأخروي بآخر عمله.

والذي يهمنا أن نلقى الله عَزَّوَجَلَّ بصالح العمل، حيث نلقاه وهو راض عنا، انظر إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، نبي كريم؛ بل هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، ابن خليل الله، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**»(١).

لتسلسله بالنبوة والرسالة، ولتسلسله في هذا النسب الشريف العظيم، رسول ابن رسول ابن رسول ابن خليل الله عَزَّوَجَلَّ ومع ذلك يقول: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف:١٠١]؛ حرص كل الحرص أن تكون نهايته بالعمل الصالح مع أنه من المسلمين، ومن ذروة أهل الإسلام.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص كل الحرص على أصحابه في هذا الأمر، فيأمرهم بالعمل: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(٢)، ويأتيهم بأحاديث القدر، ويقول:

---

(١) متفق عليه، البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»(١)، ويقول: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»(٢).

* وطبق في نفسه ذلك تطبيقًا بليغًا، فقبْلَ موته خرج إلى أُحدٍ كالمودع للأحياء، والأموات، ثم رقى المنبر وجعل يعظهم، ويوجههم، كما في حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين»(٣)، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وعند موته لم تفته لحظة إلا وهو يحرص ﷺ على الخير للأمة، ولنفسه.

* أما الأمة، فإنه لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا(٤).

* وأما على نفسه، فإنه لَمَّا رأى السواك نظر إليه ففهمت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه يريده، ففي «صحيح البخاري»، قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).
(٤) متفق عليه، البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)، عَنْ عَائِشَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَدَا أَنْ فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**». ثَلاَثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي[١].

فهذا نبينا ﷺ حرص كل الحرص على أن يأتيه اليقين، وهو على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، مع أنه في طاعة من قبل، ومن بعد.

وحرص كل الحرص أن يوجهنا، ويعلمنا حتى في هذا الوقت الحرج؛ بل طبق هذا في غيره، دخل على رجل يهودي - في الغالب أن بعض الناس قد لا يتفطن لهذا الأمر - والنبي ﷺ زاره، ووجده في النزع قبل أن يُغرغر، وَأَبُوهُ قَاعِدٌ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا فُلَانُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَسَكَتَ أَبُوهُ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ الْغُلَامُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، - ففرح النَّبِيُّ ﷺ - فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بِي مِنَ النَّارِ**»[٢].

* ولما مرض عمه أبو طالب ذهب يعوده ويدعوه إلى لا إله إلا الله، لكنه أبى أن يقول: لا إله إلا الله، وقال هو على ملة عبد المطلب.

كما في «الصحيحين»[٣]، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ،

---

(١) برقم (٤٤٣٨).
(٢) أخرجه أحمد (١٢٧٢٩)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} [التوبة:١١٣] الآيَةَ.

* ولما مرض الأنصاري دخل عليه، وقال: يا خال قل لا إله إلا الله، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا خَالُ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» فَقَالَ: أَوَ خَالٌ أَنَا أَوْ عَمٌّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا بَلْ خَالٌ**»، فَقَالَ لَهُ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**»، قَالَ: خَيْرٌ لِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»(١).

فالنبي ﷺ حريص أن يبقى الإنسان على طاعة حتى يلقى الله، بل في حديث أبي عبد الله الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»(٢) أنه قال: أتيت النبي ﷺ فقال لي: «**خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي**»، فما زال أبو عبد الله ممتثل لهذا الهدي منتظرًا للقاء رسول الله ﷺ مع أنه كان متخوف من حديثٍ سمعه من النبي ﷺ، فقد سمع أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً، وَأُخْرَى بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَهَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي**» فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا.

* **فالثبات الثبات حتى الممات**، فإن الإنسان لا يكون حظه كحظ اليهود والنصارى، فقد ضرب لهم نبينا ﷺ مثلًا كما في حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)، وجاء بنحوه عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ، مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ**

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٤٣).

(٢) برقم (١٧٥٩٣)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٨).

الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلَا، فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلَا لَكُمُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ»(١).

فكان النصر والعز لأهل الإسلام، أنهم عملوا حتى انتهت هذه الحياة، وانتقلوا إلى حياة أخرى، بينما اليهود عملوا وانقطعوا، والنصارى عملوا وانقطعوا فما استفادوا؛ لأن العمل بالخواتيم. والفتن في هذا الزمن كثيرة إن لم يُسَلِّمِ الله عَزَّوَجَلَّ العبد، ومن أشدها فتكًا بالمستقيمين فتنة الحزبية التي تقوم على الولاء والبراء الضيق، والتعصبات للافكار، والأراء المخالفة للكتاب والسنة، فالثبات الثبات على السنة، والبعد عن الحزبية التي تمسخ الفطر، وفيها تشبه بالمشركين، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:٣١-٣٢].

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٩).

الفائدة الخامسة والثلاثون:

ترغيب الله لنا في الجنة وتزهيده لنا في النار

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فمن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بنا، ومحبته لسلوك طاعته، ومرضاته أنه رغبنا في الجنة، وزهدنا في الدنيا.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام:٣٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد:٣٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:٢٠].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:٦٤].

فانظر إلى هذا التنوع في الإخبار للناس بحقيقة هذه الحياة، وأنها دائرة بين اللهو، واللعب، واللاهي بالشيء سرعان ما يتركه، فانظروا إلى الأطفال كيف يلهون بألعابهم، ثم يتركونها زاهدين فيها.

وهكذا هذه الحياة لهو تلهوا فيها القلوب الغافلة، ولعب تلعب فيها الجوارح المعرضة،ثم المآل إلى الآخرة، فمن كان من أهل الطاعات فهو إلى الحيوان الكامل، وليست الصلاة والصيام، والحج، والعمرة، وقرأة القرآن، والإحسان إلى الجيران، وصلة الأرحام ليس من اللهو، واللعب، وإن كان يقع في الدنيا، وإنما هو مضافٌ إلى الآخرة؛ لأنها أعمال تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولأن ثواب هذه الأعمال في الآخرة.

* **فيا أيها المسلم**، احذر أن تكون متشبهًا بأصحاب اللهو، واللعب، فيقسو قلبك، وتُعرض جوارحك، وتصم أذنك، وتعمى أبصارك عن معرفة الحق، وسماع الحق، والعمل بالحق.

وسبحان الله وصف الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا مع كثرة سنينها، وتتابع أيامها، وأعوامها بأنها لهو لبيان قلة المكث فيها، فالناس يخرجون إلى الحدائق، يخرجون إلى المنتزهات للهو واللعب، لكن كم بقائهم في هذه الحدائق وهذه المنتزهات بقاء قليل، ثم يعودون إلى بيوتهم، ويعودون إلى مساكنهم.

فهكذا هذا المثل: الدنيا لهو ولعب، ثم المآل إلى الآخرة، فمن عمر الدنيا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ كان له الأجر العظيم، ومن ضيع عمره باللهو واللعب في هذه الدنيا، كان عليه الويل والعذاب الأليم، نسأل الله السلامة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:٢٠].

بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا وما فيها من اللهو، واللعب، والزينة، والتفاخر، والتكاثر، قال مآل الناس إلى حالين لا ثالث لهما: إما إلى عذاب أليم، وإما إلى نعيم مقيم.

ومعلوم أن أصحاب العذاب الأليم هم الكفار، والمنافقون، ويخشى على عصاة الأمة أن يعذبوا في النار وبئس القرار، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: {رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر:٢].

* **جاء في تفسيرها ما ذكره ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى: مَا أَغْنَى عَنكُمْ قَوْلُكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟. فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ، فَيُخْرِجُهُمْ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَبْرَءُونَ مِنْ حَرْقِهِمْ كَمَا يَبْرَأُ الْقَمَرُ مِنْ خُسُوفِهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، ويسمَّون فِيهَا الْجَهَنَّمِيِّينَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَنَسُ، أَنْتَ سمعت هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ أَنَسٌ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». نَعَمْ، أَنَا سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول هَذَا.

وفي رواية: «**قَالَ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنكُمُ الْإِسْلَامُ! فقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا**».

وفي رواية: «**مَا أَغْنَى عَنكُمْ إِيمَانُكُمْ؟**».

وفي رواية: «**فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا**»

وكَانَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَتَأَوَّلَانِ هَذِهِ الآية: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} يَتَأَوَّلَانِهَا: يَوْمَ يَحْبِسُ اللَّهُ أَهْلَ الْخَطَايَا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ. قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُخْرِجُهُمْ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}.

وعَنْ مُجَاهِدٍ قالاَ يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ لِلْمُوَحِّدِينَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِيمَانُكُمْ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ. قَالَ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ. قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}.

وعن صَالِحُ بْنُ أَبِي طَرِيفٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يُخْرِجُ اللَّهُ نَاسًا من المؤمنين من النار بعد ما يَأْخُذُ نِقْمَتَهُ مِنْهُمْ**»، وَقَالَ: «**لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَمَا بَالُكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ فَتَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ، وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، حَتَّى يَخْرُجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتُدْرِكَنَا الشَّفَاعَةُ، فَنَخْرُجُ مَعَهُمْ**». قَالَ: «**فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ الْجُهَنَّمِيِّينَ مِنْ أَجْلِ سَوادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، أَذْهِبْ عَنَّا هَذَا الِاسْمَ، فَيَأْمُرُهُمْ فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرِ الْجَنَّةِ، فَيَذْهَبُ ذَلِكَ الِاسْمُ عَنْهُمْ**»، فَأَقَرَّ بِهِ أَبُو أُسَامَةَ، وَقَالَ: نَعَمْ[1]. اهـ.

وأخرج الإمام النسائي في «التفسير»: عَنْ يَزِيدَ بْنِ صُهَيْبٍ الْفَقِيرِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرٍ فَذَكَرَ الْخَوَارِجَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ**

(١) «التفسير» (٤/ ٥٢٤-٥٢٦)، مختصرًا.

بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، لِمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَى مُوَحِّدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللهُ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر:٢]»(١).

فهم يعذبون بسبب ذنوبٍ، ومعاصي، إلا أن صاحب الإيمان مآله إلى الجنة، فعند ذلك يُرسل الله عَزَّوَجَلَّ ملائكته أن أخرجوا من النار من كان من أهل الإسلام، فعند ذلك يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين.

* ويسلم من النار المؤمنون الخُلص، ومن شاء الله عَزَّوَجَلَّ من أهل الإيمان الذين تلوثت أعمالهم، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨].

فمن الآن إياك أن تغتر باللهو، واللعب، والله لو قال لنا آبائِنَا، أو أمهاتنا، أو مدرسونا، أو أحد من المتكلمين: هذا لعب، العاقل سيتركه.

انظروا إلى جماهير العقلاء هل تجد أحدًا يحب لعب الكرة، يضيع الوقت!، أنا ما أتكلم عن الشاب الذي مازال في عنفوان شبابه ما يبالي بالوقت، لكن العاقل يقول ماذا معي في الكرة؟ ماذا معي في هذا الألعاب؟ أي عاقل، ويذهب ويبحث عن العمل الذي يفيده بغض النظر هل يقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، المهم يبحث عن العمل الذي يفيده في نظره.

* فلماذا نحن نسمع الله عَزَّوَجَلَّ يقول: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} [العنكبوت:٦٤]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد:٣٦]؟

---

(١) «الكبرى»، كتاب التفسير (١١٢٠٧)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم بعد ذلك نشغل أنفسنا فيها، وبالتلذذ بها، والتنعم فيها، والعمارة لها، وكأننا سنخلد فيها، والله ما سيخلد فيها أحدٌ لا برٌ تقي، ولا كافرٌ شقي، وكما قيل فيها: حلالها حساب، وحرامها عذاب.

فمن الآن يا أخي المسلم اشترِ نفسك من الله، فنحن مقبلون على ليالٍ كريماتٍ، عظيماتٍ، جليلاتٍ، فيها ليلة خير من ألف شهر، فلنقبل على ربنا ونسأله أن يوفقنا، وأن يغفر ذنبنا، وحوبنا.

وما أحسن ذلك الدعاء الذي علمه النبي ﷺ من أسلم، قَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي - وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**»(١).

لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعفو عن تقصيرنا، وأن يوفقنا في طاعاتنا، وأن يتقبلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧)، عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة السادسة والثلاثون:

ما وعظ الإنسان بمثل نفسه

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

ما وعظ الإنسان بمثل نفسه، ولهذا في مواطن كثيرة يذكر الله الإنسان بنفسه، قال تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:٢١].

وهنا يقول الله عَزَّوَجَلَّ:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم:٥٤].

قيل في معنى {مِّن ضَعْفٍ}: من نطفة، وعلقة، ومضغة.

وقيل في معنى ذلك: أن الإنسان يخرج طفلًا، وهذا هو الصحيح، فإن المولود حين يخرج إلى هذه الحياة يخرج ضعيفًا صغيرًا عاجزًا، لا يستطيع أن يُطعم نفسه، أو أن يتحكم في يده، وكلنا كان على هذا الحال.

فلو رأيت الطفل في أيامه الأولى، ما يستطيع أن يصل بيده إلى فيه، يبقى يرمي بها إلى حيث لا تنضبط، ثم يتدرج في النمو حتى يصل إلى كماله وعنفوانه وقوته، وإلا فهو بين ذلك ضعيف، ربما يكون من السنة الأولى إلى الخامسة عشرة وهو في طور الضعف، ثم إذا بلغ لا زال متدرجًا في القوة من فترة خمسة عشرة سنة إلى أربعين سنة، فإذا ما بلغ الأشد، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ} [الأحقاف:١٥].

ذكر علماء الطب: أن التأثر في بدن الإنسان، يبدأ من التاسعة والثلاثين، ولا يعارض هذا القول ظاهر الآية؛ لأن ظاهر الآية دالة على أن الضعف يظهر في الأربعين، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف:١٥].

وهذا هو الرجل العاقل الفطن الذي يستدل بشهوره وأعوامه على قرب أجله، وكلما قرب أجله؛ كلما سارع إلى العمل الصالح.

وهذه والله آية، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم:٥٤]، قوة في حركته، قوة في عقله، قوة في بدنه، قوة في جميع شأنه، ولهذا تجد الصغير يقول: ليتني كبيرٌ، وتجد الشيخ الهرم يقول: ليتني شابٌ.

ألا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْمًا ❁❁❁ فأُخبرَهُ بمَا فَعَلَ المَشيبُ

والناس يتمنون هذا السن، ولهذا كان أهل الجنة شبابًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا**»(١).

ليسوا في طور الطفولة، الذي يحتاج إلى غيره في تأكيله وتشريبه، وغير ذلك من شؤونه، وليس في طور الكهولة والشيخوخة، التي يكون الإنسان قد فقد بعض قواه فيها.

ثم بعد ذلك قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:٥٤].

قوله: ﴿ضَعْفًا﴾، يبدأ في الفتور، وتفتر جوارحه، وإن بقي في وجهه بشاشة في فترة الكهولة، إلا أن النقص قد حصل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقد سألت طبيبًا، وهو من المتخصصين الكبار في طب العيون، حيث دخلت إليه في الرياض، وقلت له: أريد أن أعمل عملية بحيث ما أحتاج نظارة، قال: لا يمكن، إما أن نعمل لك عملية للطول وتحتاج نظارة إلى القِصَر، وإما أن نعمل عملية للقصر وتحتاج نظارة إلى الطول؛ إذا وصل الإنسان إلى هذا السن بعد الأربعين في الغالب أنه يحتاج إلى ذلك، لابد أن يجد ضعفًا في نظره.

وفعلًا في ذلك اليوم تأملت الأطباء الذين هم من الاستشاريين في هذا الطب، كلهم يلبسون نظارات في ذلك المستشفى، وهم من الأطباء في العيون ومن المتخصصين في ذلك؛ فدل ذلك على أن الإنسان مهما كانت وظيفته، أو رتبته، أو مهنته، أو طعامه، أو شرابه، أو بيته، أو مركبه، فلابد أن يمر بهذا الحال، {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا}، إلا أن الضعف يتفاوت، ضعف الأربعين، غير ضعف الخمسين، غير ضعف الستين.

ويبدأ الضعف في أشده في الغالب في الثلاثة والستين، هكذا يقول العلماء: في الغالب، قد يقع بعض الناس يمتد إلى السبعين، إلى الثمانين مازالت له قوة، لكن غالب الناس إذا وصل الثلاثة والستين يبدأ في الرجفة، ويبدأ في عدم التحكم في نفسه، وربما ضعفت قواه العقلية، وقواه البدنية، إلى غير ذلك.

وقال العلماء في معنى: {وَشَيْبَةً}، لأن الضعف غير الشيبة، قد يظهر في الإنسان الضعف وما زال وجهه نظرًا، ولحيته سوداء، وشعره كذلك، ولكن في الغالب أن في الثلاثة والأربعين يبدأ الشيب في الظهور في الإنسان، وقد يظهر قبل ذلك، وقد يظهر بعد ذلك.

ثم قال: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}، عليم بأحوال العباد، وقادر على ما يشاء.

فوالله إن في هذه الآية موعظة بليغة قد مر عليها أغلبنا، وسيمر عليها من بعدنا.

قوله: {واللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْف}، أيُّ إنسان.

وقوله: { ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً}، من الرجال والنساء.

وقوله: {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}، تتغير حتى الخلقة، والنظارة بدل إن كان الملمس ناعمًا والوجه نضرًا يصير متعرجًا متموجًا متشققًا، وبدل إن كانت العظام قوية تصير رقيقة، وبدل إن كان يمشي قائمًا منتصبًا إحدودب ظهره، وبدل إن كان يمشي بعين مبصرة يبدأ يتلمس النظارات وغير ذلك، وبدل السمع الذي يسمع به الكلام البعيد يبدأ يحتاج إلى سماعات.

فالله عَزَّوَجَلَّ قد وعظنا في أنفسنا، فما علينا ألا أن ننظر فيها، ونتأمل عجيب صنعة الله في هذا الإنسان؛ حتى نعرف أننا في سيرٍ في ليلنا ونهارنا.

تَمُـرُّ بنـا الأيـامُ تَـتْرَى وإنَّـمَا ❁❁❁ نُسَاقُ إلى الآجالِ والعَيْنُ تَنْظُرُ

فلا عائدٌ ذاكَ الشَبابُ الذي مَضَى ❁❁❁ ولا زَائلٌ هذا المشيبُ المُكَدّرُ

* فنعوذ بالله مِنَ الهَرَمِ(١)، ونعوذ بالله من سُوءِ الْكِبَرِ(٢)، ونعوذ بالله أن نُرَدُ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ(٣)، هكذا كان من الدعاء المأثور عن النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٧١)، ومسلم (٢٧٠٦)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٣)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٢)، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة السابعة والثلاثون:

العبر من قصة غزوة الحديبية، وبيان الوقت المختار لصلاة التراويح

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

لمَّا كانت غزوة الحديبية ووقع ما وقع بين النبي ﷺ، وبين المشركين من المصالحة كان الحال أنَّ كثيرًا من المسلمين يحب أن يصل إلى الكعبة، ويُتِمَّ عمرته، وكانت شروط الكافرين شديدة ووافق عليها النبي ﷺ، فَجاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: «**بَلَى**»، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «**بَلَى**»، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا**»، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا[(١)].

ثم بعد ذلك أمر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ، كما في البخاري[(٢)] من حديث المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥)، عَنْ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) برقم (٢٧٣١).

مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ - مغضبًا -، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا.

فبينما هم على ذلك الحال إذ أنزل الله عَزَّوَجَلَّ سورة الفتح، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ[(١)].

* في هذه القصة من العبر أنَّ الإنسان قد يظن الخير فيما يرى، ويكون الخير في خلاف ما يرى.

ولـمَّا حجَّ النبي ﷺ أحرم الناس بالحج، فلما قدم النبي ﷺ إلى مكة، قال: اجعلوها عمرة، فشُقَّ ذلك على الناس، وبعضهم يقول: يارسول الله حل ماذا؟ قال الحل كله، ورد آخر وقال: يارسول الله نذهب إلى منى ومذاكيرنا تقطر منيًّا؟ من شدة الأمر الذي أُمروا به.

فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ، وَقَالَ: «**أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ**»، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ: لَـمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا خَمْسٌ، أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا، فَنَأْتِي

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥)، عَنْ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا المَذْيَ، قَالَ: وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ هَكَذَا وَحَرَّكَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ، وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ، فَحِلُّوا، فَلَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ**»، فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا(١).

فالنبي ﷺ يأمرهم أن يجعلوها عمره، ويقول: «**لَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ، فَحِلُّوا**»، ويرغبهم في هذا الأمر، وكان الناس بعد ذلك يحبون التمتع في الحج مع أن الأمر به في أول الإسلام كان شديدًا، وفيه من الرحمة ما الله به عليم؛ إذ أن القارن، والمفرد يلزمه أن يبقى في إحرامه ربما شهر، أو شهر ونصف، أو عشرين يوم، ويشق ذلك عليه.

بينما المتمتع بمجرد أن يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا، والمروة، ويحلق، أو يقصر يعود إلى حاله الأول من لبس الثياب، والطيب، والنساء، ولا يحرم عليه شيءٌ مما حُرِّمَ على المحرم.

وكان الأنصار يزارعون يُعطي أحدهم أخاه أرضه على النصف مما يخرج منها، لكن كانت الطريقه لك هذا ولي هذا، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

قَالَ ظُهَيْرِ بْنِ رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا، «**نَهَانَا أَنْ نُحَاقِلَ بِالْأَرْضِ فَنُكْرِيهَا عَلَى الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ، وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّى، وَأَمَرَ رَبَّ الْأَرْضِ أَنْ يَزْرَعَهَا، أَوْ يُزْرِعَهَا، وَكَرِهَ كِرَاءَهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ**»(٢).

فأمرهم إذا أراد أحدهم أن يُزارعَ أو يُحاقلَ أن يُزارع على شيءٍ معلوم على

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢١٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣٩)، ومسلم (١٥٤٨) واللفظ له.

الثلث، أو الربع، أو النصف، أو على دينارٍ ودرهمٍ، يقول: مزرعتك استأجرها بخمسة آلاف، بعشرة آلاف، بعشرين ألفًا.

أما لك هذا ولي هذا، نزل المطر سقى هذا ولم يسقِ هذا، جاءت الآفة أخذت هذا ولم تأخذ هذا، فيه ضررٌ، قد يكون الضرر على صاحب الأرض أو المزارع.

شاهدنا أن الإنسان لا يدري أين الخير لنفسه، لكن الخير فيما اختاره الله عَزَّوَجَلَّ، واختاره رسوله ﷺ وإذا أشكل عليك أمرٌ من الأمور في فضيلته، ومنزلته، فارجع إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وينجلي الأشكال فهم أحرص الناس على الخير، وهم أعلم الناس بمراد الله، ومراد رسوله ﷺ، وهم أفقه الناس، وهم أشد الناس مسارعة إلى العمل الصالح إلى غير ذلك من الميزات التي تميزوا بها، فهم أهل الفقه والنظر، وأهل العلم والأثر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل.

قلنا هذا؛ لأن كثيرًا من الأخوة قد يقول: لماذا صليتم قيام الليل في رمضان بعد العشاء؟

۞ اعلم أن قيام الليل قد ثبت عن النبي ﷺ في أول الليل، ووسط الليل، وفي آخر الليل كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَوْسَطِهِ، وَآخِرِهِ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ**»(١).

وجاء عند أبي داود، قَالَ غُضَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ راوي الحديث عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٥).

(٢) برقم (٢٢٦)، وهو في «الصحيح المسند».

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يُصلون آخر الليل فرادى في المسجد، كما في الأحاديث الكثيرة في هذا الأمر.

فكانوا يصلون فرادى في عهد رَسُول اللَّهِ ﷺ، وفي عهد أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي مدة من خلافة عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرى لو جمعتهم على إمام واحدٍ.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: «**إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلَ**» ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ[1].

* وسميت بعد ذلك بالتراويح، وسمى الناس آخر الليل بالتهجد، وإلا فالأصل أنه قيام رمضان، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، متفق عليه[2].

قام في أول الليل، وفي وسطه، وفي آخره، وأكمله أن يكون إحدى عشر ركعة، وأكمله إن أردنا التأسي بالنبي ﷺ أن يصلي كل واحد منا وحده؛ لأن هذا الصنيع الذي صنعه النبي ﷺ وكان عليه الناس في زمن رسول الله ﷺ، وفي زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي صدر من خلافة عمر؛ إلا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة راشد، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نأخذ بسنة الخلافاء الراشدين، فقال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا**

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٠).
(٢) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِالنَّوَاجِذِ»[١].

فجمع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الناس على قيام رمضان بعد العشاء، وما زال الناس يسيرون على هذا الأمر إلى يومنا هذا في كل بلدان العالم على أن قيام رمضان بعد العشاء.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قِيلَ لِأَحْمَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَنَا أَسْمَعُ: يُؤَخَّرُ الْقِيَامُ، يَعْنِي: التَّرَاوِيحَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: «**لَا، سُنَّةُ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ**»[٢]. اهـ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدٍ الْقَارِيِّ: وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ[٣].

وذهب كثير من الحنابلة إلى أن أفضل صلاة التراويح تكون في أول الليل، زد على ذلك ما أخرجه النسائي عَنْ أَبِي ذَرٍّ[٤] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ[٥] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «قُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قُمْنَا معه لَيْلَةَ سبْعٍ وَعِشْرِينَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَا نُدْرِكَ الْفَلَاحَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ السَّحُورَ».

وقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ كَانَتْ سَادِسَةٌ فَلَمْ يَقُمْ، فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ، قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «مسائل الإمام أحمد» (٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠١٠).

(٤) برقم (١٢٩٨).

(٥) برقم (١٣٠١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ». قَالَ: ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا، فَلَمَّا بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنَ الشَّهْرِ أَرْسَلَ إِلَى بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ، وَحَشَدَ النَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ قَالَ دَاوُدُ: قُلْتُ: مَا الْفَلَاحُ؟، قَالَ: السَّحُورُ.

دل على أنه كان يبدأ من بعد العشاء، وهذا هو المقصود من تقديم القيام بعد صلاة العشاء، الأمر ليس إلينا نحن، فأنا لست مفوضًا في دين الله، ولا يجوز لي والله أن أغير، أو أبدل من دين الله شيئًا.

الأمر أننا وجدنا أن الصحابة قالوا: كذا، وساروا على كذا، وقال العلماء: بكذا، مع أن شيخ الإسلام يذكر بالإجماع على أنَّ وقتها بعد صلاة العشاء، وهي فتوى الشيخ الفوزان حفظه الله أيضًا، ومع ذلك إخوتنا الذين يقومون آخر الليل ما ننكر عليهم، من أحب أن يقوم آخر الليل ورأى هذا الأمر واسعًا، فلا حرج.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(١).

والله لو قام الإمام بركعة واحدة، صلاة قيام الليل وسلم، وانصرفت، كتب لك قيام ليلة بنص حديث النبي ﷺ، ونسأل الله العون والسداد.

وما دام الإنسان يريد أن يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فالله كريم أن يوفقه، ويسدده، ويعينه، ويلهمه رشده، وسيجعل الله عَزَّوَجَلَّ له ودًا بالعمل بالسنن.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم:٩٦].

والله الموفق

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٦)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الفائدة الثامنة والثلاثون:

بيان أماني اليهود والنصارى، وبعض دعاويهم الباطلة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ:

❀ أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن أماني اليهود والنصارى، فعندهم أماني عجيبة مع ما هم فيه من الكفر والعناد، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} [المائدة:١٨].

* فادعى اليهود والنصارى: أنهم أبناء الله، وهذا قول باطل؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأخبروا أنهم أحباب الله، وهذه دعوى باطلة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يحب المشركين، ولا يحب الكافرين؛ وإنما يحب المؤمنين، والصابرين، والصالحين.

واليهود والنصارى ليسوا في هذا الباب بشهادة بعضهم على بعض، فقولهم في بعضهم البعض مقبول، قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ} [البقرة:١١٣].

وهذا الكلام صواب منهم.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة:٦٨].

وكانت لهم دعوى، قَالَ تَعَالَى: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة:١١١]، لا برهان لهم بها بل هم مشركون مندودون، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة:٧٢].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

* **فاليهود والنصارى شر البرية**، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:٦].

لكن العجب من دعواهم أنهم أبناء الله، وأحباب الله، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا، فأكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة:١١٢].

أهل الجنة هم المسلمون، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**»(٢)، وفي رواية: «**أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**»(٣).

من هذه الأمة ومن غير هذه الأمة.

* **فيا أيها المسلمون، اعلموا أن اليهود والنصارى في شرع الله كفار**، ولا تغتر بمن يقول هم أصحاب دين سماوي، لو كان دينهم سماوي لاتبعوا محمدًا ﷺ، فإن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد بَشر بمحمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١١٤)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣)أخرجه مسلم (١١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦].

فعيسى بشر بمحمد ﷺ، بل وموسى بشر بمحمد ﷺ، فقد وجد في التوراة: «**أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ**»(١).

وكما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:٢٩]، ثم يذكر المثل الذي ذكره الله في التوراة لأصحاب محمد: {تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ} [الفتح:٢٩].

{مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ}: أن الله سيبعث رسولًا يكون أصحابه أصحاب ركوع وسجود، وتظهر هذه الآثار والسيماء في وجوههم، {وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح:٢٩].

فاليهود والنصارى شر البرية - كفار - ليسوا بأصحاب دين سماوي، وإنما هم أصحاب دين محرف، مغير، مبدل.

وتجد بعض الناس في هذه الأزمان، يدعو إلى ما يسمى بوحدة الأديان، بل دعوا إلى تأسيس حزب اسمه الحزب الإبراهيمي، يضم اليهودي، والنصراني، والمسلم، وهذا الحزب لا يرضاه إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى، ولا محمد، ولا هو بموافق قبل ذلك لشرع الله، بل هو حزب شيطاني.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الله عَزَّوَجَلَّ يقول: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} [البقرة:٤٢]، قَالَ قَتَادَةُ: وَلَا تَلْبِسُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بِالْإِسْلَامِ؛ إِنَّ دِينَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَالْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بِدْعَةٌ لَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تَخْلِطُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَالصِّدْقَ بِالْكَذِبِ(١). اهـ.

فكيف يقال لحزب يضم هؤلاء، مثل هذا أحزاب اللقاء المشترك في زمن من الأزمان، الإشتراكي، والناصري، والإخواني، خليط.

وهؤلاء يريدون أشد من هذا الحزب، يهودي، نصراني، مسلم، بل قد أنشأوا مكانًا في بعض البلدان مثل إيطاليا وبعض البلدان، ووضعوا داخله مسجدًا، وكنيسةً، وبَيعةً، بل أشد من ذلك أنهم بنوا بناءً واحدًا، وجعلوا فيه محرابًا إلى الكعبة، وآخر إلى بيت المقدس، ووضعوا بداخله توراةً، وإنجيلًا، وقرآنًا، وقد رأينا هذا بأم أعيننا في ترنداد.

فالشاهد أن اليهود والنصارى يحاولون إعطاء صورة طيبة لدينهم المحرف المبدل، لكن عند المسلمين هم كفار بنص القرآن، والسنة، والإجماع، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:٦].

ولا تعجب! أن يتأثر مسكين من المساكين وعامي من العوام بما يرى في القنوات الفضائية، التي فيها كثير من الشبه.

لكن أن تجد مثل القرضاوي الذي جعلوه مفتي قطر، ويقول: إخواننا المسيحيين، ويقول: هم مسلمون بالثقافة، ويقول: أتحرج أن أقول فيهم: كفار.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٥٤).

كيف يتحرج والله عَزَّوَجَلَّ يقول فيهم كفار؟! والله عَزَّوَجَلَّ سماهم النصارى ولم يسمِهم بالمسيحين.

* من الغلط أن يطلق على النصراني مسيحي، فالنصارى يفرحون بكلمة مسيحي؛ لأنها نسبة إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن الاسم الشرعي لهم: نصارى، قَالَ تَعَالَى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:١٢٠].

فلا يجوز أن نرضى عنهم أبدًا، كما أنهم لن يرضوا عنا قدرًا، قَالَ تَعَالَى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى } [المائدة:٨٢].

وهذه الآية ليست على إطلاقها في كل نصراني، إنما هي نزلت في النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه؛ وإلا فإن النصارى عندهم بغض شديد؛ ولذلك سلطوا اليهود على المسلمين في هذا الزمان.

من الذي نصب اليهود، أو ما تسمى بدولة إسرائيل في فلسطين غير النصارى، النصارى هم الذي أعطوا اليهود وعد بلفور، وهم الذين أقاموا دولته، وهم الذين ناصروه على المسلمين.

وإلى الآن هذا ترامب لعنه الله، يُعطي السفارة الأمريكية في القدس.

فالنصارى ينصرون اليهود، ولا تغتر بما بينهم من الخلاف، كلهم متفقون على أهل الإسلام يحاربونهم، فلا أقل أن نبغضهم في قلوبنا، ونحذر من أفكارهم الردية، ولا نصدق أقوالهم السيئة بل يجب بغضهم، قَالَ تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:٢٢].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله إني لأستحي أن أرفع بصري إلى الصليب. يستحي من الله أن يرفع بصره إلى الصليب الذي يعبدونه من دون الله، وهذه الأيام عند الناس ما يسمى بطولة كأس العالم، وفي القنوات، وينظر إلى الصلبان وهي في صدور لُعَّاب كرة القدم، وينظر إلى أفخاذهم، ويشجع هذا على هذا، ونعوذ بالله من الخذلان.

نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.

الفائدة التاسعة والثلاثون:

أهمية الإقبال على الله بالدعاء

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

* فإننا نقدم ونعيش في ليال مباركات فضيلات، ومن أحسن العبادات فيها بعد الإتيان بالفرائض، لهو الإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء.

فإن الدعاء عبادة مباركة، سهلة في المجيء بها، عظيمة في بركتها، ولا أحسن من الأدعية التي كان يدعي بها النبي ﷺ لأمور:

* الأمر الأول: أنه وحي، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

* الأمر الثاني: أنها أدعية جامعة لمصالح الدنيا والآخرة.

* الأمر الثالث: أنها تفسير لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

* الأمر الرابع: التأسي بالنبي ﷺ في ذلك.

* الأمر الخامس: أنها أبعد عن الاعتداء في الدعاء.

* الأمر السادس: أن من لم يتخذها في دعواته؛ قد لا يستطيع الإفصاح عن حاجته، وإن أفصح ربما توسع بما لا يصلح! فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا عَنْ

يَمِينِي. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْهُ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّهُورِ**»(١).

وبدل من أن تقول: اللّٰهم إني أعوذ بك من النار، وحياتها، وسلاسلها، وأوديتها، قل: اللّٰهم إني أعوذ بك من النار.

فالأدعية المأثورة مباركة، ولو تأملنا من أحسنها، مع أنها كلها حسن.

* **فمنها**: حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»، متفق عليه(٢).

قال العلماء: حسنة الدنيا: الإيمان، والعلم، والعمل الصالح، وحسنة الآخرة: الجنة.

فهذا دعاء جاء في القرآن، وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه من عادة الصالحين: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة:٢٠١].

* **ومنها**: ما علَّمه النبي ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي «سنن أبي داود»(٣) أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

وإذا جاء مثل هذا الدعاء المقيد بدبر الصلاة، ليس معناه أنك ما تدعو به إلا في هذا الموطن، وإنما معناه أنه دعاء مبارك جامع، كما أنه خص به هذا الموطن،

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٨٠١).
(٢) البخاري (٤٥٢٢)، ومسلم (٢٦٩٠).
(٣) برقم (١٥٢٢)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فمن باب أولى أن يكون في غيره من المواطن.

بل قد جاء مطلقًا، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٢).

علَّم به من يُحب، وحَثَّه عليه، وأثبته له في دبر كل صلاة، وعمل به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو بنفسه، وأخبر أن من أراد أن يجتهد لنفسه بالدعاء أو لغيره، فليقل: «**اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

ولا بأس أن تقول لغيرك: «**اللَّهُمَّ أَعِنْهُ عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». ثلاث كلمات جامعات لصلاح الدنيا والآخرة.

إِذَا لَم يَكُنْ عَونٌ مِنَ اللهِ لِلفَتى ❁❁❁ فَأَوَّلُ مَا يَجنِي عَلَيهِ اجتِهَادُهُ

نحن بحاجة إلى عون الله، قَالَ تَعَالَى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥]، وبعونه إلى ثلاثة أمور أكثر من غيرها، مع أننا لا غنى لنا عنه طرفة عين، لكن هذه الثلاثة الأمور صلاحها صلاح للدنيا والآخرة.

* قوله: «**اللَّهُمَّ أعِنِّي على ذِكرِكَ**»، أن يكون لسانك ذاكرًا، وأن تكون جوارحك طائعةً لله، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} [طه:١٢٤].

قال العلماء المراد بذكر الله: طاعة الله فمن أطاع الله عَزَّ وَجَلَّ فهو ذاكر، ومن عصى الله عَزَّ وَجَلَّ فهو غير ذاكر، وإن ذكر بلسانه، فأنت حين تقول: «**اللَّهُمَّ أعِنِّي**

(١) أخرجه البزار (٢٠٧٥)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه أحمد (٧٩٨٢)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

على ذِكرِكَ»، كأنك تقول: اللّٰهم أعني على ملازمة العمل الصالح، والتقرب به إليك، أعني على الصلاة، والصيام، والحج، والقيام، والدعاء، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، ويدخل فيه ذكر اللسان دخولًا أوليًا.

ولا يظن الظان مع سهولة التسبيح، والتحميد، والتكبير، أنها سهلة العمل، نعم سهلة القول؛ ولكن قل من يعمل بها؛ والسبب تسلط الشيطان على الإنسان، يثقل لسانه ويشغله، يمكن أن يتكلم يوم كامل، كما يقول الباكستانيون: (قُرقُر)، ولكنه لا يحسن أن يأتي بمائة تسبيحة، أو بمائة تحميدة، أو بمائة تكبيرة، أو بمائة تهليلة، فقل: «**اللّٰهمَّ أعِنِّي على ذِكرِكَ**».

* قوله: «**وَشُكْرِكَ**»، أي: وأعني على شكرك، والشكر عند العلماء يكون بثلاثة أمور: القلب، واللسان، والجوارح.

١- كأنك تقول: اللّٰهم سخر قلبي لمعرفة حقك؛ فإن الشكر بالقلب استكانةً، وخضوعًا، وخشوعًا.

٢- وكأنك تقول: اللّٰهم سخر لساني في حمدك وشكرك، وإظهار النعم التي أنعمت بها علي.

٣- وكأنك تقول: اللّٰهم سخر جوارحي في طاعتك، وكما قيل:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ منِّي ثلاثةً ❁❁❁ يَدِي وَلِسَانِي والضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

* قوله: «**وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

وحسن العبادة تكون بأمرين:

١- الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ فيها.

٢- والمتابعة للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عليها.

والذي يُصرِف القلوب، هو الله، فإن أعانك الله عَزَّوَجَلَّ على الإخلاص؛ فأنت الرابح، وأنت الكاسب، وإذا فسدت نيتك فسد عملك، وكم يعالج الإنسان نيته، ونفسه، فإن الشيطان حريص على فساد العمل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والنية شرط لصالح العمل ❁❁❁ بها الصلاح والفساد للعمل

هكذا يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، متفق عليه(١).

* **الأمر الثاني**: المتابعة للنبي ﷺ، أي عبادة لا تُتابع بها النبي ﷺ ليست بحسنة، وقد أنكر العلماء على كثير من الطرقيين طرقهم؛ لأنهم لم يتابعوا النبي ﷺ.

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَف ❁❁❁ وَكُلُّ شَرٍ فِي ابْتِدَاعِ مِنْ خَلَفْ

والنبي ﷺ هو أعبد الناس لربه عَزَّوَجَلَّ، وأعلم الناس بربه عَزَّوَجَلَّ، وأعلم الناس بالطرق المؤدية إلى مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي «الصحيحين» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

فلنحفظ هذا الدعاء، بارك الله فيكم. ولندعوا به لأنفسنا ولغيرنا.

«**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

ﮋ وهناك دعاء طيب نكمل به هذه المذاكرة، من إستطاع أن يحفظه

---

(١) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.
(٢) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

فحسن، ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا خارج الصحيح، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بهذا الدعاء: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»(١).

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٠)، وهو في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ.

الفائدة الأربعون:

الأقوال السديدة في وجوب تعلم العقيدة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فقد جاء في «الصحيحين»[(١)]، من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**».

وصح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ**»، وفي الرواية المشهورة: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[(٢)].

وفي حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**»[(٣)].

والشاهد أن النبي ﷺ كان يعلمهم العقيدة الصحيحة قبل تعلم القرآن، والنبي ﷺ منذ بعثه الله عَزَّوَجَلَّ إلى أن توفاه الله عَزَّوَجَلَّ وهو يدعو الناس إلى العقيدة الصحيحة، وإلى الطريقة القويمة، وإلى الطريق المستقيم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

* هكذا يخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

---

(١) البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

(٢) متفق عليه، البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٦١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

* **وأهم ما يهدى إليه الإنسان العقيدة، ثم ما يتبعها من عمل الجوارح واللسان،** ففي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**»(١).

وقد جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الى النبي ﷺ وهو بين الناس فقال: يا محمد ما الإيمان؟، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**». قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «**الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ**» ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «**رُدُّوهُ**» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ**» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ(٢).

فالشاهد ان هذا كله من العقيدة؛ فالإيمان بالله أساس العقيدة ثم يلحقه الايمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الاخر، والقدر خيره وشره.

وهكذا تعلُّم الإسلام وما يناقض الإسلام حتى يسلم المؤمن في طريقه إلى الله عَزَّوَجَلَّ من الانحرافات.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) اخرجه مسلم (٩).

ﮪ وقد قيل العقيدة أولا لو كانوا يعلمون:

١- اتفق في الدعوة إليها جميع الرسل.

٢- أنزلت بها جميع الكتب.

٣- لا مجال للعقل فيها وإنما تثبت بالنصوص الشرعية.

٤- الخلاف فيها تضاد، يبدع من خالف فيها الحق.

٥- الإجماع قائم عليها في الجملة.

٦- أول ما بدأ به رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في الدعوة، إلى غير ذلك.

الفائدة الحادية والأربعون:

الأسباب المعينة على الطاعات والقربات

الأسباب المعينة على الطاعات والقربات كثيرة(١):

١- منها توفيق الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(٨٨)} [هود:٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ} [القصص:٥٦].

٢- الاستعانة بالواحد القهار على ذكره، وشكره، وحسن عبادته آناء الليل وأطراف النهار، فقد صح عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أوجه أنه كان يدعو، ويَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

فالإنسان في حاجة إلى عون الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور:٢١]، فإذا كان هذا هو الحال، فعلينا أن نلجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ في عوننا وتوفيقنا.

٣- الاحتساب للإجور العظيمة التي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنها، وأخبر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الحجر:٤٥].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات:١٧-١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف:٧٢].

---

(١) من خطبة جمعة بعنوان: بذل النصائح في الاستمرار على العمل الصالح، وكانت في ٢٦ من رمضان عام ١٤٣٢هـ، بدار الحديث بدماج أعادها الله.

(٢) أخرجه البزار (٢٠٧٥)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ليحتسب الإنسان الأجر من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن ذلك من دواعي الاستمرار على العمل والخير.

٤- **الأخذ بهدي النبي ﷺ الذي أمر الله به والاقتداء به.** قَالَ تَعَالَى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:٢١]، وقَالَ تَعَالَى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥].

ولقد كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يحب العمل الدائم، و«**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ**»(١).

٥- **الأخذ بهدي السلف رضوان الله عليهم،** قَالَ تَعَالَى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام:٩٠]، فالأخذ بسيرهم، والسير على سلوكهم فيه تنشيط وإعانة بعد عون الله عَزَّوَجَلَّ على الطاعة، والقربة فإذا نظرنا إلى أعمالنا على ما كان عليه السابقون الأولون علمنا أننا في تقصير عظيم إلا ما رحم ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد تباعد العهد، وتُركِت السنن، وفُرِّطَ في كثير من الطاعات.

٦- **مجالسة الصالحين،** فإن مجالسة الصالح تعين على الخير، قَالَ تَعَالَى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة:٢].

٧- **علو الهمَّة،** فإن العبد المؤمن لا يرضى بالدون، ونحن نعلم أن من عقيدة السلف الصالح أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ فالاستمرار على الأعمال الصالحة، والمحافظة على الفرائض، والنوافل مثل: قيام الليل، وقراءة القرءان، وملازمة الذكر والخير، وملازمة الطاعات والقربات يزيد بها الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فعلى المرء أن يزداد من الطاعات والقربات حتى يزداد إيمانه، وتعلو همته، ويُرفع قدره.

٨- **عدم التشديد على النفس**، فإن كثير من الناس إذا أقبل، أقبل إقبالًا شديدًا حتى ينقطع بعد ذلك، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»(١).

و«**الْمُتَنَطِّعُونَ**»: المتشددون في غير موطن التشديد.

وفي ملازمة هدي رسول الله ﷺ النفع والخير.

٩- **الابتعاد عن الذنوب والمعاصي**؛ فإنها أصل الشرور، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠]، فكم من حسرة تتبع المرء بسبب ذنب اقترفه ولم يتب منه، فربما يحرم من قيام الليل، ويحرم من صيام النهار، ويحرم من العلم، وربما انقطع عن الخير جملة وتفصيلًا بسبب الذنوب والمعاصي، فنحن بحاجة إلى التوبة الى الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١].

وثبت عنه ﷺ عند أبي داود من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»(٢).

ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) برقم (١٥١٦)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، عَنِ الْأَغَرِّ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* والأسباب كثيرة لكن هذه إلماحة إلى أشهرها وأفضلها.

فعلينا عباد الله أن نستمر على الخير رجالًا،ونساء، طلاب علم وعوام، فكلنا مسلمون مُطالبون بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، والاستمرارعلى ذلك وعدم الانقطاع حتى نلقى الله وهو راض عنا.

والحمد لله

الفائدة الثانية والأربعون:

حكم مس وتلاوة القرآن للجنب، والحائض

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فيكثر السؤال عن حكم قرأة الجنب والحائض للقرآن، ومس المصحف، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال:

* الأول: جمهورهم على المنع من ذلك كله.

* الثاني: ذهب جمع من أهل العلم الى جواز ذلك.

* الثالث: بعضهم له تفصيل في جواز القراءة، ومنع مس المصحف.

ونذكر هنا بعض ما استدل به المجيزون فمنها عمومات ما في «الصحيحين» وغيرهما، ومنها:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ جُنُبٌ فَانْسَلَّ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ**»[(١)].

٢- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَهُ وَهُوَ جُنُبٌ، فَحَادَ عَنْهُ فَاغْتَسَلَ. ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: كُنْتُ جُنُبًا. قَالَ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٣٧١)، واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم (٣٧٢).

٣- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، قَالَتْ فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، فقَالَ: «**إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ**»(١).

٤- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ**»، متفق عليه(٢).

٥- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْنِي إِلَيَّ رَأْسَهُ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، فَأُرَجِّلُ رَأْسَهُ وَأَنَا حَائِضٌ**»، متفق عليه(٣).

٦- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَذْكُرُ إِلَّا الحَجَّ، فَلَمَّا جِئْنَا سَرِفَ طَمِثْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فقَالَ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قُلْتُ: لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ العَامَ، قَالَ: «**لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّ ذَلِكِ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي**»(٤).

٧- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَتْ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»(٥).

*** من هذه الادلة وما في بابها، نعلم انَّ المؤمن طاهر، سواء كان رجلاً أو أمرأة،** ويكون النجس في حال حيض المرأة، وهو الخارج ومكانه، ويجوز لها ان تقرأ القران، وتذكر الله، وتمس المصحف، وتدخل المسجد، ولا دليل على المنع.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨).
(٢) البخاري (٢٩٧)، ومسلم (٣٠١).
(٣) البخاري (٢٩٥)، ومسلم (٢٩٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).
(٥) أخرجه مسلم (٣٧٣).

وفي «صحيح البخاري»(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ العَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا، فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ - أَوْ وَقَعَ مِنْهَا - فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى، فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: «فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَتْ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي المَسْجِدِ - أَوْ حِفْشٌ -» قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلاَ تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا *** أَلاَ إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي

وبوب عليه البخاري، بَابُ نَوْمِ المَرْأَةِ فِي المَسْجِدِ.

والمرأة يلحقها الحيض، والجنابة، ونحوه.

وأما قول الله تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة:٧٨-٧٩]. فالمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، والمراد بقوله: {الْمُطَهَّرُونَ}: الملائكة، ولو كان المراد رفع الحدث، لقال: (إلا المتطهرون).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، أَيْ: لَا يَمَسُّ الْكِتَابَ الْمَكْنُونَ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَقِيلَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَعْنَى {لَا يَمَسُّهُ} الْمَسَّ الْحَقِيقِيَّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يَنْزِلُ بِهِ إلا المطهرون، وقيل: معناه: لا يقرؤه، وعلى كون المراد الكتاب

(١) برقم (٤٣٩).

الْمَكْنُونِ هُوَ الْقُرْآنُ، فَقِيلَ: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ. كَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الشِّرْكِ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ وَغَيْرُهُ: مَعْنَى لَا يَمَسُّهُ: لَا يَقْرَؤُهُ، إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ أَيْ: إِلَّا الْمُوَحِّدُونَ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: لَا يَجِدُ نَفْعَهُ وَبَرَكَتَهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، أَيِ: الْمُؤْمِنُونَ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: لَا يَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ وَتَأْوِيلَهُ إِلَّا مَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ.

وَقَدْ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى مَنْعِ الْمُحْدِثِ مِنْ مَسِّ الْمُصْحَفِ، وَبِهِ قَالَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَسَعْدُ بْنُ أبي وقاص وسعيد ابن زَيْدٍ وَعَطَاءٌ وَالزُّهْرِيُّ وَالنَّخَعِيُّ وَالْحَكَمُ وَحَمَّادٌ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ، أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْمُحَدِثِ مَسُّهُ، وَقَدْ أَوْضَحْنَا مَا هُوَ الْحَقُّ فِي هَذَا فِي شَرْحِنَا لِلْمُنْتَقَى فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ(١). اهـ.

وأما حديث «**لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**»(٢)، فهو حديث مرسل لا تعارض به الثوابت في «الصحيحين» وغيرهما أو يُحمل على الطهارة من الشرك على ما تقدم.

ولو كانت الحائض ممنوعة من القراءة أو مس المصحف لبين النبي ﷺ ذلك بيانًا واضحًا ينقله عنه الثقات الأثبات كما هو الشأن في منع الحائض من الصلاة، والصيام؛ فإن الدواعي على قراءة القرآن متوفرة لمحبتهم للعمل الصالح.

وأما ما رواه الترمذي(٣) وغيره، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مرفوعًا: «**لَا تَقْرَأْ الحَائِضُ، وَلَا الجُنُبُ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ**». فقد قال عنه الإمام أحمد لما سأله ابنه، كما

(١) «فتح القدير» (٥/ ١٩٣).
(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٦٨٠).
(٣) برقم (١٣١).

نقل العقيلي في «الضعفاء»[١]: هَذَا بَاطِلٌ أَنْكَرَهُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، يَعْنِي أَنَّهُ وَهْمٌ مِنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ. اهـ.

وكذا قال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه في «العلل»[٢].

وقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدِيثٌ ضَعِيفٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَحِضْنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ يَنْهَاهُنَّ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. كَمَا لَمْ يَكُنْ يَنْهَاهُنَّ عَنْ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ بَلْ أَمَرَ الْحُيَّضَ أَنْ يَخْرُجْنَ يَوْمَ الْعِيدِ فَيُكَبِّرُونَ بِتَكْبِيرِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمَرَ الْحَائِضَ أَنْ تَقْضِيَ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا إلَّا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ: تُلَبِّي وَهِيَ حَائِضٌ وَكَذَلِكَ بمزدلفة وَمِنًى وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَشَاعِرِ[٣]. اهـ. والله أعلم.

فعلى هذا، الراجح: هو جواز قراءة الجنب، والحائض، والمحدث للقرآن.

وجواز مس المصحف، والأفضل التطهر لحديث أَبِي الْجُهَيْمِ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «**أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جَمَلٍ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى الْجِدَارِ، فَمَسَحَ بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**»[٤]، أخرجه البخاري، وعلقة مسلم عن أَبِي الْجُهَيْمِ، والله اعلم.

---

(١) (٩٠).
(٢) (١١٦).
(٣) الفتاوى (٢١/ ٤٦٠).
(٤) البخاري (٣٣٧)، ومسلم (٣٦٩).

الفائدة الثالثة والأربعون:

بعض فضائل وبركات اجتماعات أهل السنة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَمُجْتَبَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، **أَمَّا بَعْدُ**(١):

فإني أحمد الله عَزَّوَجَلَّ إليكم الذي سخر لنا هذا الاجتماع الطيب المبارك على كلامه، وعلى كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاجتماع في مثل هذه المجالس محبوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ لأمور:

١- **أن الله عَزَّوَجَلَّ أَمَّرَ به ورغَّب فيه**، حيث قال: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف:٢٨].

٢- **أن لله عَزَّوَجَلَّ ملائكة سيارة فضلاء يتبعون حلق الذكر، فهذه حلقهم، وهذه بغيتهم**، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ، **وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ**

---

(١) مقتطفات من محاضرة بعنوان: «تذكير أهل الإيمان بوصايا لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

٣- أن هذه المجالس يُذَكَّرُ فيها الغافل، ويُعَلَّمُ فيها الجاهل، ويُنَشَّطُ فيها الكسل.

٤- أن فيها دعوة إلى الخير، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران:١٠٤].

٥- أن هذه المجالس فيها العقائد السلفية، وبيان للطرق المرضية التي كان عليها محمد ﷺ خير البرية.

٦- أن فيها محاربة لما أُدخِل على الإسلام من البدع، والخرافات، والمحدثات، فكم من بدعة أماتها الله عَزَّوَجَلَّ بسبب سماع موعظة، وكم من سنةٍ أعلى الله عَزَّوَجَلَّ منارها بسبب مجلس من مثل هذه المجالس.

٧- أنَّ القلوب تصدأ وإذا لم تجد من يذكرها بالله عَزَّوَجَلَّ غطَّى الران عليها فسدت وأفسدت، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين:١٤]. أي: بسبب الذنوب والمعاصي غطى القلوب الران فأصبح الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، واللفظ له.

لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه.

٨- **أنَّ هذه المجالس يزيد فيها الإيمان**، ويدل على ذلك ما جاء في «صحيح مسلم» عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رَضِيَالِلَّهُعَنهُ، قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١).

٩- **أن فيها اقتداء بالسلف رضوان الله عليهم**؛ فقد كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَالِلَّهُعَنهُ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**»(٢).

١٠- **الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، واقتداء سبيل النبي ﷺ**، ورجاء أن نكون داخلين في قول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت:٣٣].

---

(١) برقم (٢٧٥٠).

(٢) متفق عليه، البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).

الفائدة الرابعة والأربعون:

ليلة القدر، ليلة مباركة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الدخان:٦].

والليلة المباركة في قول جماهير العلماء، هي ليلة القدر، التي قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عنها: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر:١-٥].

فهي ليلة مباركة كثيرة الخير، ولهذا عظَّم الله عَزَّوَجَلَّ شأنها في كتابه، وعظَّمَهَا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقوله: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

يا له من فضلٍ عظيمٍ، ومنةٍ واسعةٍ، وخيرٍ عميمٍ من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الغني الكريم؛ حيث يتفضل على عباده بمغفرة ذنوبهم، وستر عيوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، وزلاتهم، وفي ليلة واحدة يكرمهم بهذا الكرم العميم، والخير الواسع العظيم.

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولو قُدِّر أنه قامها مع الإمام بأقل قراءة في تمام، لكان ممن يرجى له هذا الفضل، لحديث «**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(١).

«**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، قيامه لها إيمانًا بالله، وإيمانًا بفضلها، واحتسابًا للأجر الذي وعده الله عَزَّوَجَلَّ عليها.

* **وسميت ليلة القدر**؛ لعلو قدرها، وشرفها، فهي صاحبة قدر عظيم، حيث توازي ثلاث وثمانين سنة، وفيها بركات عظيمة.

* **وسميت ليلة القدر أيضًا**؛ لأن مقادير العباد تصرف من اللوح المحفوظ إلى صحف الملائكة في تلك الليلة وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رب ميت يمشي على الأرض.

فهذه الليلة سماها الله مباركة، ومن بركتها أن الله عَزَّوَجَلَّ يضاعف الأجر فيها للعامل، ويجزيه على ذلك المثوبة العظيمة، ومن بركتها أنها تتنزل فيها الملائكة، ولكثرة تنزل الملائكة في تلك الليلة تصبح الشمس بيضاء نقيه لا شعاع لها؛ لكثرة نزول وعروج الملائكة، والروح فيها أيضًا ممن يتنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا من عطف الخاص على العام؛ لبيان فضله، ومنزلته، وشرفه.

وهذه الليلة يقع فيها تعاقب نزول الملائكة، والملائكة يتعاقبون على مجالس الذكر، وعلى أماكن تلاوة القرآن، وعلى أماكن الصلاة، وغير ذلك من الطاعات مما هو معلوم بأدلته.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ،**

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٦)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا طَلَبَ»(٢).

ففي تلك الليلة يقع نزول عظيم للملائكة يسمعون الآيات، والدعاء، ويحضرون الجماعات، وتتحصل البركات، فلا ينبغي لمسلم أن يحرم نفسه من خير هذه الليلة.

* ومن وفق لها فعليه أن يكثر من الدعاء، وعليه بالصلاة، وقراءة القرآن، ولا يكون قيامها بالاحتفالات، كما هو الصنيع في بعض بلاد المسلمين، حيث يجتمع الرؤساء، والقضاة، ومن إليهم، ويتبادلون الكلمات، والتهاني، فهذا ليس من إحياء ليلة القدر، وإنما أحياها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالقيام والذكر والدعاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٠٩٨)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.

وينبغي لنا أن نحرص على الصلاة، ولا أقل من أن نصلي ما قُدِرَ في تلك الليلة من الخير.

ولينزجر أصحاب المعاصي، وليتركوا ما هم عليه من مشاهدة التلافز، والدشوش، وسماع الموسيقى، والأغاني، وليقبلوا على كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وليحضروا مجالس الذكر، والدعاء، والخير، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرمهم بستر عيوبهم، وتكفير ذنوبهم، وصلاح أحوالهم.

ولنكثر من الدعاء لأنفسنا، ولأبنائنا، وبناتنا، وزوجاتنا، ولآبائنا، وأجدادنا، بل ولجميع المسلمين، فإنه لا غنى لنا عن الله عَزَّوَجَلَّ، نسأله الصلاح، والرزق، ونسأله العون، ونسأله الثبات على دين الإسلام حتى نلقاه.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعاملنا بكرمه لا بما نحن عليه، أمَّا لو عاملنا بما نحن عليه، فنحن قوم على خطرٍ عظيمٍ، نسأل الله السلامة، عندنا قصور في العبادة، وتفريط، وغشيان للذنب، وتهاون بالأمر، وارتكاب للنهي، ولا تخلوا قلوبنا إلا من رحم الله من حسد، وغل، وحقد، ولا تتوقف ألسنتنا إلا من رحم الله عن غيبة، ونميمة، وكذب، وبهت.

فالواقع أن المسلمين حالهم مزري، لكن نسأل الله أن يتفضل عليهم بمغفرة الذنوب، وستر العيوب، وصلاح الأحوال، وحسن المآل فهو سبحانه أهل لذلك كله.

والحمد لله رب العالمين.

الفائدة الخامسة والأربعون:

صفة العمرة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فَعَنْ أَبِي طَلِيقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَتَهُ أُمَّ طَلِيقٍ أَتَتْهُ فَقَالَتْ لَهُ: حَضَرَ الْحَجُّ يَا أَبَا طَلِيقٍ وَكَانَ لَهُ جَمَلٌ وَنَاقَةٌ يَحُجُّ عَلَى النَّاقَةِ وَيَغْزُو عَلَى الْجَمَلِ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُعْطِيَهَا الْجَمَلَ تَحُجُّ عَلَيْهِ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي حَبَسْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: إِنَّ الْحَجَّ مِنْ سُبُلِ اللَّهِ فَأَعْطِنِيهِ يَرْحَمْكَ اللَّهُ. قَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَكِ. قَالَتْ: فَأَعْطِنِي نَاقَتَكَ وَحُجَّ أَنْتَ عَلَى الْجَمَلِ. قَالَ: لَا أُوثِرُكِ بِهَا عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: فَأَعْطِنِي مِنْ نَفَقَتِكَ، قَالَ: مَا عِنْدِي فَضْلٌ عَنِّي وَعَنْ عِيَالِي مَا أَخْرُجُ بِهِ وَمَا أَنْزِلُ لَكُمْ، قَالَتْ: إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَنِي أَخْلَفَكَهَا اللَّهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَبَيْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: فَإِذَا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُ بِالَّذِي قُلْتُ لَكَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرَأْتُهُ مِنْهَا السَّلَامَ وَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَتْ أُمُّ طَلِيقٍ قَالَ: «**صَدَقَتْ أُمُّ طَلِيقٍ لَوْ أَعْطَيْتَهَا الْجَمَلَ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْطَيْتَهَا نَاقَتَكَ كَانَتْ وَكُنْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْطَيْتَهَا مِنْ نَفَقَتِكَ أَخْلَفَكَهَا اللَّهُ**» . قَالَ: وَإِنَّهَا تَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَعْدِلُ الْحَجَّ؟ قَالَ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ**»(١).

هذا الحديث جاءت له طرق كثيرة بمجموعها يزداد قوة إلى قوته، وفيه فضيلة العمرة في شهر رمضان مع فضيلتها في سائر العام.

---

(١) أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢٤٩)، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

فإن النبي ﷺ يقول: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»(١).

فالناس يعانون من ثُقْلَين: الفقر، وقلة ذات اليد، والذنوب التي أثقلتهم، وكفارة ذاك بالحج، والعمرة، في هذين النسكين العظيمين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**»(٢).

وذلك أن الحاج، والمعتمر ينفق مالًا، ويبذل جهدًا، ويفارق وطنًا، ويقوم بعبادات كثيرة في هذا الحال، أما إذا وصل إلى البيت الحرام، فإن الصلاة في مسجد الكعبة بمائة ألف صلاة، بل جاء في بعض الروايات «**وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ - فِيمَا سِوَاهُ -**»(٣).

وإذا وفقه الله بالإكثار من الطواف فكم له من الأجور، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَاكَ تَسْتَلِمُ إِلَّا هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مَسْحَهُمَا يَحُطُّ الْخَطِيئَةَ**» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ طَافَ سَبْعًا فَهُوَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ**»(٤).

«**سَبْعًا**»، أي: سبعة أشواط، كم فيها من الخطوات لمن أخلص لله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج:٢٩].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج:٢٦].

---

(١) أخرجه النسائي (٣٥٩٦)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. والحديث في «الصحيح المسند».
(٢) متفق عليه، البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٤٦٩٤)، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».
(٤) أخرجه النسائي (٣٩٣٧).

والطواف عبادة لا تكون إلا في الكعبة، وكم يؤجر على غير ذلك من الطاعات التي تقترن بالحج، والعمرة، وبعضهم ربما يبذل هديًا لفقراء الحرم، وغير ذلك من الأمور.

﴿ والعمرة الشرعية أركانها أربعة:

* **الأول: الإحرام**: ويكون من الميقات، وسنته الغسل، كما صح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَغْتَسِلَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ**»(١).

وقد أمر النبي ﷺ أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تغتسل، وتحرم، وكانت نفساء(٢).

* **ثم إن تيسر له الإهلال بالعمرة، أو الحج بعد صلاة مفروضة**، فهذا الذي حصل من النبي ﷺ، وإن لم يتيسر له، وصلى الضحى، أو الوتر، أو صلى غير ذلك من الصلوات الليلية، أو النهارية، ثم أهل بعمرة، أو حج جاز ذلك، وإن لم يكن في وقت صلاة ولا يريد أن يصلي ليس عليه شيء، فليس للإحرام صلاة مستقلة.

* **ثم من سننه أن يستقبل الكعبة، ويسبح، ويحمد، ويكبر، ويهلل** كما جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا، وَالعَصْرَ بِذِي الحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى البَيْدَاءِ، حَمِدَ اللَّهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ، ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ(٣).

وعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «إِذَا صَلَّى بِالْغَدَاةِ بِذِي الحُلَيْفَةِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَرُحِلَتْ، ثُمَّ رَكِبَ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ قَائِمًا، ثُمَّ يُلَبِّي حَتَّى يَبْلُغَ

---

(١) أخرجه البزار (٦١٥٨) والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١٢٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٥٥١).

الحَرَمَ، ثُمَّ يُمْسِكُ حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَا طُوًى بَاتَ بِهِ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِذَا صَلَّى الغَدَاةَ اغْتَسَلَ»، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ(١).

* **ثم يقول: «لَبَّيْكَ عُمْرَةً»**، إن كان معتمرًا عن نفسه، وإن كان معتمرًا عن غيره يقول: لَبَّيْكَ عُمْرَةً عن فلان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: «**مَنْ شُبْرُمَةُ؟**» قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: «**حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ**»(٢)، وقد أُعِلَّ بالوقف ولكن العمل عليه.

* **ثم يشرع في التلبية: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**(٣)، فإن استدامها فهو خير له؛ لأن النبي ﷺ، يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا**»(٤).

وأجر التلبية عظيم، وهي التوحيد الذي أهل به النبي ﷺ كما في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ «**لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»(٥).

وقد ذكر النبي ﷺ أَنَّ جبريل أتاه وأمره أن يرفع صوته وأصحابه بالتلبية،

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٥٣).
(٢) أخرجه أبو داود (١٨١١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه الترمذي (٨٢٨)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند».
(٥) أخرجه مسلم (١٢١٨).

قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالإِهْلَالِ وَالتَّلْبِيَةِ**»(١).

وفي الحديث، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: العَجُّ وَالثَّجُّ(٢).

«**العَجُّ**»: هو رفع الصوت بالذكر والتلبية.

«**وَالثَّجُّ**»: هو الذبح.

* **فيستديم التلبية إلى أن يدخل إلى البيت الحرام**، ويستحب إذا دخل من باب المسجد أن يقول: «**اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»(٣)، وهناك أدعية يذكرونها، ولا دليل عليها.

* **فإذا ما رأى الكعبة استمر في تلبيته حتى إذا حاذى الحجر كبر. ثم اضطبع.**

والاضطباع؛ أن يجعل لباس الإحرام تحت إبطه، ويكشف منكبه الأيمن، والاضطباع سنة، وليس بواجب، ولا يكون في جميع الإحرام، وإنما إذا طاف بالبيت طواف القدوم.

* **ويستحب له أن يرمل ثلاثة أشواط**، يسرع الخطا من الحجر إلى الحجر ثم يمشي بقية الأربعة، وأما الاضطباع فيبقى معه طولة الطواف.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِيمَ الرَّمَلَانُ الْيَوْمَ وَالْكَشْفُ عَنِ الْمَنَاكِبِ وَقَدْ أَطَّأَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَنَفَى الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ، مَعَ ذَلِكَ لَا نَدَعُ شَيْئًا كُنَّا نَفْعَلُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٤).

* **ويستحب لمن استطاع أن يقبل الحجر الأسود**، فإن كان تقبيله للحجر الأسود

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٢٩)، عَنْ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي (٨٢٧)، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٧١٣)، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، أَو عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه أبو داود (١٨٨٧)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

شاق عليه وعلى غيره فيكفي أن يشير إليه بِسْمِ اللَّهِ، أو أن يلمسه بمحجن، أي: عصا، ثم يقبلها كما صح عن النبي ﷺ(١).

فإذا جاء إلى الركن اليماني استحب أن يمسحه فإن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مَسْحَهُمَا يَحُطُّ الْخَطِيئَةَ**»(٢).

إلا أنه إذا لم يتمكن من الوصول إلى الركن اليماني فلا يلزمه الإشارة، وليس فيه تقبيل، وإنما فيه المسح.

فإذا انتهى من السبعة الأطواف من الركن إلى الركن، ودعا بما شاء، أو ذكر الله، أو قرأ قرآنًا فكله جائز، وأما ما يوزع أو يشترى من الأدعية التي فيها أدعية الشوط الأول، أدعية الشوط الثاني، وأدعية الشوط الثالث، إلى غير ذلك، فهذه أدعية لم تثبت عن النبي ﷺ.

* **فإذا انتهى من الطواف استحب له أن يصلي عند المقام ركعتين**، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة:١٢٥].

وذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الركعتين يقرأ في الأولى بالفاتحة، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:١]، والثانية بالفاتحة، والكافرون.

* **ثم بعد ذلك يصعد إلى الصفا**، فإذا قارب منها، قال كما قال النبي ﷺ: {إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة:١٥٨] «**أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**»(٣)، ولا يكررها في كل شوطٍ.

(١) أخرجه البخاري (١٦٠٧)، ومسلم (١٢٧٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨)، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **فإذا رقى على الصفا استقبل الكعبة**، فيستقبل الكعبة، ويكبر، ويحمد، ويهلل، ثم يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**». كما جاء عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»[(١)].

* **ثم يدع بما شاء**، وهذا الذكر مستحب، وليس بواجب، ثم يكرر هذا الذكر ثلاثًا، ويدعو بينه ثلاثًا.

* **ثم يتجه إلى المروة**، ويكون الشوط من الصفا إلى المروة وليس من الصفا إلى إلى الصفا بخلاف الطواف بالكعبة. حتى ينتهي بالطواف السابع بالمروة.

وينزل ولا يحدث شيئًا غير الذكر، والدعاء حتى يصل إلى الخط الأخضر؛ وهو الوادي في الزمن القديم، والآن معلم بإنارة خضراء فإذا وصل إلى هذا المكان استحب له أن يشد بالجري؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُقْطَعُ الْوَادِي إِلَّا شَدًّا**»[(٢)].

* **والخلاف بين الرمل، والجري**، أن الرمل خطئ متقاربه، وهذا يكون حول الكعبة، وأما في الصفا والمروة فإنه يجري حتى لربما كُشِفَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فخذه. إلا أن النساء لا يستحب لهن ذلك.

* **فإذا وصل إلى المروة يستحب له أن يقول كما قال على الصفا من الدعاء**: «**لَا إِلَهَ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٦٠)، والحديث في «الصحيح المسند».

إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثم يدعو بما شاء ثلاثًا، ثم يرجع إلى الصفا يفعل ذلك في كل شوط.

* فإذا انتهى من السبع الأشواط قصَّرَ أو حلَقَ، والأفضل الحلق هذا في حق الرجال، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟، قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟، قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: «وَلِلْمُقَصِّرِينَ»[(١)].

وأما المرأة فإنها تأخذ من شعرها بمقدار الأنملة.

* فإذا ما انتهوا من هذه الأربعة الأركان فقد تمت العمرة بأركانها، وله أن يزيد في مستحباتها، وواجباتها من ذكر، ودعاء، وتسبيح، وتحميد، وغير ذلك من الأمور.

* وهنا تنبيه: أن الطواف بالكعبة لا يشترط له الطهارة وإنما هي مستحبة، فإن النبي ﷺ توضأ حين طاف بالكعبة.

* والفرق بين القولين: أن القول باشتراط الطهارة يلزم منه بطلان طواف من أحدث في طوافه وذلك لا يتأتى؛ لأن الصحابة الذين طافوا في حجة الوداع قريب من مائة ألف ولم يُذكر أن أحدًا منهم حُكم على طوافه بالبطلان.

ويستحال أن يكون هذا العدد لم يقع الحدث من أحدهم، ولم يسأل النبي ﷺ عن ذلك ولو سأل لنقل لنا، وأما فعل النبي ﷺ فلا يدل على الوجوب، وإنما يدل على الاستحباب كما هي القاعدة في أفعال النبي ﷺ.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٢٨)، ومسلم (١٣٠٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❀ وهنا تنبيهات:

١- وهو أن المرأة لا يجوز لها أن تطوف وهي حائض، لقول النبي ﷺ: **«افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي»**(١).

٢- ويُحرم الحاج والمعتمر من أي ميقات مرَّ عليه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ»**(٢).

إلا أن المكي إذا أراد العمرة تعين عليه الخروج إلى الحل، وإحداث العمرة من ذلك المكان.

٣- هنالك قول لبعض أهل العلم: أن المكي ليس عليه عمرة، وهذا غير صحيح، فإن المكي يستحب في حقه العمرة كما تستحب في حق غيره من المسلمين، وتجب إن لم يكن قد اعتمر قبل ذلك، وهم داخلون في عموم أدلة الحث على هذا الخير، ولو كانت لهم خصوصية لبينها رسول الله ﷺ فالعمرة واجبة مستقلة، والحج واجب مستقل، ويجوز الجمع بينهما.

والله المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٤)، ومسلم (١١٨١).

الفائدة السادسة والأربعون:

المسـارعة في الخيرات

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

✿ جاء الأمر من الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} [آل عمران:١٣٣]، وبقوله: { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ } [الحديد:٢١]، وبقوله: { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } [البقرة:١٤٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصف بعض أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء:٨١].

فالمسارعة إلى الخير سبيل إيماني، وسبيل لنيل المراتب العالية.

* وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون إلى الخير، سواءً كان ذلك في باب الجهاد، أو الصدقات، أو في تبليغ العلم، أو غير ذلك من الأبواب.

ففي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ**» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٦)، مسلم (١٨٩٩).

* **وفي باب الصدقات**، حثَّ النَّبِيُّ ﷺ على الصدقة، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا(١).

فكان أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو السباق في باب الإنفاق والطاعة، حتى لقد قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إِنْ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتَ سَبَّاقًا بِالْخَيْرِ.

* **وفي باب البشارة بالخير ومحبة المسلمين**، ما صح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ يُصَلِّي، فَافْتَتَحَ النِّسَاءَ فَسَحَلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**» ، ثُمَّ تَقَدَّمَ سَأَلَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**» ، فَقَالَ: فِيمَا سَأَلَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. قَالَ: فَأَتَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَبْدَ اللَّهِ لِيُبَشِّرَهُ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: إِنْ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتَ سَبَّاقًا بِالْخَيْرِ(٢).

مسابقة حتى في تبشير إخوانهم وإدخال السرور عليهم، مسابقة في الصيام، مسابقة في الحج، مسابقة في قراءة القرآن، مسابقة في العلم وحفظ الحديث، مسابقة في جميع شؤونهم، وبهذا رفعهم الله، وبهذا نالوا الدرجات العلى والنعيم

---

(١) اخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٢٥٥)، والحديث في «الصحيح المسند».

المقيم، وبهذا كانوا يمشون على الأرض، وهم يعلمون أن الله قد رضي عنهم، قَالَ تَعَالَى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [البينة:٨].

وكثير منهم يعلم أنه من أهل الجنة، ومع ذلك يخشى ما يقدم عليه ويتزود من الاعمال الصالحة، كما قَالَ تَعَالَى عنهم: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون:٦٠].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون:٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ تُقْبَلَ مِنْهُمْ {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون:٦١](١).

أما نحن - نسأل الله السلامة - الفتور حاصل، والذنوب كثيرة، والمعاصي محيطة، والجهل عميق، ومع ذلك عندنا من الرجاء ما الله به عليم، رجاء لا يوافق ما نحن عليه من العمل.

أما أولئك كان رجاءهم مع العمل الصالح، يعملون الصالحات ويرجون من الله القبول، ويخشون الرد، ونحن نقصر في باب الطاعات والقربات، ونفعل المعاصي والسيئات؛ وكأننا قد ضمِنَّا قبول العمل.

فيا أيها المسلمون، علينا أن نتقي الله، وأن نسارع في تحصيل الحسنات.

فإن الموسم قد شارف على الانتهاء، وأصبحت الليالي معدودات بعد أن كانت معلومات، فعلى الإنسان أن يشمر؛ لعلها أن تستجاب لك دعوة تغير

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥).

حياتك في الدنيا والآخرة، لعلها أن تقبل منك صدقة يتغير به حالك في الدنيا والآخرة، لعلها أن تقبل منك طاعة يصلح بها الدنيا والآخرة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ إنما يتقبل من المتقين، ومن فرط فالله غنيٌّ حميدٌ، يعني من فرط وبقي على ما هو عليه؛ لا يظن أنه ضر أحدًا، ضر نفسه، وإلا فإن الله غني حميد عُبد أم كُفر، أُطيع أم عُصي، هو الغني، قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } [فاطر:١٥-١٦].

وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**»(١).

والبدار، البدار، الله أعلم من يأتي عليه العام القادم؛ حتى يتزود من صيام وقيام، فإن الموت يتلقى الإنسان في طريقه وهو سائر عليه، قَالَ تَعَالَى: { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الجمعة:٨].

كم من إنسان يُفرط في الطاعات والقربات ويأتيه الموت من أمر لا يظنه ولا يأمله، ولا يخاف منه.

فلنسارع إلى الخيرات، ولنستبق الخيرات، ولنبادر بالخيرات، فكل ذلك من أسباب رفعة العبد عند الله ثم عند الناس، ومن أسباب الرزق، وأسباب المحبة، وأسباب انشراح الصدر، وأسباب دفع الكرب، ودفع المصائب؛ الطاعات كلها خير. والحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

الفائدة السابعة والأربعون:

«جَنَّتَانِ منْ فضَّةٍ، آنيَتُهمَا ومَا فيهما، وجَنَّتَانِ منْ ذَهَبٍ، آنيتُهمَا ومَا فيهمَا»

الحمدُ لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

جاء في الصحيح عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(١).

فمجموع ما تضمنه هذا الحديث:

أنَّ عدد الجنان أربع، متفاوتة في الصفات، وفي المكارم التي يتحصل عليها من يدخلها، والكريم من أكرمه الله، وكل من دخل الجنة فهو في خيرٍ عظيمٍ، وإن كان من أدناهم منزلة؛ لأن ليس فيها دَنِي.

وفي حديث الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم(٢)، قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟**» - سبحان الله كم للملوك في الأرض من قصور، ودور وأرض، وعقار، ومال - «**فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

(٢) برقم (١٨٩).

وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ» - هكذا جاء في هذه الرواية - «قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟» - إذا كان هذا آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، فكيف بأعلاهم منزلة؟ - «قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة:١٧] الْآيَةَ».

وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ الجنة في كتابه وصفًا دقيقًا بليغًا، تجعل من أراد الخير شمَّر، ولا يكسل، ويزهد فيها إلا من فرط ولم يعلم مصلحة نفسه.

* **ومن هذا الوصف،** ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الرحمن، حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٤٦-٧٨].

* قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قد تقدم أنهما جنتان من ذهب.

* قوله: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، أي: غصون، وأشجار، وحدائق نضرة حسنة تحمل من كل ثمر ويغطي بعضها بعضًا، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ**»، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة:٣٠](١).

* قوله: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، أَيْ: تَسْرَحَانِ لِسَقْيِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَالْأَغْصَانِ فَتُثْمِرُ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِحْدَاهُمَا يُقَالُ لَهَا: «تَسْنِيمٌ»، وَالْأُخْرَى «السَّلْسَبِيلُ»(٢). اهـ.

وقد بين ذلك ما في سورة محمد، قال الله عَزَّوَجَلَّ: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} [محمد:١٥]، هذه أنهارها، وهذا نعيمها، وانظر يقول هنا: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، وسيأتي في الجنتين الأخريين: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}، والفرق واسع بين العين التي تجري، والعين التي تضخ في مكانها.

* قوله: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}، وكل: من ألفاظ العموم، ففيها من كل ما لذ وطاب من الفواكه، والحدائق المثمرة، وسيأتي في الجنتين الأخريين: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/٥٠٣).

وتتفق فواكه الدنيا مع فواكه الآخرة في الاسم، وإلا فإن الفرق واسع، كما وصف الله عَزَّوَجَلَّ سدرة المنتهى، ووصفها رسوله ﷺ بقوله: «**وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**»(١).

* قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾، وَالْمُرَادُ بِالِاتِّكَاءِ هَاهُنَا الِاضْطِجَاعُ، وَيُقَالُ: الْجُلُوسُ عَلَى صِفَةِ التربيع عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَهُوَ مَا غَلُظَ مِنَ الدِّيبَاجِ، وَقَالَ أَبُو عِمْران الجَوْني: هُوَ الدِّيبَاجُ الْمُزَيِنُ بِالذَّهَبِ، فَنَبَّهَ عَلَى شَرَفِ الظِّهَارَةِ بِشَرَفِ الْبِطَانَةِ، فهذا مِنَ التَّنْبِيهِ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى(٢). اهـ.

فذكر البطائن، ولم يذكرها بجمال الظاهر، فإذا كان بطائنها من هذا النوع الجميل من القماش الفاخر جميل اللون، ناعم الملمس، إلى غير ذلك، فما بالك بظاهرها كيف يكون؟!.

* قوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤].

ما فيها من الفواكه قريبة من أصحابها، متكئ على فراشه، ويأكل مما أراد.

وسبحان الله! كيف ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذا بعد قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾؛ حتى لا يُظن أنه يحتاج إلى قيام لتناولها، وقد جاء في بعض الروايات: أنه لا يريد شيئًا إلا جاء إليه.

* قوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾، أي: في الجنات قاصرات الطرف، لا يرفعن أبصارهن إلى غير أزواجهن ولا يرين في الجنة أحسن من أزواجهن.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/٥٠٣).

* قوله: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}، بل هن معدات لأزواجهن، كما قال عَزَّوَجَلَّ: {عُرُبًا أَتْرَابًا}، وهذا أمر عظيم، فإن الرجل إذا تزوج امرأة قد تزوجت قبله، ربما بين الحين والآخر يأتيه بعض ما يأتي الإنسان، لكن أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن نساء الجنة لم يُطمثن إنسٌ ولا جانٌ، حتى الحلم ما هناك احتلام، وإنما تعرف زوجها، وكفى به نعيم.

* وقوله: {وَلَا جَانٌّ}، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى دُخُولِ مُؤْمِنِي الْجِنِّ الْجَنَّةَ[١]. اهـ.

* قوله تعالى {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، ولمَّا ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جمال الباطن من عفافهن، وقصور أبصارهن، أخبر أنهن في الجمال قد بلغن المبلغ العظيم: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، حسنًا، وجمالًا، ونعومةً، وحسن منظرٍ، إلى غير ذلك.

وفي «الصحيحين»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»**[٢].

* وقوله: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}، يعني أن الجزاء من جنس العمل، والإحسان الذي فعله العبد أنه أطاع الله عَزَّوَجَلَّ، ووحده، وتابع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولزم الطاعة، واجتنب المعصية، فهنيئا لمن أحسن.

(١) «التفسير» (٧/ ٥٠٤).
(٢) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

فجزاء من أحسن في الدنيا الإحسان في الآخرة، كما قَالَ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦]، والحسنى: الجنة وما فيها، والزيادة: النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

* قوله: {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، يخبر تعالى أن هاتين الجنتان دون التي قبلهما في المرتبة والفضيلة.

* قوله: {مُدْهَامَّتَانِ}، أي: يُغطي بعضها بعضًا؛ من شدة سوادها، ومن كثرة أشجارها وريِّها.

* قوله: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ فَيَّاضَتَانِ. وَالْجَرْيُ أَقْوَى مِنَ النَّضْخِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: {نَضَّاخَتَان} أَيْ مُمْتَلِئَتَانِ لَا تَنْقَطِعَانِ(١). اهـ.

إلا ان الأولى أبلغ؛ لأن العين تجري جريًا والفرق واضح.

* قوله تعالى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}، وهذا من أشرف أنواع الفاكهة، لكن الأولى أعم حيث أتى قبلها بقوله: { مِن كُلِّ } التي تفيد العموم، أما كلمة فاكهة فهي عامة يدخل فيها كل فاكهة.

{وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، كَمَا قَرَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ(٢). لبركتهما وفضلهما.

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الرمان في سورة الأنعام في موطنين، قَالَ تَعَالَى: {وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام:٩٩].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

---

(١)، (٢) «تفسير ابن كثير» (٧/٥٠٧).

وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام:١٤١].

فصار ذكر الرمان في القرآن في ثلاثة مواطن، وهو شجرة مباركة، حتى أن الحبة منها في الدنيا إذا سلمت من النقر وغيره ربما تحفظ السنة والسنتين في الغرفة، ما يضرها شيء، وطعمها لذيذ، ومفيد.

* قوله تعالى: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}، أي: خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وقيل المراد بها الحور العين، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا قَرَأَ بَعْضُهُمْ: {فِيهِنَّ خَيِّرَات}، بِالتَّشْدِيدِ(١). اهـ.

ومع ذلك فكل شيءٍ في الجنة خير، حسن، يشتهيه ويتلذذ به طعمًا، وملمسًا، ونظرًا، فالجنة كلها نعيم، طعمها نعيم، والنظر فيها نعيم، واللمس فيها نعيم، والجلوس فيها نعيم، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [الانفطار:١٣]. بينما النار كلها جحيم، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار:١٤].

* قوله: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، الأولى: فيهن قاصرات الطرف، وهي التي تقصر طرفها بنفسها، وهؤلاء قد ذكر أنهن مقصورات في خيامهن على أزواجهن، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهُنَاكَ قَالَ: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّتِي قَدْ قَصَرَت طَرْفَهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَلُ مِمَّنْ قُصرت، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ مُخَدَّرَاتٍ(٢). اهـ.

* قوله: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}، وهذا الوصف اشتركت فيه جميع الحوريات.

* قوله: {مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}، قيل: الوسائد،

---

(١)، (٢) «التفسير» (٥٠٨/٧).

والمحابس التي يجلس عليها، الْعَبْقَرِيُّ: هي بسط أهل الجنة مختلفت الألوان، وهذه مختلفة عن الأولى، حيث مدح هنالك الباطن وهنا الظاهر والفرق واضح.

* قوله تعالى: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}، تبارك الله الذي خلق هذه الجنان، وأعدها، وأمدها، للمؤمنين المخلصين، وللموحدين فهو أهل أن يُجَّلَ فلا يُعصى، وأن يُكرم فيُعبد، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى.

* وقوله: { ذِي الْجَلَالِ }، أي ذو العظمة والكبرياء.

وقريب من هذا الوصف قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} [الغاشية:٨-١٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة {نَاعِمَةٌ} أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروًا غاية السرور.

{لِسَعْيِهَا} الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، {رَاضِيَةٌ} إذ وجدت ثوابه مُدخرًا مُضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها {فِي جَنَّةٍ} جامعة لأنواع النعيم كلها، {عَالِيَةٍ} في محلها ومنازلها، فمحلها في أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

{قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو

يستعصي عليهم منها ثمرة.

﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ أي: الجنة، ﴿لاغِيَةً﴾ أي: كلمة لغو وباطل، فضلًا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن نافع مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنى أرادوا.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ والسرر جمع سرير، وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ والزرابي هي: البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب(١). اهـ.

* فالله، الله، عباد الله في تفهم القرآن، وتعقله، وتدبره، والعمل به، لننال ما وعد الله عَزَّوَجَلَّ به الخُلَّص من عباده، وإلا فالعكس، نسأل الله السلامة.

---

(١) «التفسير» (٩٢١).

فإن أكرمت نفسك في الدنيا بطاعة الله أكرمك الله عَزَّوَجَلَّ دنيا وأخرى، وإن أهنت نفسك بمعصية الله، أهانك الله عَزَّوَجَلَّ دنيا وأخرى.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:٤٣-٤٩].

عزيز فيما يبدو لنفسه، كريم فيما يبدوا للناس الذين تغرهم المظاهر، ولا ينظرون إلى المخابر، فيتهكم به من نحو صنيعه في الدنيا.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحمنا وإياكم وجميع المسلمين.

الفائدة الثامنة والأربعون:

مختصر أصول أهل السنة والجماعة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فإن أهل السنة والجماعة من زمن رسول الله ﷺ وإلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حريصون كل الحرص على تقديم ما أنزله الله تعالى وبيَّنه رسوله ﷺ، وهذا هو الأمر الذي بسببه استحقوا هذا الاسم أهل السنة والجماعة.

* فالسنة: هي طريقة النبي ﷺ القولية، والفعلية، والاعتقادية.

* والجماعة: هم الصحابة الذين اجتمعوا على الحق، والهدى، والخير الذي جاء به رسول الله ﷺ.

ومن أسمائهم (أهل الحديث)؛ لأنهم قدموا الحديث في جميع شؤونهم، فإذا تكلموا بالتوحيد جاءوا بالحديث، وإذا حذروا من البدعة جاءوا بالحديث، وإذا دعوا الناس إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ جاءوا بالأحاديث الدالة على هذه العبادات، وما يتعلق بها.

ومن أسمائهم (أهل الأثر)؛ وذلك لاتباعهم آثار من سبقهم، فتجد أنهم يتعلقون جدًا بما ثبت عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة بما لا يخالفون فيه دليلاً.

وهكذا يهتمون بأقوال التابعين؛ لأنهم من القرون المفضله الذين أثنى عليهم رسول ﷺ بقوله: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،

ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(١).

ومن أسمائهم السلفيون؛ سُمُّوا به لأخذهم طريقة السلف، والسلف: هو المتقدم، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَلَهُ مَا سَلَفَ} [البقرة:٢٧٥]. ومتقدمهم هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رضوان الله عليهم.

ومن أسمائهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، منصورة على من خالفها وإن كانوا من كانوا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ نصر رسله، وكانوا أفرادًا على من خالفهم، وهكذا ينصر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الطائفة على من خالفها، قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»، متفق عليه(٢).

و(ناجية) من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، ومن البدع والاختلاف، ونحن نتكلم عن الطائفة لا عن الأفراد، فإن الأفراد معرضون لما يتعرض له غيرهم، وهم في فعل معاصيهم دون الشرك تحت المشيئه إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الْخَطَا ❁❁❁ فَـأَمْرُهُ مُفَـوَّضٌ لِـذِي الْعَطَـا
فَإِنْ يَشَأْ يَعْفُ وَإِنْ يَشَا انْتَقَمْ ❁❁❁ وَإِنْ يَشَأْ أَعْطَى وَأَجْزَلَ النِّعَمْ

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً،**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) واللفظ له، عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، ومُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(١)، وفي رواية: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»(٢).

* وإذ نقول أهل السنة والجماعة، فليس المراد بهم طلاب العلم، وخطباء المساجد، ومن تقمصوا بهذا الأمر، بل يدخل فيهم كل من سار على سيرهم من عوام المسلمين، وتجار، وأولياء أمور المسلمين، وغيرهم.

وكم كنا نسمع من شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، بقوله: أهل السنة والجماعة منهم العالم، والمهندس، والمسؤول، والطبيب، والعسكري، فكل من أخذ بطريقهم وأحبه، واعتقده وسار عليه فهو منهم على أي حال كان، وفي أي جبل، أو سهل، أو بحر، أو بر.

۞ وهنا أصول ينبغي أن يتفطن لها المسلم: إذا أراد أن يكون من هذه الطائفة، وهذه الفِرقة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ، والتي هي امتداد لدعوة رسول الله ﷺ.

فإن من حفظ الله للدين أن جعل هذه الدعوة امتدادًا لدعوة رسول الله ﷺ تقع البدع ويثبت أهل السنة، تأتي المنكرات ويُنكرها أهل السنة، وتضعف العبادة ويقوم بها أهل السنة، وهذا من حفظ الله لدينه، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩]، حيث حفظه الله بأهل السنة لفظًا ومعنًا.

* وأعظم الأصول التي يسير عليها أهل السنة والجماعة هو ما تضمنه حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذي أخرجه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مسلم، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

١ - فالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ:

* أن يُفرد بربوبيته المتضمنة للخلق، والملك، والتدبير، قَالَ تَعَالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك:١].

* وأن يفرد بالألوهية فلا يعبد غيره، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦].

فلا يُعبد معه ملك مقربٌ، ولا نبي مرسلٌ؛ بل يعبد وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شريك له، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

* ويدخل في الإيمان بالله، الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو موصوف بكل ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولاتعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال عن نفسه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١]، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

* ومن أعظم ذلك أن نعتقد ما تضمنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ

---

(١) برقم (٨).

الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]، وغيرهما.

* **فنؤمن أنه موصوف بالكمال المقدس فهو العليم، السميع، البصير، القوي،** قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:٣].

وَقَالَ تَعَالَى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر:٢٣-٢٤].

* **ونؤمن أنه يغضب، ويرضى، ويسخط، ويحب، وغير ذلك.** مما تثبت به الأدله كما يليق بجلاله على ما هو مفصل في المطولات والمختصرات.

٢- **ومن أصول الإيمان، الإيمان بملائكة الله** عَزَّوَجَلَّ، وأنهم خلق من خلقه خلقهم من نور كما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»(١).

وَقَالَ تَعَالَى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦].

خلقهم ووكل إليهم التصرف في شئون العالم، فمنهم الصَّافون، ومنهم المسبحون، ومنهم المرسلات، ومنهم النازعات، ومنهم الذاريات، ومنهم غير

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

ذلك من الأوصاف، أعظمهم ومقدمهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان ينزل بالوحي، ثم ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ملك القطر، كما جاء من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ**»(١).

وإسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: الملك الموكل بالنفخ في الصور.

ونؤمن ببقيتهم مثل: ملك الموت، ومالك خازن النار، وخازن الجنة، وبما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ، ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الأنفطار:١٠-١١]، وَقَالَ تَعَالَى: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٨].

وهي مخلوقاتٌ كثيرة تطيع الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر:٣١]، وعظيمة، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»(٢).

٣- **ومن أصول الإيمان: الإيمان برسل الله عَزَّ وَجَلَّ**، وأنه قد أرسل رسلًا إلى أممهم، قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} [غافر:٧٨].

فمن كفر برسولٍ منهم فهو كافر بدين الله عَزَّ وَجَلَّ، وكافر بجميعهم، قَالَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:١٠٥]، وهم إنما كذبوا نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قَالَ تعَالَى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥].

ونؤمن بمن قص الله علينا منهم ومن لم يقصص، قَالَ تَعَالَى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} [النساء:١٦٤]، وأعلاهم ومقدمهم محمد ﷺ الذي يجب أن نؤمن به ونؤمن بما جاء به، والأخذ بطريقه، ويتضمن قول: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع محمد ﷺ.

ونؤمن بأن محمد ﷺ آخر الأنبياء، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ:٢٨]، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الاعراف:١٥٨]، وَقَالَ تعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان:١]، وَقَالَ تعَالَى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب:٤٠].

فمن ادعى النبوة بعده أو جوَّزَ النبوة بعده في غيره؛ فهو كافر كفرًا أكبر مخرج من الملة، ومن ادعى أن محمدًا ﷺ رسول إلى العرب فقط؛ فهو خارج من الملة لا ينفعه إقراره بنبوة محمد ﷺ حتى يضم إليها ما سبق، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٤- ومن أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بكتب الله عَزَّوَجَلَّ، المنزلة على أنبيائه ورسله أنها كلام الله، ووحيه، وتنزيله، قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ} [الحديد:٢٥].

والكتب كثيرة، أعلمنا الله عَزَّوَجَلَّ منها بالتوارة، والإنجيل، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، والزبور، فيجب علينا أن نؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ تكلم بكتبه، وأنزلها على رسله، وفيها من الشرائع والأحكام ما يحتاج إليه الناس، إلا أنها قد غُيِّرت وبُدِّلت التوراة، والإنجيل، وغيرها من الكتب كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ، وثبت القرآن العظيم؛ الذي هو وحي الله وتنزيله، ونوره، ورحمته، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩].

فنؤمن بالقرآن؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ تكلم به على الحقيقة، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة:٦]، وَقَالَ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} [الفتح:١٥].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»(١).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

فنؤمن بأن الله تكلم بالقرآن على الحقيقة، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، والله عَزَّوَجَلَّ متكلم بحرف، وصوت سمعه منه جبريل، وسمع محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

* ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كَفَّرَهُ العلماء قاطبة.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ(١):

ولقد تقلد كفرهم خمسون في * عشر من العلماء في البلدان**

واللالكائي الإمام حكاه عنهم * بل حكاه قبله الطبراني**

فنقول القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

منه بدأ: قولًا، أي: تكلم به حقيقة، وسمعه منه جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

وإليه يعود: في آخر الزمان.

فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**»(٢).

حيث يرفع من صدور الرجال، والصحف، وقد حصل نحو هذا في زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ففي «صحيح مسلم»، بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ

(١) «النونية» (٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحديث في «الصحيح المسند».

الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}، فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١).

٥- **ومن أصول أهل السنة والجماعة؛ الإيمان باليوم الآخر،** وما فيه مما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة:٣-٥].

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقبر، وما فيه من النعيم والعذاب، خلافًا للمعتزلة، والرافضة، والخوارج، ومن سار على سيرهم.

كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»(٢).

*** فنؤمن بالقبر وما فيه من النعيم للمؤمنين، وما فيه من العذاب للكافرين، ومن أراد الله عَزَّوَجَلَّ من عصاة المؤمنين،** قَالَ تَعَالَى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ

---

(١) برقم (١٠٥٠).
(٢) أخرجه أحمد (٤٥٤).

تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:٤٦]، وغيرها من الآيات.

وأما ما يتعلق بقول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة يس: {مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} [يس:٥٢]؛ قال العلماء: بأنها رقدة قبل البعث، وقال بعضهم: هي رقدة بالنسبة لما بعدها من الأهوال الشديدة، والله أعلم.

وأحاديث عذاب القبر متواترة، وقد سطرت جملة منها في رسالة مستقلة.

* **ونؤمن بالبعث، والنشور،** قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} [يس:٥١-٥٣].

* **ونؤمن كذلك بما يقع في ذلك اليوم من تطاير الصحف، ومن وزن الأعمال، ومن النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ،** قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣].

وفي الحديث: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ - أَوْ لَا تُضَاهُونَ - فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**» ثُمَّ قَالَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه:١٣٠]، متفق عليه(١).

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء:٤٧].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ

---

(١) البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٦٣)، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة:٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} [الحاقة:٢٥-٢٧].

* **ونؤمن بالصراط وهو الجسر الممدود على متن جهنم،** قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم:٧٢].

فلا يدخل أحد الجنة إلا من طريق هذا الصراط الذي نصبه الله عَزَّوَجَلَّ على متن جهنم، ولا يجوزه غير المؤمنين، وأول من يجيزه محمد ﷺ وأمته، على ما تقدم.

* **ونؤمن بحوض النبي ﷺ الذي أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ به،** كما قال: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر:١].

وهو الحوض العظيم الكبير، زواياه سواء، ومسيرته شهر، وآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من ورده شرب، ومن شرب لم يضمأ بعدها أبدأ.

فعَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا؟ قَالَ: «**سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).
(٢) البخاري (٣٧٩٢)، مسلم (١٨٤٥).

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[1].

وأحاديث الحوض متواترة حتى قيل:

مما تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ ❁❁❁ وَمَنْ بَنَى للهِ بيتًا واحْتَسَبْ

ورؤيـةٌ شَـفَاعَةٌ والحَـوضُ ❁❁❁ وَمْسُحُ خُفَّيْنِ وَهذى بَعْضُ

* **ونؤمن كذلك بالميزان التي توزن فيه أعمال العباد**، كما تقدمت الآية: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء:٤٧].

فيوزن المؤمن فيُثْقِل، كما في حديث عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عندما ضحكوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[2].

ويوزن الكافر ولا وزن له، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:١٠٥].

وفي «الصحيحين»[3] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:١٠٥]**».

* **ونؤمن بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ من خلود المؤمنين في الجنة**، قَالَ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف:١٠٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).
(٢) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.
(٣) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

* **وخلود الكافرين في النار**، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

* **ويدخل في ذلك الإيمان بأن الجنة، والنار موجودتان الآن لا تفنيان أبدًا، ولا تبيدان**، ومن الأدله على وجودهما قول النبي ﷺ في أحاديث كثيرة: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**»(١).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

ويقول في وصف النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(٢).

والنار في الأرض السفلى، كما في حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «**فَيَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى**»(٣)، نعوذ بالله من شرها.

٦- **ومن أصول أهل السنة الإيمان بالقدر خيره وشره**، وأن الخير والشر خلقهما الله عَزَّوَجَلَّ لحكمة، وأما حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(٤)، فمعناه: الشر لا يرفع إلى الله، أو الشر لا يتقرب به إليه، أو الشر لا يضاف إليه، أو أن الشر بالنسبة لنا شر وبالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ ليس بشر؛ لأنه على مقتضى كلمته وعلمه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق على مقتضى علمه، وحكمته، ورأس الشر إبليس، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقه ليبتلي به العباد، فمن أطاع إبليس كان من أهل الشقاوة، ومن عصى إبليس وأطاع الله عَزَّوَجَلَّ كان من أهل السعادة.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٢٦)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).
(٣) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤).
(٤) أخرجه مسلم (٧٧١).

ومراتب الإيمان بالقدر أربعة ينبغي علينا أن نحققها على الوجه الذي شرع الله عَزَّوَجَلَّ:

* **المرتبة الأولى العلم**: وأن الله عَزَّوَجَلَّ بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية من أمور العباد قديمها وحديثها ومستقبلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣١]، وقَالَ تعالَى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

* **المرتبة الثانية: الكتابة**: وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب مقادير الخلائق، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨]، وَقَالَ تعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد:٢٢]

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث والآيات الدالة على هذه المرتبة.

* **والمرتبة الثالثة: المشيئة**: وأنه لا يقع في هذا العالم شيء من الخير أو الشر إلا وقد شاءه الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة:٢٥٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

ومن عقيدة المسلمين قاطبة: أنهم يقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

إلا أننا ينبغي أن نفرق بين المحبة والمشيئة، فليس كل ما شاءه الله عَزَّوَجَلَّ يحبه، فقد خلق الكفار وهو لا يحبهم، وخلق الكفر وهو لا يحبه، وخلق المؤمنين وهو يحبهم، خلق الكفر وما إليه من المعاصي للابتلاء، قَالَ تَعَالَى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك:٢].

* **والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق:** وأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق العباد، وخلق أفعال العباد، قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:٩٦]، وَقَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد:١٦].

ومن أصول أهل السنة أداء حق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والاحترام لهم، والتبجيل لهم، والترضي عليهم، والدعاء لهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر:١٠].

وهذه الثلاث الآيات ذكر الله فيها أصناف الناس في هذا الباب فلا رابع لهم، إلا أن يكون من المخالفين المشاقين لدين لرب العالمين، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:٨-٩]، فهؤلاء المهاجرون والأنصار.

ثم قال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠]

فمن سبهم، أو كفَّرهم، كان من المارقين الخارجين من دين رب العالمين؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح: ٢٩].

وأعلى الصحابة منزلة أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عُمَرَ الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عُثْمَانُ ذو النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(١).

وفي رواية: «فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»(٢).

وفي حديث مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي - وهو عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(٣).

فنقر لهم بالفضل، ونقر لهم بالشكر، وندعوا لهم، ونترضى عليهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨].

وحبهم إيمانٌ، وبغضهم نفاقٌ، وكفرٌ، وطغيانٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»، متفق عليه(٤).

وكلهم عند النصرة أنصار، فالمهاجرون ناصروا النَّبِيَّ ﷺ كما في الآية،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).
(٢) أخرجه أحمد في «الفضائل» (٨٥٧)، عَنِ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧١).
(٤) البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤)، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والأنصار ناصروا النَّبِيَّ ﷺ، إلا أننا نعتقد أن المهاجرين في الجملة أفضل من الأنصار، ومن أفراد الأنصار من هو أفضل من كثير من أفراد المهاجرين، والله المستعان.

* ومن هذا الباب أن لا نخوض في ما جرى بين الصحابة من حروبهم، ومن المشاكل التي وقعت بينهم، فهم بشر يخطئون ويصيبون، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ غفر لهم، وتجاوز عنهم، وعندهم من الحسنات الماحية ما يربوا على ما وقعوا فيه من الخطأ، وربما وقع أحدهم في الخطأ عن اجتهادٍ، والمجتهد إذا أخطأ له أجر وإذا أصاب له أجران، كما صح عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١).

هذا الذي ينبغي،أن نعتقده فيهم، وقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ في أهل بدرٍ: «**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٢).

* ومن أصول أهل السنة، والجماعة التي تميزهم عن غيرهم أنهم يدعون إلى الألفة، ويحذرون من الفرقة، ويحذرون من البدع والمحدثات، ويحذرون من الحزبيات، ويحذرون من كل ما خالف الكتاب، والسنة من الديمقراطيات، والإنتخابات؛ لأنها ليست من دين الله عَزَّوَجَلَّ وأدلتهم على ذلك مثل، قول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:٣١-٣٢].

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:١٠٣].

ويَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ هَذِهِ الْأُمَّةَ - عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الجَمَاعَةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه الحاكم (٣٩٨)، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وخرجه الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند».

ويقول النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ المُؤْمِنُ**»(١).

وفي «الصحيحين»(٢)، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**».

ويقول النبي ﷺ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٣).

والأحاديث الدالة على وجوب التمسك بالكتاب، والسنة، والبعد عن الحزبيات، والبدع، والخرافات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، إلا أن أهل السنة يدعون إلى التمسك بطريق النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا في عقائدهم، ومعاملاتهم، وفي جميع أحوالهم.

ومن أصول أهل السنة، وطريقهم؛ السمع، والطاعة لكل من ولي أمرهم من المسلمين برًا كان، أو فاجرًا، لقوله الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء:٥٩].

وقد أطاع الصحابة رضوان الله عليهم الحجاج بن يوسف، وكان ظالمًا، غاشمًا، وصلى خلفه ابن عمر، وابن مسعود، وصلى خلفه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصلوا خلف الخوارج الذين قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأهل السنة يرون السمع والطاعة لكل برٍ وفاجر من المسلمين في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، واللفظ له.
(٣) متفق عليه، البخاري (٤٨١،٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥)، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»، متفق عليه(١).

وإذا أمروا بمخالفة الكتاب، والسنة فلا سمع، ولا طاعة مع عدم الخروج والثورة عليهم بأي وجه كالانتخابات والاعتصامات.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»، متفق عليه(٢).

والناس في أولياء الأمور ثلاثة أقسام:

* **الأول:** منهم من لا يرى لهم حقًا، ويرى الخروج عليهم، ويتمثلون في هذا الزمن بأصحاب القاعدة، وداعش، والرافضة، وأصحاب جماعة الفساد، ومن سار على سيرهم من أصحاب الحزبيات كالأخوان المسلمين وأصحاب الجمعيات.

* **الثاني:** أناس يرون السمع لهم، والطاعة في كل ما أمروا به من خيرٍ، وشرٍ، ومن حقٍ، وباطلٍ، وهذا تجاوز واعتداء على دين الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما تقدم من أن الطاعة في المعروف.

* **الثالث:** طريقة أهل السنة، والجماعة يرون لهم السمع، والطاعة في المعروف، فإن أمروا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ أطاعوهم، وإن أمروا بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ لم يطيعوهم في ذلك، ومع ذلك لا ينازعونهم الأمر ولا يخرجون عليهم بمظاهرات، ولا باعتصامات، ولا بدعوات إلى الخروج، ولا غير ذلك؛ لأن أهل السنة لا يستبيحون الدماء إلا بما أباحه الله عَزَّوَجَلَّ، وأمر الدماء إلى ولي الأمر هو الذي يأمر

---

(١) البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

بالحدود، ويقوم بها إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى سِفرٍ مستقلٍ.

۞ وجملة ذلك أيضًا أن طريقة أهل السنة، والجماعة تقديم العلم، والعمل، فاهتمامهم بالعلم النافع المأخوذ من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ وبهذا سلمت لهم طريقتهم، وعقيدتهم بينما تجد أهل البدع كل يأخذ برأي شيخٍ، أو برأي عالمٍ من علمائهم، وكل يمشي على طريقٍ.

أما أهل السنة، والجماعة، وإن كنَّا نقدر العلماء، ونعرف لهم حقهم، ومنزلتهم، لكن قد نخالف من لا يوافق الدليل؛ لأنهم قد يجتهدون ويخطئون.

فكم نوافق الإمام أحمد، وكم نخالفه، وكم نوافق الإمام الشافعي وكم نخالفه، وكم نوافق أبا حنيفة وكم نخالفه، وكم نوافق مالك وكم نخالفه فالواجب الأخذ بالدليل، فالأخذ بالدليل هو المتعين على أهل السنة والجماعة، وما سموا بذلك إلا لتعظيمهم لما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ، وما جاء عن رسول الله ﷺ.

۞ ومن طريقتهم أيضًا التأسي بالنبي ﷺ في أخلاقهم، ودعوتهم إلى ذلك، فيأمرون بصدق الحديث، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ويحذرون من سفاسفها، ومن وقع في خَطَأ فخطأه على نفسه أما دين الله معصوم من الخطأ، ويدعون إلى التوبة والمبادرة بها.

ولسنا مفوضين في دين الله نتكلم عنه بما نريد، وإنما نتكلم بما تكلم الله به، وبما تكلم به رسوله ﷺ، وندعوا إلى ذلك والتقصير منا حاصل، ولكن مع ذلك لا يمنع أن ندعوا غيرنا إلى امتثال كتاب ربنا، وسنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وكما قَالَ الإمامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: قُبُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ رَوْضَةٌ، وَقُبُورُ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنَ الزُّهَّادِ حُفْرَةٌ، فُسَّاقُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ،

وَزُهَّادُ أَهْلِ الْبِدَعِ أَعْدَاءُ اللَّهِ[١]. اهـ.

لأن عُبَّاد أهل البدعة تركوا السنة، وهجروا طريق النبي ﷺ، وَالْبِدْعَةَ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا، وَالْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا. كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ[٢]. اهـ.

أي: لا يوفق للتوبه.

فالتوبة، التوبة، يا عباد الله، والأخذ بهذا الطريق والتفقه على أهله حتى يسلم لنا ديننا وتسلم لنا عقيدتنا،

وبالله التوفيق.

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩).

الفائدة التاسعة والأربعون:

زكاة الفطر

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فالمتأمل لشريعة الله عَزَّوَجَلَّ يجد أنها شريعة متضمنة لمصالح العبد الدنيوية والأخروية، ويجد أنها متضمنة لحق الله عَزَّوَجَلَّ على عبده، ولحقوق العباد فيما بينهم، ومن ذلك ما جاء عند أبي داود[(١)]، وابن ماجة[(٢)] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»

وأصح من هذا الحديث الدال على فريضة هذه العبادة ما جاء في «الصحيحين»[(٣)]، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى كُلِّ حُرٍّ، أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنَ المُسْلِمِينَ».

وأمر النبي ﷺ «أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»[(٤)]، وكانوا يؤدونها قبل العيد بيوم أو يومين، وربما جمعها ابن عمر عند بعض من يتولى جمع

(١) برقم (١٦٠٩).
(٢) برقم (١٨٢٧).
(٣) البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).
(٤) أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٦).

الصدقات، فإذا كان قبل العيد بيوم، أو يومين دفعها إلى مستحقيها.

وأفضل وقتها أن تؤدى ما بين طلوع فجر يوم العيد إلى أن يخرج الإمام إلى الصلاة، ووقتها الجائز أن تؤدى قبل العيد بيوم أو يومين، وإذا أُديت قبل ذلك فهي باطلة، وإنما تحمل على أنها صدقة من الصدقات، وإذا أُخرت إلى بعد صلاة العيد فلا تجزئ، وإنما تخرج على أنها صدقة من الصدقات، كما في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «الصحيحين»[1]، قَالَ: «كُنَّا نُخْرِجُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ»، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالأَقِطُ وَالتَّمْرُ»، وفي رواية: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ».

وقد اختلف بعض أهل العلم، هل قوله: صاع من طعام، هل هو من العام، وما بعده دال على تفاصيله؟، أم أن الطعام هو الحنطة الذي كان يتقوتها الناس في ذلك الزمان؟.

ومن هذا الحديث نأخذ أن زكاة الفطر يجوز أن تخرج مما يتقوته الناس مما ذكر في الحديث، ومما لم يذكر.

وأما مقدارها فهي على كل صغيرٍ، وكبيرٍ، ذكرٍ، وأنثى، حرٍ، وعبدٍ من المسلمين صاع، والصاع: أربعة أمداد، بمُد الرجل المعتدل، وصاع النبي ﷺ معلوم معروف.

---

(١) البخاري (١٥١٠)، ومسلم (٩٨٥).

وقد قدره شيخنا يحيى حفظه الله بما يوازي خمس علب من علبة الأناناس المعروفة، وقدره بعضهم بما يوازي أربع علب من علبة الشربة التي تسمى الشوفان.

وذهب بعض أهل العلم إلى تقديره بالكيلوات تقريبًا، وإلا فإن إخراجها بالمد، والصاع هو الأولى؛ اقتداء بالنبي ﷺ، ولأنه أضبط.

فقدر بعضهم التمر بكيلو وثمان مائة جرام، والأرز باثنين كيلو وخمسة وأربعين جرام، أو نحو ذلك، والبُر باثنين كيلو، تقديرات في جملتها عسى أن تفي بالغرض عند من لا يحسن الحساب، أما من كانت لديه استطاعة أن يقوم بكيلها بالصاع، والمد فهو الذي كان على عهد النبي ﷺ.

ولا يجوز أن تؤدى زكاة الفطر نقودًا، وإن كان قد ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم إلا أن الصحيح خلاف ذلك، فإن النبي ﷺ فرضها من الطعام، وكان الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك.

ولأن إخراجها نقودًا لا يفي بالغرض، إذ أن المقصود من هذه الزكاة طعمة للمساكين في ذلك اليوم، والتوسعة عليهم في باب المآكل.

ولأن أخرجها طعامًا فيه إظهار للشعيرة في تراحم المسلمين، وتعاطفهم، حيث يرى الإنسان المسلمين في صبيحة يوم العيد وهم يخرجون من بيتٍ إلى بيتٍ يناولون الفقير الطعام الذي أوجبه الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

وهذا هو ترجيح شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم، كشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ ابن باز، وابن عثيمين، وشيخنا يحيى الحجوري، وغيرهم كثير.

ومصرف زكاة الفطر واحد وهو الفقراء والمساكين، ويجوز أن يخرج الإنسان زكاة الفطر مما يُعطى فلو كان فقيرًا وأعطي زكواتٍ جاز له بل وجب أن يخرج زكاة الفطر إن كان عنده ما يزيد على ما يغديه ويعشيه ذلك اليوم، ويجوز للمسلم أن يخرجها مما أعطاه الناس سواء أعطوه هدايا، أو زكاة.

ويجوز أن يُوكِّل الإنسان من يخرج عنه زكاة الفطر إذا كان مشغولًا أو يخشى على نفسه عدم القيام، فيجوز أن يُعطي أحدهم نقودًا، والوكيل يشتري بها طعامًا ثم يخرجه.

أما من أخرجها نقودًا، فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها لا تجزئ عنه،

وأنها غير مقبولة لأمرين:

* **الأول**: لأنه ترك هدي النبي ﷺ.

* **الثاني**: أنه جاء بشيءٍ أمر الشارع بخالفه، والأموال كانت عندهم ولو أراد النبي ﷺ أن تخرج نقودًا، لقال: ليخرجها أحدكم دينارًا أو درهمًا أو ما أراد، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم:٦٤].

والأصل أن تخرج زكاة الفطر في البلد الذي فيه الإنسان، إلا أنه يجوز إذا لم يجد من يحتاج إليها أن يرسلها إلى بلد آخر.

والأصل أن كل مسلم يخرج عن نفسه، فالزوج يخرج عن نفسه، والزوجة تخرج عن نفسها من مال زوجها، أو من مالها، لكن إذا قام رب الأسرة بأداء الزكاة على الجميع فهو أمر حسن ولا محذور فيه.

هذه بعض الأحكام التي تتعلق بهذه العبادة.

وزكاة الفطر متعينه على الجميع إلا من عجز وليس عنده شيء، فعلينا أن نجتهد بإخراج هذه الزكاة التي أوجبها الله عَزَّوَجَلَّ لأمرين:

* **الأول**: طهرة إذ ما منا من أحد إلا وقد ألم بخطيئةٍ، وذنبٍ، ولغوٍ، ورفثٍ في هذا الشهر، نسأل الله السلامة.

* **الثاني**: طعمة للمساكين وتوسعة عليهم.

ويجوز أن تدفع زكاة الفطر إلى شخص واحد، ويوسع عليه ربما طيلة العام بذلك.

ومسألة قد يقول بعضهم: إذا أخرجناها شعيرًا، أو نحو ذلك من الأطعمة، ربما لا يستخدمها الناس الآن، وربما أعطوها للدواب، أو ربما لم يأكلوها، نحن غير مخاطبين بأكلهم، أو بعدم أكلهم نحن مخاطبون بإخرجها على ما ذكر النبي ﷺ، فمن أخرجها من ذاك فحسن، ومن أخرجها أرزًا أو نحو ذلك مما يتعاطاه الناس، فحسن.

والأقط: الحليب المجفف، الذي ذُكِرَ في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من الأمور التي يحتاجها الآباء الفقراء لأبنائهم، وربما احتاجوها للإتدام بها، ونحو ذلك.

ونسأل الله القبول والسداد.

الفائدة الخمسون:

حكم دفع الزكاة والصدقة لآل بيت النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

❀ فالله عَزَّوَجَلَّ قد أكرم محمد ﷺ بكرامات عظيمة، فقال تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ❀ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ❀ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ❀ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح:١-٤].

وقال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ❀ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} [الفتح:١-٢].

❀ بل إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أكرم آل محمد ﷺ بكرامات اختصهم بها دون المؤمنين، لأن لهم حقان في دين الإسلام:

١- **الحق الأول:** حق الإسلام.

٢- **الحق الثاني:** حق القرابة من النبي ﷺ؛ ولهذا كان من قول أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي[١]، وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»[٢].

ومن خصائصهم أن الله عَزَّوَجَلَّ حرم عليهم أكل الصدقه، سواءً في ذلك الصدقة التي هي الزكاة المفروضة، أو الصدقة التي هي المستحبة.

والنبي ﷺ جاءه بعض آل هاشم يطلبون منه أن يجعلهم جُباتًا للصدقة،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠)، ومسلم (١٧٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**»(١).

بل جاء خارج الصحيح، عَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى الصَّدَقَةِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالَ لِأَبِي رَافِعٍ: اصْحَبْنِي فَإِنَّكَ تُصِيبُ مِنْهَا، قَالَ: حَتَّى آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْأَلَهُ، فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «**مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ**»(٢).

بل إنَّ النبي ﷺ رأى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ - مع أنه ليس بمكلف - فقام النبي ﷺ وأخرجها من فيه، وَقَالَ: «**كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟**»(٣).

يؤدبه، ويربيه على ترك الحرام، فالصدقة على آل البيت حرام، لا يجوز للرجل أن يُؤَكِّلهم الزكاة، كما لا يجوز لهم أن يأكلوا الزكاة، ولا يجوز له أن يَصْرِفَ إليهم الصدقة، كما أنه لا يجوز لهم أن يقبلوا الصدقة.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**كَانَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ، سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ، أَكَلَ مِنْهَا، وَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا**»(٤).

ومن علامات نبوته ﷺ أنه يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة، كما جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥).

وإن وصلت الصدقة إلى أحدٍ وأهدى لهم منها جاز ذلك، فإنه قد جاء في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٧٢).
(٢) أخرجه أبو داود (١٦٥٠)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧).
(٥) «مسند الإمام أحمد» (٢٣٧٣٧).

حديث عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وغيرها، قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَحْمٍ، فَقُلْتُ: هَذَا مَا تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «**هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ، وَلَنَا هَدِيَّةٌ**»(١)، وهذا دليل على من زعم أن صدقة التطوع لا تدخل في حكم التحريم، فلم يأكل منه النَّبِيُّ ﷺ إلا أنه هدية من بريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

وذلك أنَّ الرجل إذا تُصدِق عليه بشيء تملك الصدقه، فإذا تملكها جاز له أن يهدي منها، وأن يتصدق منها.

❀ فالواجب على من علم نفسه أنه من آل بيت النبي ﷺ، أن لا يتعرض للصدقة، أو للزكاة، ولا يجوز له حتى أن يكون عاملًا على الزكاة، وإن كان قد جوزه بعض أهل العلم، قالوا: إذا عملوا على الزكاة يُعطون أجرهم على أنهم عمال لا على أنها زكاة، لكن الصحيح من أقول أهل العلم، أنه لا يجوز لهم أن يتولوا على الزكاة جباه، أو غير ذلك، وليس لهم من مصارف الزكاة شيء، وقد جعل الله لهم من مصرف الخمس، كما هو مذكور في كلام الله، وفي كلام رسوله ﷺ، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الأنفال:٤١]، وَقَالَ تعَالَى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [الحشر:٧].

إلا أنه ينبغي للناس إذا رأوا في آل البيت حاجة أن يهدوا لهم.

* وأنا أتعجب من كثير من الناس حين يجعل أمر نفسه في أمر واحد، يا أخي ما ضيق الله عَزَّوَجَلَّ عليك، قد جعل الله سُبلًا فآل البيت أهدِ لهم، والهدية لها

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٣)، ومسلم (١٠٧٥).

أجرها، ولها فضلها.

ثم أيضًا ما أدراك أن بعض الهدايا تكون أقرب عند الله من بعض الصدقات، لو أن الإنسان يهدي لقرابة رسول الله ﷺ ويتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بإكرام قرابة رسول الله ﷺ، والإحسان إليهم، فهو إكرام لرسول الله ﷺ، وإحسان لرسول الله ﷺ، وهو علامة على محبة رسول الله ﷺ.

* انظر إلى قول أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي(١).

وقرابة النبي ﷺ الذين حُرِمُوا الصدقة ما جاء في حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ(٢).

من كان من هذه الأنساب، فإن الصدقة عليهم حرام، لا يجوز لهم أن يأخذوها بحالٍ، ولا يجوز أن يُعطوها بحالٍ.

لكن يجب على المسلمين أن يكرموهم، إذا رأوا فيهم حاجة بإعطائهم من مال الله عَزَّوَجَلَّ الذي آتاهم على الصورة المشروعة، إما قرضًا، وإما هديةً، وإما عطيةً مجردة، إلى غير ذلك، ومن ترك شيء لله عوضه الله خيرًا منه.

وكما أنه لا يجوز لهم أخذ الصدقة، كذلك لا يجوز أن يُمنعوا من مال الله، كقرض إذا كانوا بحاجة، أو هديةٍ، أو عطيةٍ، أو غير ذلك مما جعله الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب التآلف بين المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠)، ومسلم (١٧٥٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

ﷺ وبحمد الله من زمن قديم وشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهكذا من خلفه في أمور دعوته يجعلون ما تأتيهم من الصدقات بالنسبة لآل البيت هدايا.

لو قُدِّر أن هناك طلاب علم من آل البيت فإن ما يخرج إليهم يعتبر هدية؛ لأن الصدقة قد وقعت محلها، ثم من وصلته الصدقة جاز له أن يهدي منها، وأن يعطي منها، وأن يسلف منها، وأن يصرفها على الأوجه المشروعة.

هذه مسألة لابد من التفطن لها، والنصيحة فيها سواء الزكاة المفروضة، أو الصدقة المستحبة، فإنها حرام على آل بيت النبي ﷺ.

* ونحن إذ نتكلم عن آل بيت النبي ﷺ نريد الصالحين، ما نريد أدعياء الآل، أو من خالف ما عليه الرسول ﷺ، والآل، فآل بيت النبي ﷺ الذين تشملهم أحكام الإسلام؛ هم الذين يسيرون على سير رسول الله ﷺ، وكان نسبهم إليه، أو إلى من تقدم ذكرهم فتشملهم أحكام آل البيت.

أما الرافضة وكذلك عباد القبور من الصوفية وإن كان نسبهم إلى آل البيت فلا عبرة بهذا النسب، لا يغني عنهم شيئًا؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد تب على أبي لهب: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد:١-٥].

وهو أقرب إلى رسول الله ﷺ من هؤلاء المتأخرين؛ لأنه أخ لأبي رسول الله ﷺ، ومع ذلك لما أبا دخول الإسلام ما نفعه ذلك النسب شيئًا، وما أحسن قول بعضهم:

لَعَمْرُكَ مَا الإِنْسَانُ إِلاَّ بِدِيْنِهِ ❀❀❀ فَلا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالاً عَلَى النَّسَبِ
فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلامُ سَلمَانَ فَارِسٍ ❀❀❀ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيْفَ أَبَا لَهَبْ

وهكذا أبو طالب مع أنه ناصر النبي ﷺ وأحاطه، وحفظه، وأنفق عليه، لكن لما لمَّا يدخل في الإسلام لم ينتفع بالنسب.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يعيننا على طاعته، ووالله إننا نحب آل محمدٍ ﷺ الصالحين، المصلحين، المستقيمين على دين رب العالمين، نحبهم للإسلام الذي هم عليه، ونحبهم للاستقامة التي هم عليها، ونحبهم لقرابتهم من النبي ﷺ.

*** تنبيه:**

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَبَنُو هَاشِمٍ إذَا مُنِعُوا مِنْ خُمُسِ الْخُمُسِ جَازَ لَهُمْ الْأَخْذُ مِنْ الزَّكَاةِ وَهُوَ قَوْلُ الْقَاضِي يَعْقُوبَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا وَقَالَهُ أَبُو يُوسُفَ وَالْإِصْطَخْرِيُّ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ لِأَنَّهُ مَحَلُّ حَاجَةٍ وَضَرُورَةٍ(٢). اهـ.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا منعوا أو لم يوجد خمس، كما هو الشأن في وقتنا هذا فإنهم يعطون من الزكاة دفعاً لضرورتهم إذا كانوا فقراء، وليس عندهم عمل، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الصحيح(٣). اهـ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٣٧٤).
(٣) «الشرح الممتع» (٦/ ٢٥٧).

الفائدة الحادية والخمسون:

أحوال الإنسان مع الخطيئة، وطريقة علاجها

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

الإنسان بطبيعته خطاءٌ إما بقلبِهِ، أو بلسانِهِ، أو بجوارحِهِ، أو بجميعها، ولا يسلم من ذلك إلا من عصمه الله عَزَّوَجَلَّ.

ﮪ والذنوب، والمعاصي، والأخطاء حين تتراكم على الإنسان تؤذيه أشد من تكالب الأعداء عليه، ويُهزم الإنسان من نفسه أكثر من أن يهزم من غيره، فقد لا يسلط عليك العدو الظاهر إلا بسبب العدو الباطن، وهي نفسه وكم كنا نسمع من شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما نخاف على دعوتنا إلا من أنفسنا.

قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى:٣٠].

وهذا فقه دقيق يعلمه من بصَّره الله عَزَّوَجَلَّ بعيب نفسه، حتى قال بعض السلف: إني لأعرف خطيئتي في خُلقِ امرأتي، وبعضهم يقول: في خلق دآبتي، فإذا كان طائعًا لله عَزَّوَجَلَّ سُخِّرَت له دآبته وامرأته على أحسن حال، وإذا وقع في معصية ربما يخرج من بيته، وهو على حال طيب، وما يرجع إلا وقد ضاق الحال بينه وبين أهله، وإذا ركب دآبته نفرت، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ} [فاطر:٣٥].

فالمعاصي، والذنوب عدو متربص ملازم للإنسان إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ،

وكثير من الناس قد يستقيم لسانه، ولكن الاعوجاج في قلبه.

وكثير من الناس قد تستقيم جوارحه ويكون الاعوجاج في لسانه.

وكثير من الناس ظاهر لسانه وجوارحه الخير، والفساد في قلبه، والله عَزَّوَجَلَّ مطلع على السرائر والظواهر، {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الأنعام:٧٣].

قَالَ تَعَالَى: {مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد:٤].

* ولو تأملنا ما وقع للصحابة رضوان الله عليهم في غزوة أحد مع كرامتهم، وعلو منزلتهم حيث قتل منهم سبعون، ومُثِّلَ ببعضهم، وجرح النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكُسِرَت رباعيته، وهُشِّمَ المغفر على رأسه، والسبب؟ ما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: { وَعَصَيْتُمْ } [آل عمران:١٥٢].

كما قَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران:١٨٢].

لم تكن معصيتهم فاحشة، لم تكن معصيتهم أخذ مال الناس بالباطل، لم تكن معصيتهم سبٌّ، وشتمٌ، ولعنٌ، لم تكن معصيتهم سماع الأغاني، والمزامير، والدفوف للرجال، ومشاهدة التلافز، لم تكن معصيتهم اختلاطهم بالنساء، وتعاطيهم للشرور، والآثام، كما هو حال الناس الآن إلا ما رحم ربي وقليل ما هم، كانت المعصية من بعضهم تأولًا، أمرهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يكونوا في الجبل الذي يسمى بجبل الرماة، وأمرهم أن لا ينزلوا من الجبل، وأن لو تخطفتهم الطير،

فبينما هم على ذلك الحال إذ رأوْا النصر للمسلمين، فأرادوا النزول، فقال لهم أميرهم: ألم يقل رسول الله ﷺ كذا؟، فقالوا: الغنيمة الغنيمة، ونزلوا من الجبل فكانت بعد ذلك المعركة على المسلمين، بعد إن كانت للمسلمين.

{إِذْ تَحُسُّونَهُم}، والحس يكون من القفى، كان الكفار قد شردوا هاربين، والمسلمون يتابعونهم بالسيوف، فلما نزل هؤلاء النفر مخالفة لأمر رسول الله ﷺ رجع الأمر على المسلمين وقتل سبعون، وحصل ما تقدم ذكره بسبب ما ذكره الله: { وَعَصَيْتُم }.

فإذا كان الأمر حصل لهؤلاء الكرماء، الفضلاء، الصفوة مع اجتهاد منهم، فكيف بنا؟! ونحن نتعاطى معاصي ظاهرة، من منا يستطيع أن يزكي نفسه؟ أحسننا حالًا الذي ما يتعاطى الفواحش العظيمة، وربما فسد قلبه بالحسد، والحقد، والغل، والرياء، والعجب، والتطاول، والتفاخر، ورؤية نفسه، مصيبة!، مصيبة! أن الإنسان تُذْهِبُهُ ذنوبه، مصيبة والله! لو لم يكن إلا رؤية النفس.

حتى ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثالًا قال: لو أن أحدهم قام الليل أجمع، والآخر نائم، ثم أصبح القائم متطاولًا على النائم، لكان نومه أفضل له من قيامه؛ لأن الذي أقامك الله فاشكر ربك واحمده على ذلك بترك رؤية النفس، ولا تتطاول على أحد، الله أعلم استجاب لك أم لم يستجب، قبلك أم لم يقبلك.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ**»(١).

وهكذا الفخر على الناس، من أنت يا أخي؟! وما أنت؟! حتى ترى نفسك

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٩٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بالمرتبة العَليَّة التي لا تُبلغ؟ نحن مساكين لولا ستر الله علينا.

وحالنا كما قال الأول:

والله لو علموا قبيح سريرتي ❁❁❁ لأبى السلام علي من يلقاني

* ولذلك كان من الدعاء: «**نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا**»(١).

فإذا سلم من هذه الأمراض القلبية؛ كم في اللسان من أمراض: الغيبة، والنميمة، والكذب، والبهت، الوعد ثم بعد ذلك الخلف، والسب، والشتم، واللعن، فكم للسان من ذنوب، ومعاصي تؤدي بالإنسان إلى الموارد، كلمة! يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٢).

فكيف بكثرة الكلام؟ إذا كان هذا الحال مع من ذنوبه هذه، فما بالك بساب الله، وساب رسول الله ﷺ، وساب دين الله، والمستهزئ بحملة الدين؛ فهذا كافر، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، أتظن أن هؤلاء النفر الذين كفَّرهم الله عَزَّوَجَلَّ، وأخبر بحالهم سبوا الله جهارًا كما يفعله بعض الاشتراكية، والبعثية ومن إليهم من الحداثية، والعلمانية، أصحاب القلوب المريضة، والفطر السقيمة؟ لا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هل سبوا رسول الله ﷺ وتنقصوه ظاهرًا كما هو حال كثير من حيوانات الأمة؟ لا.

إذًا ما الذي حصل منهم، حصل منهم أن طعنوا في الصحابة رضوان الله عليهم، بماذا؟

يذكر أهل السير والتفسير أنهم، قالوا: ما رأينا أسمن بطونًا، ولا أجبن عند اللقاء من أصحاب محمد ﷺ، فأنزل الله: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة:٦٥-٦٦]، ثم قال: {إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة:٦٦].

فتاب الله على بعض من تاب توبة نصوحًا، وعذب الله عَزَّوَجَلَّ من مات على ذلك الاعتقاد السيء الفاسد في صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإذا سلم الإنسان من لسانه، ومن يسلم! إلا من رحم الله.

اللسان آفته آفه، للكلام شهوة كشهوة الطعام والشراب، شهوة، تجد الإنسان إذا قرأ القرآن تعب، وإذا سبح تعب، وإذا حاضر تعب، وإذا نصح تعب، لكن إذا جلس مع واحد في مجلس غيبة ونميمة يمكن ساعة، ساعتين، ثلاث، يجد أن المجلس لذيذ، وأنَّ الوقت ما عليه حسرة، وهكذا نسأل الله السلامة.

وأما الجوارح، شرورها كثيرة لا تقل عن سابقتها السرقة، والنهبة، والزنا، واللواط، والربا، والمشي إلى الحرام، وكم لها من المعاصي، والشرور.

فإن لم يسلمك الله عَزَّوَجَلَّ مُعرضٌ لشرور عظيمة، فيا عباد الله علينا أن نعالج أنفسنا، فإن الإنسان إذا علم أنه مريض سهل علاجه، وإذا ظن أنه صحيح لم ينفع معه العلاج.

انظر إلى أصحاب الوسواس القهري قل أن يتعالج أحدهم؛ لأنه يرى نفسه عاقلًا، ويرى نفسه أفهم من غيره، ويرى نفسه أنه الكل في الكل، ويأبى العلاج، شاهدنا من هذا المثل أن الإنسان إذا علم أنه مريض تعالج، لكن المشكلة الذي لا يعلم أنه مريض، وجمهور الأمة الآن ما يعلم أنه مريض، أذا تأملته في شكله، في بيته، في طريقه، في حاله مع نفسه، مع زوجه مع أبنائه، مع جاره، مع أمه، مع أبيه، مع خاله، مع عمه، مع صاحبه، وجدته قد ابتلي بكثير مما يسوء به الحال، وإذا كلمته قال: أنا وأنا، ما يرى لنفسه قصورًا هذه مصيبة، وهذا لم يعلم أنه مريض فكيف يُعالج!.

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرجون من الذنب ويبادرون بالتوبة، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود:١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «**لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**»(١).

وعَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود:١١٤] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: «**بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٣).

هذا رجل علم أنه أصاب شيئًا يخالف الشرع، فبادر إلى التوبة، والرجوع إلى الله، أما جمهور الأمة الآن ما عنده هذا.

* فيا عباد الله نحتاج أن نراجع أنفسنا مع الله، ونعلم أننا نُخطئ بالليل والنهار، والاستمرار عليه خطر، فالعلاج ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**»، - والخطأ سبب لدمار الأمم والشعوب، فما العلاج؟ -، قَالَ: «**وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(١).

استغفروا الله يغفر لكم، وعودوا إلى الله يعفو الله عنكم، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه:٨٢].

فنسأل الله السلامة والعافيه، نسأل الله أن يتوب علينا، ويجنبنا الشرور والآثام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الفائدة الثانية والخمسون:

ليلة السابع والعشرين من رمضان

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد صح عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَالَ: «**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**»(١).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَذَاكَرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ، وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ؟**»(٢)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْفَارِسِيُّ: أَيْ: لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ الْقَمَرَ يَطْلُعُ فِيهَا بِتِلْكَ الصّفة(٣). اهـ.

وفي حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَالَ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُهَا، - قَالَ شُعْبَةُ: - «**وَأَكْبَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**»(٤).

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ، يَشُقُّ عَلَيَّ الْقِيَامُ، فَأْمُرْنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُوَفِّقُنِي فِيهَا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ. قَالَ: «**عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ**»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (١١٧٠).
(٣) «فتح الباري» (٤/ ٢٦٤).
(٤) أخرجه مسلم (٧٦٢).
(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤٩).

وجاء في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**»(٢).

فالشاهد أنها ليلة مباركة بأذن الله عَزَّوَجَلَّ، وهي أرجى ليالي رمضان في أن تكون ليلة القدر، فمن استطاع أن يعتكف في هذه الليلة فليبادر، ومن استطاع أن يحييها فليبادر، ولا يكسل الإنسان عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ حتى الحُيض في البيوت ينبغي أن تكثر من الدعاء، والذكر، وقراءة القرآن.

لأن النبي ﷺ: **كَانَ** «**إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**»، أخرجاه(٣)، هكذا يُفرغ الإنسان نفسه لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فقد تُستجاب له دعوة، وقد يُصلح له حال، وقد يُغفر له ذنب، وقد يُستر له عيب، وقد يُشفى له مريض، وقد يُرحم له ميت، وقد يَعود له غائب.

فلا غنى لنا عن الله عَزَّوَجَلَّ طرفة عين، وإن لم نكن نعاني من مثل ما تقدم فنحن بحاجة إلى مغفرة الله، وإلى رضوانه، وإلى أن يكرمنا الله عَزَّوَجَلَّ بدرجات الجنة، وبنعيمها المقيم، فأنصح إخواني جميعًا بالمحافظة على هذه الليلة وما فيها، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرمنا بقيام ليلة القدر، وقبولها، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥).
(٣) البخاري (٢٠٢٤)، مسلم (١١٧٤) واللفظ له، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وإذا قُبِلت والله هي السعادة، قَالَ تَعَالَى: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر:٣]، إذا قبل الله منك ركعتين فأنت سعيد، فكيف بليلة القدر التي فيها {يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان:٤]، وفيها تتنزل ملائكة الله لكثرة الرحمات والبركات النازلة في تلك الليلة.

ويذكرون في أوصافها بما لم يثبت، كما يقول بعضهم: لا ينبح فيها كلب، ولا يسقط فيها نجم، وهي ليلة سمحاء.

وقد يجد الإنسان من نفسه علامات في قلبه، حيث يجد خشوعًا، وسكينةً، ورقةً، وأمور لم يجدها من قبل وذلك أن الملائكة تتنزل بكثرة، والخير حاصل، والبركات حاصلة، فربما يجد المؤمن بعض الأثر، وإن لم تجد ذلك فكونك أقمتها فأنت بخير.

وأما صبيحتها فتصبح الشمس بيضاء لا شعاع لها؛ بسبب تنزل الملائكة، وحصول الخير تصبح كأنها خبزة، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا لقيامها، وأن يرزقنا الإخلاص في ذلك.

ونسأل الله العون، والقبول، والسداد.

الفائدة الثالثة والخمسون:

أحكـام وسنن العيـدين

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

جاء في «سنن أبي داود»(١) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ**».

ولهذين العيدين أحكام ينبغي للمسلم أن يتعلمها ويأتي بها، وأول هذه الأحكام:

١- **أن ليس في ديننا غير هذين العيدين**، سواء في ذلك عيد مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عيد أول السنة، أو عيد ليلة الإسراء، أو عيد الشعبانية، كل ذلك من البدع المحدثة في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، ومن ذلك عيد الثورة، وعيد الأم، وعيد الشجرة، وعيد العمال، وغير ذلك من الأعياد التي ما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ بها من سلطان.

٢- **ومن أحكام عيد الفطر، أنه يَشْرُعُ المسلم بالتكبير بانتهاء آخر يوم من رمضان وبغروب شمسه**؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:١٨٥].

---

(١) برقم (١١٣٤).
(٢) متفق عليه، البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فمن تمام شكر الله عَزَّوَجَلَّ التكبير، والتعظيم لله عَزَّوَجَلَّ عند انتهاء عدة الشهر، **وينتهي الشهر بأمرين:**

* **الأول**: بخروج الهلال وظهوره.

* **الثاني**: بإكمال العدة ثلاثين، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ**»(١).

والتكبير لم يثبت عن النبي ﷺ في صيغته شيءٌ، إلا أن أحسن ما في الباب ما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وعن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا.

أما ما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أَنَّهُ: «**كَانَ يُكَبِّرُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ**»(٢).

وأما ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، أَنَّهُ كان يقول: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا**»(٣).

وهناك ألفاظ جاءت عن السلف غير هذه الألفاظ، فالأمر فيه سعة، من جاء بلفظ التكبير وحده أجزأه، ومن أضاف إليه التهليل، والتحميد فهذا ظاهر القرآن، لقوله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:١٨٥]، ويستمر التكبير في عيد الفطر حتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام انقطع التكبير.

٣- **وهكذا في صبح هذا اليوم يستحب ويتعين المبادرة بإخراج زكاة الفطر**، فوقتها الأفضل ما بين الفجر إلى خروج الإمام، ووقتها الجائز قبل العيد بيومين فقد كَانَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) واللفظ له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.
(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٥٣٨).
(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٦٢٨٠).

ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ**»(١)، فقد يريد بهذا الصحابة رضوان الله عليهم، أو أن الحديث مرفوع أنهم كانوا يخرجونها قبل العيد بيوم أو يومين، وهذا صنيع ابن عمر أيضًا؛ لأنه كان يعطيها عند الوكيل ثم يقوم بإخرجها، وإن أخرجها بعد الصلاة فهي صدقة وليست بزكاة فطر.

٤- **ويستحب في صباح ذلك اليوم أن يفطر المسلم على تمرات وترًا**، كما ثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ» وَقَالَ: «وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا»(٢)، قبل أن يذهب إلى المصلى؛ وذلك حتى لا يلتبس الأمر ويوصل الصيام، وإن أكل غير ذلك جاز، إلا أن هذا سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل على عدم الإهتمام بالطعام في ذلك الوقت.

٥- **ومن السنة أن يصلي العيد في المصلى**، هذا الذي عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون لهم بإحسان، ولا يُصلى في المسجد إلا لحاجة كمطر ونحوه، وإلا فالأصل أن الناس يخرجون إلى المصلى لصلاة العيد، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ يَوْمَ الفِطْرِ وَالأَضْحَى إِلَى المُصَلَّى»(٣).

٦- **ويستحب أن يخالف بين الطريق في ذهابه وإيابه**، لما ثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ»(٤)،

---

(١) أخرجه البخاري (١٥١١).
(٢) أخرجه البخاري (٩٥٣).
(٣) أخرجه البخاري (٩٥٦)، ومسلم (٨٨٩).
(٤) أخرجه البخاري (٩٨٦).

وقد تكلم العلماء على هذا الأمر، فقيل: لتكثير السواد، وقيل لإغاضة المشركين، وقيل لإظهار الشعيرة، وقيل لغير ذلك.

٧- **ولا يصلي قبل العيد ولا بعدها**، إلا إذا كانت صلاة العيد في المسجد فيصلي تحية المسجد، أما أنَّ هناك نافلة قبلية أو بعدية للعيد فلم يثبت شيء، بل ثبت خلاف ذلك عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا(١)، وعن كثير من أصحاب النبي ﷺ، وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في «الصحيحين»(٢)، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ أَضْحَى، أَوْ فِطْرٍ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا»، وبوب عليه البخاري بَابُ الصَّلاَةِ قَبْلَ العِيدِ وَبَعْدَهَا.

بل جاء عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ «لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدَيْنِ وَلَا بَعْدَهُمَا شَيْئًا»، وفي رواية: قَالَ: «كَانَ لَا يُصَلِّي يَوْمَئِذٍ حَتَّى يَتَحَوَّلَ النَّهَارُ»(٣).

وما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويحسنه بعض أهل العلم: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَجَعَ مِنَ الْمُصَلَّى صَلَّى رَكْعَتَيْنِ»(٤)، فهو من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، وهو ضعيف على الصحيح من أقوال أهل العلم.

٨- **وصلاة العيد واجبة على الرجال والنساء**، إلا أن النساء ليس بواجب عليهن الخروج إلى المصلى، وإنما يستحب لهن ذلك، وقد استدل شيخ الإسلام على وجوب صلاة العيد بأنها شعيرة من شعائر الإسلام، وكون النبي ﷺ أمر الحُيَّض، وذوات الخدور أن يخرجن إلى المصلى، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٣٦٩).
(٢) البخاري (٩٨٩)، ومسلم (٨٨٤)، واللفظ له.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٦١٢،٥٦١١).
(٤) اخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٢١٩١)، والحاكم في «المستدرك» (١١٠٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٦٢٢٨).

٩- ووقتها المختار من بعد خروج وقت الكراهة إلى زوال الشمس، أما إذا لم يعلم الناس بالعيد إلا بعد الزوال فإنهم يصلون من الغد، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ عُمُومَةً لَهُ شَهِدُوا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُؤْيَةِ الْهِلَالِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُفْطِرُوا، وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنَ الْغَدِ»(١).

ﷺ واختلف أهل العلم في تقديم صلاة الأضحى قليلا على صلاة الفطر، وقالوا: صلاة الفطر تؤخر قليلا؟

نعم، قيل: إن صلاة الفطر تؤخر قليلا لحاجة الناس لإخراج زكاة الفطر.

وأما في الأضحى فَتُقَدَّمُ؛ لأن الناس يتأخرون في الأكل حتى يأكلوا من أضاحيهم، لكن لم نرَ دليلًا على هذا التفريق، فقد جاء عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أنكر على من يؤخر الصلاة، فعن يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ الرَّحَبِيُّ، قَالَ: خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرٍ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّاسِ فِي يَوْمِ عِيدِ فِطْرٍ، أَوْ أَضْحَى، فَأَنْكَرَ إِبْطَاءَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: «إِنَّا كُنَّا قَدْ فَرَغْنَا سَاعَتَنَا هَذِهِ»، وَذَلِكَ حِينَ التَّسْبِيحِ(٢).

١٠- وبالنسبة لغسل العيد، لم يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه شيء، لكن ثبت عن ثلاثة من الصحابة ابن عمر، والسائب، وعلي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وروى الفريابى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ قَالَ: «سُنَّةُ الْفِطْرِ ثَلَاثٌ: الْمَشْيُ إِلَى الْمُصَلَّى، وَالْأَكْلُ قَبْلَ الْخُرُوجِ، وَالِاغْتِسَالُ»(٣)، وإسناده صحيح، فلعله يريد سنة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فمن اغتسل وتأسى بهؤلاء النفر لا ينكر عليه، ومن لم يغتسل فالغسل ليس

(١) أخرجه أحمد (١٣٩٧٤).
(٢) أخرجه أبو داود (١١٣٥).
(٣) «أحكام العيد» (١٨، ٢٦).

بواجب في صلاة العيد، وإنما هو غسل نظافة.

١١ - ويستحب في ذلك اليوم أن يلبس الإنسان الجديد من لباسه، أو أحسن ما لديه، فإنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ، فَأَخَذَهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ(١).

فيستحب في ذلك اليوم أن الإنسان يلبس أحسن ما لديه، ويظهر بأحسن الحالات، وأكمل الهيئات، متحدثًا بنعمة الله عليه ظاهرًا وباطنًا، حالًا ومقالًا.

١٢ - وبالنسبة لعيد الفطر إذا انتهى الإمام من الصلاة انتهت أحكامه.

١٣ - وأما كيفية الصلاة:

* **فيصلي ركعتين**، يكبر في الأولى سبعًا، بتكبيرة الإحرام على القول الصحيح، ويكبر في الثانية خمسًا، بغير تكبيرة الانتقال، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَبَّرَ فِي عِيدٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً، سَبْعًا فِي الْأُولَى، وَخَمْسًا فِي الْآخِرَةِ، وَلَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا، وَلَا بَعْدَهَا» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: «وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى هَذَا»(٢).

* **ويقرأ في الأولى بالفاتحة وسبح، وفي الثانية بالفاتحة والغاشية**، كما جاء في حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»، قَالَ: «وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨).
(٢) أخرجه أحمد (٦٦٨٨)، وغيره.
(٣) أخرجه مسلم (٨٧٨).

* وجاء أنه يقرأ بالأولى: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»، ويقرأ في الثانية: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ»، فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ قَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ«ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»، «وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ»»(١).

* وليس بين التكبيرات ذكر يؤثر، والقول الذي قلناه في التكبيرات هو الذي عليه الجماهير، لما جاء من الأحاديث وإن كان بعضها لا يخلو من مقالٍ، إلا أنها بمجموعها مع ما في الباب من الآثار يكون العمل بها أقرب من غيرها.

مع أنه قد جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره أنه يكبر ثلاث تكبيرات، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ يُكَبِّرُ فِي الْعِيدَيْنِ تِسْعًا تِسْعًا: أَرْبَعًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ، وَفِي الثَّانِيَةِ يَقْرَأُ فَإِذَا فَرَغَ كَبَّرَ أَرْبَعًا، ثُمَّ رَكَعَ»(٢)، وبعضهم ربما لا يكبر؛ لكن الصحيح أن صلاة العيد تختلف عن غيرها من الصلوات بزيادة التكبيرات قبل القراءة، فمن كبر بعد القراءة فقد أساء، ومن صلى بغير تكبيرات فصلاته صحيحة إن كان ناسيًا، أو جاهلًا فلا شيء عليه، وإن كان متعمدًا فقد أساء إذ ترك هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٤- وتخرج النساء إلى المصلى استحبابًا لا وجوبًا، ولم أرَ من قال: بوجوب خروجها ممن يعتد به، وفي الباب آثار عن أبي بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ ذَاتِ نِطَاقٍ الْخُرُوجُ إِلَى الْعِيدَيْنِ»(٣)، لكن لم تثبت، وأيضًا كلمة حق قد يراد به الحق الواجب، وقد يراد به الحق المستحب، إلا أنها إذا

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩١).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٦٨٦).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٧٨٥).

خرجت إلى المصلى ينبغي أن تخرج متجلببة ومستورة، لقول النبي ﷺ: «**لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا وَلْتَشْهَدِ الخَيْرَ وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ**»(١).

١٥- وذات الحيض تعتزل المصلى وتسمع الخطبة، ولها أن تكبر، وتحمد، وغير ذلك مما يقع في ذلك اليوم.

١٦- وخطبة العيد واحدة على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما بينته في كتابي «فتح الحميد المجيد في بيان الراجح في خطبة العيد»، يقوم بها الإمام بعد الصلاة، ولم يخالف ويأتي بها قبل الصلاة إلا بعض بني أميه؛ إذ كانوا يقعون في آل بيت النبي ﷺ فينصرف الناس من الخطبة، فعند ذلك قدَّموا الخطبة، حتى يضطر الناس إلى شهود الصلاة معهم.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الفِطْرِ وَالأَضْحَى إِلَى المُصَلَّى، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلاَةُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيَعِظُهُمْ، وَيُوصِيهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ، فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثًا قَطَعَهُ، أَوْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ - وَهُوَ أَمِيرُ المَدِينَةِ - فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ، فَلَمَّا أَتَيْنَا المُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ، فَإِذَا مَرْوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَجَبَذْتُ بِثَوْبِهِ، فَجَبَذَنِي، فَارْتَفَعَ، فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلاَةِ»، فَقُلْتُ لَهُ: غَيَّرْتُمْ وَاللَّهِ، فَقَالَ أَبَا سَعِيدٍ: «قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ»، فَقُلْتُ: مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لاَ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤)، ومسلم (٨٩٠)، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (٩٥٦).

وعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «شَهِدْتُ صَلَاةَ الْفِطْرِ مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ يَخْطُبُ»(١).

وإنما ثبتت الخطبتان في الجمعة عن رسول الله ﷺ، لما ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَقْعُدُ، ثُمَّ يَقُومُ كَمَا تَفْعَلُونَ الآنَ»(٢)، وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَجْلِسُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا، فَمَنْ نَبَّأَكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ جَالِسًا فَقَدْ كَذَبَ، فَقَدْ وَاللَّهِ صَلَّيْتُ مَعَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ صَلَاةٍ»(٣).

أما في العيد فلا قعود فيها ولا يخرج فيها بالمنبر، بخلاف الاستسقاء فقد صح عن النبي ﷺ، كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنه في الاستسقاء أمرهم أن يُخرجوا المنبر إلى المصلى، قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ»(٤).

وأما في العيد فيخرج لها بغير منبر، واستخدام المنبر كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لها يعتبر من المحدثات.

١٧ - ويُصلى العيد بغير آذان، ولا إقامة، ولا الصلاة جامعة، ولا قوموا إلى صلاتكم، ولا شيء، من ذلك، وإنما إذا خرج الإمام قام الناس وصفوا صفوفهم، ثم يصلي الركعتين المذكورتين يجهر فيهما بالقراءة، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (٩٢٠)، ومسلم (٨٦١).
(٣) أخرجه مسلم (٨٦٢).
(٤) جاء عند أبي داود (١١٧٣)، وغيره.
(٥) أخرجه البخاري (٩٥٨)، ومسلم (٨٨٥).

١٨- **وما اعتاده الناس من المصافحة بعد العيد لم يثبت تخصيصه بذلك اليوم**، إلا أن المصافحة مطلقًا جائزة.

١٩- **ومن المحدثات تخصيص المقابر في ذلك اليوم بالزيارات ونحو ذلك**، فهذا لم يثبت عن النبي ﷺ.

٢٠- **ويجوز في ذلك اليوم أن يلعب الصبيان، وأن يُتنزه ويعمل شيء من الألعاب المشروعة**، وقد لعب الحبشة بين يدي النبي ﷺ في المسجد في ذلك اليوم، وجاءت جاريتان عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تغنيان، كما جاء في «الصحيحين»[(١)]، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى، تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهُ، وَقَالَ: «**دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ**».

وَقَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ».

وليس بالغناء المعهود الآن كما يفعله الناس بالمزامير، والطبول، ونحو ذلك، فهذا محرم في العيد وغيره، ولكن غناء النساء بالدف، أو بغير دف، قال النبي ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا**»، وفي رواية: «**دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى**»[(٢)].

٢١- **إذا اجتمع عيدٌ وجمعة يجوز أن تُصلى الجمعة**، بل يستحب في حق الإمام أن يصليها، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي

---

(١) البخاري (٩٤٩، ٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٥٢، ٩٨٧)، ومسلم (٨٩٢)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»، قَالَ: «وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ»(١).

وأخذ العلماء أن الإمام الراتب للمسجد ينبغي أن يُجَمِّعَ.

لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**قَدِ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجَمِّعُونَ**»(٢).

وأما غيره فيجوز له أن لا يُجَمِّع، لكن هنا مسألة ينبغي التفطن لها؛ لأن بعض أهل العلم قد ذهب إلى أنه لا يصلي الظهر في ذلك اليوم، وهذا قول باطل عقلًا، وشرعًا، وإنما وقع الترخيص في عدم حضور الجمعة، أما صلاة الظهر فهي واجبة فلا تسقط فإما أن يصلي المصلي جمعة مع الناس، وإما أن يصلي ظهرًا.

إلا أنهم اختلفوا إذا صلى ظهرًا هل يصليها في بيته، أو في المسجد؟ نقول إذا كان هناك مسجد ليس فيه جمعة وصلوها لا بأس بالجماعة، وإن لم يكن وصلى في بيته فذلك جائز فإن عبد الله ابن الزبير صلى بالناس العيد ثم لم يخرج حتى كان صلاة العصر، والله أعلم.

وعندي رسالة بعنوان: «القول السديد في تقريب أحكام العيد»، استوعبت أكثر مما ذكرت هنا، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ القبول والسداد، وبالله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٧٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة الرابعة والخمسون:

مكر الكفار، وطرقهم المتنوعة لإضلال المسلمين

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

❀ فإن الكفار لهم طرق كثيرة لإضلال المسلمين، وهذه الطرق تتنوع، يمكرون مكرًا كبارًا في ثباتهم على كفرهم، وفي طعنهم في ديننا الحنيف، وينفقون من أجل هذا الأموال الكثيرة، كما قال اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال:٣٦].

* وما تسمعونه من منظماتهم، ومن صليبهم الأحمر، ومن غير ذلك هو من هذا الباب، فيستبشرون إذا دخلوا منطقة ولو بالصليب يرفرف في بلاد الإسلام.

بل قال لي بعض من يعرف حالهم، قال: هم حين يُسعفون الجرحى، أو المرضى، أو القتلى، مع حرصهم على إظهار الصليب يرتسم في ذهن الطفل أن هذا الذي انتشل أباه، أو أعان أخاه، أو غير ذلك هو الصليب.

وقد كان السلف يتحرجون من رفع أبصارهم إلى الصليب، ولا يُصلون في أثواب فيها صلبان، بينما الآن تجد الصليب في بلاد المسلمين بدون تحرج، إما في سيارات ما يسمى بالصليب الأحمر، أو في ملابس بعض لاعبي كرة القدم، أو حتى في بعض الملابس المستورده، فينبغي أن تُزال الصلبات من الملابس، وغيرها.

وإذا نظرت إلى العلم البريطاني تجد أنه يحتوي على عدة من الصلبان، هكذا

علم ألمانيا، وعلم أمريكا، وهم بهذا الأمر يتعمدون وضع الصليب كما يتعمد المسلم قول: لا إله إلا الله.

وهم موصوفون عند أهل الإسلام بعباد الصليب؛ ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول ما يقوم به كسر الصليب كما جاء في «الصحيحين»(١)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

* وقد ذكرت في كتابي «الزجر والبيان لدعاة التقارب والحوار بين الأديان»: أن من طرقهم في تقارب الأديان ما يسمى بالألعاب الأولمبية، وألعاب كرة القدم، فنظرتهم بعيدة، فهو يعلم أنه إذا قال لك: ارتد عن دينك، ما سترتد عن دينك، لو أتى إلى أفسق المسلمين وقال له: اترك الإسلام، وادخل في النصرانية، لرأى منه ما لا يحمد، ولتنكر له المسلم.

لأن أهل الإسلام يحبون دينهم، بغض النظر عما هم عليه من المعاصي والتفريط، فهم يأتون بفكرة اسمها: الدعوة إلى التعايش، وبحمد الله الإسلام ما هو دين همجية، ولا دين ظلم، ولا دين بغي، الإسلام دين الوسط العدل الخيار مع الموافق، والمخالف، والبر، والفاجر، والمسلم، والكافر، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة:١٤٣].

فالحوار الصحيح أن نأخذ ما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في سورة آل عمران: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا

(١) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}
[آل عمران: ٦٤].

وهذه الآية هي العمدة، والأساس للحوار مع اليهود والنصارى، ولا بأس أن يُحاورون في غيرها كما وقع من النبي ﷺ حين جاءه اليهود وسألوه عن بعض الأسئلة، وحين جاءه نصارى نجران فسألوه عن بعض الأسئلة وهو يجيب عليهم.

لكن أن تُنَحَّى هذه الكلمة من الحوار فهذا هو الضرر، فهي العمدة يا أهل الكتاب تريدون الحوار، تريدون الإتفاق، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: لا إله إلا الله، فلا عيسى إله، ولا عُزير إله، ولا أحد يُعبد من دون الله، ففيها البراءة من الشرك، وفيها الدعوة إلى التوحيد ثم يضم غيرها إليها.

ففي «الصحيحين»[1]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

لكن الكفار ما هم حول هذا فجاءوا إلى مسألة كرة القدم، وحرصوا كل الحرص عليها، وينقلونها من بلد إلى بلد بما يسمى بكأس العالم، وإذا دخل في بلد أفسده؛ لأن عندهم قوانين أن الدولة المستضيفة للعبة كأس العالم لابد أن تأذن بدخول الخمور، وأن تأذن بالتبرج والسفور، ولابد أن تكون هناك مسابح عامة، وملاعب عامة، وغير ذلك، قطر لها تبني خمس سنوات للمدينة التي سيقام فيها كأس العالم ما

(١) البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

أدري في عام ألفين وكم؟ ألفين وواحد وعشرين أو نحو ذلك، يبنون خمس سنوات يبنون الفنادق، والمسابح، والمطاعم، والمداخل، والمخارج ويُسمح بالخمور، وبالتبرج والسفور، وما يلحق ذلك من الزنا، والخنا، والرقص، وغير ذلك من البلاء.

* فلا يظن المسلمون حين يقولون: دولة كذا تستضيف كأس العالم، أنهم يضيفونها من باب نعش الاقتصاد كم يظنون، هم يضيفونها لإفسادها.

وأقبح ما رأينا كرة جعلوا فيها عدة أعلام، ومنها ما يحوي الصلبان، وجعلوا من بين هذه الأعلام علم المملكة العربية السعوديه، ومعلوم أن هذا العلم مكتوب فيه كلمة: لا إله إلا الله، فصارت كلمة: لا إله إلا الله، ممتهنة في كرة القدم، كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، أفضل كلمة قيلت، والكلمة التي أرسلت بها الرسل، وأنزلت بها الكتب، وشرع من أجلها الجهاد، وزخرف لأهلها الجنان، وأُعِدت لمن خالف طريقها النيران، توضع في كرة بجانب الصليب، الإخلاص بجانب الشرك، والإسلام بجانب الكفر، هذا والله منظر يبكي القلوب السليمة، والفطر المستقيمة، ولا يظن ظآن أن هذا الأمر عفوي، هو مقصود من مقاصد الكفار، حين يضعون كلمة: لا إله الا الله، بحانب الصليب لو لم يكن إلا أن يروض قلب المسلم على قبول امتهان كلمة: لا إله إلا الله.

فينبغي أن تُعَظم أسماء الله وصفاته عَزَّوَجَلَّ، وأن ترفع، وأن تصان عن الامتهان. فلو تعمد أحدٌ امتهان اسم الله عَزَّوَجَلَّ يكفر، اعتقد ذلك أم لم يعتقد.

الفائدة الخامسة والخمسون:

أذكار الدخول والخروج من المسجد

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

جاء من حديث أَبِي حُمَيْدٍ، أَو أَبِي أُسَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»(١).

* هذا الحديث من الأذكار التي يحتاجها المسلم، إذ أنه يأتي المسجد في يومه، وليلته خمس مرات، فيحتاج أن يدعو بهذا الدعاء خمس مراتٍ، وهو دعاء مبارك حين يدخل الإنسان بيت الله عَزَّوَجَلَّ، يقول: «اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، ورحمة الله عَزَّوَجَلَّ واسعة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} [الأعراف:١٥٦].

فأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ: أن يفتح لك أبواب الرحمة، وأبواب الرحمة كثيرة، كل عمل صالح يُقرِبك إلى الله عَزَّوَجَلَّ فهو من أبواب الرحمة، وكل عمل سيءٍ يبعدك من الله عَزَّوَجَلَّ فهو من أبواب العذاب.

فأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يفتح لك أبواب الرحمات، وإذا فُتح الباب دخل منه، إذ أن الأبواب المهيئة يدخل الناس منها، فإذا فتح الله أبواب رحمته لك

(١) أخرجه مسلم (٧١٣).

بهدايتك إلى الخير، وتوفيقك للصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، ويسر لك بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، ويسر لك صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالوعد، ومحبة الخير للمسلمين، وسلامة الصدر، فأنت في خير عظيم، فكل هذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده أن يهيئ له أبواب الخير والصلاح.

وأنت حين تقول: «اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» هذا لفظ يشمل ما يتعلق بالأمور المعنوية من أمور الإسلام، والإيمان، والإحسان، ويدخل في ذلك ما يشمل الأمور الدنيوية التي هي موافقة لمرضات الله عَزَّوَجَلَّ.

فالفقر شديد على الإنسان، والحاجة، والقلة، وهكذا كثرة الأعداء، وأذية الأبناء، ولكن حين تقول: «اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» قد يصلح لك الذرية، والجار، والمعاش، وجميع شؤونك.

لأن مقتضى الرحمة أن يتنعم الإنسان دينيًا، ودنيويًا، مع أن النعيم الديني أولى وأحرى أن يتنافس فيه، وناسب أن يقول: «اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» وهو داخل إلى المسجد؛ لأنه سيقدم على عبادة، ودعاء، وغير ذلك من الأمور، فلعل الله أن يستجيب له، وأن يتقبل منه، وأن يقبل دعاء الملائكة فيه: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ**»، وهو في مجلسه الذي صلى فيه(١)، قَالَ تَعَالَى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة:١٥٧].

ذكر في الملأ الأعلى، وتجاوز عن السيئات الماضية، وتوفيق للأعمال الباقية.

ثم إذا خرج من المسجد، قال: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»؛ لأن الخارج من المسجد قد يرجع إلى بيته، أو يذهب إلى سوقه، وعمله، وبهذا يعلم الإنسان

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أن ليس له من الأمر شيء، والأمر كله لله، والفضل له وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الفضل الكامل المطلق، قَالَ تَعَالَى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [النور:٢١]، وقَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد:٢١].

فأنت حين تخرج وتقول: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»، من رزقك الطيب الحلال، من فضلك من الطعام، من فضلك من الملبوس، من فضلك ممن أُجالس، وممن أُخالط، حتى يدخل فيه طلب الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والرزق الصالح، والجيرة الصالحة، وجميع ما يتعلق بفضل الله وإحسانه لعباده.

فهذا الحديث ينبغي أن لا يُهمَل؛ لأن الشيطان قد يأتينا عند الدخول، وعند الخروج، وينسينا هذا الدعاء، وسبحان الله ناسب هذا الدعاء وجود الملائكة في هذه المواطن، فقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا**»(١).

* وهناك دعاء آخر لدخول المسجد جاء عند أبي داود(٢)، وغيره، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) برقم (٤٦٦)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الفائدة السادسة والخمسون:

فضيلة الخاتمة الحسنة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } [الفرقان:٦٢].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [فصلت:٣٧].

فآيات الله عَزَّوَجَلَّ الدالة على عظمته، وعجيب تصرفه في الكون كثيرة، ومنها أنَّ الشهر يبتدئ ثم ينتهي، والعام يبتدأ ثم ينتهي، واليوم يبتدأ ثم ينتهي، والحياة تبتدأ ثم تنتهي، وهكذا يسير الناس وتسير المخلوقات إلى أجلها، قَالَ تَعَالَى: {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد:٣٨]، سواء كان في ذلك بداية الليالي والأيام، أو بداية الشهور والأعوام، أو جنس الإنسان، أو جنس الحيوان، حتى الحياة الدنيا في آخرها سيأتيها الأجل، وتنتهي إلى حياة أخرى ليس لها انتهاء، فإذا كان هذا هو الحال فعلى الإنسان أن يتعظ من تعاقب الليالي والأيام، والشهور والأعوام.

انظر إلى القمر يبدأ هلالًا ثم يَعظم حتى يكون بدرًا منيرًا، ثم يصغر ويصغر حتى يعود كالعرجون القديم، فهكذا الإنسان يخرج من بطن أمه ضعيفًا، ثم يكبر، فإذا كمل بدأ في التقهقر حتى يرجع كما بدأ، ثم إلى الموت.

كما قَالَ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ

كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف:١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم:٥٤].

والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»(١).

والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»(٢).

* فالسبيل للاستفادة من هذه الحياة أن يكون آخر العمل صالحًا، نعم، كلما كان الإنسان صالحًا في جميع أحواله، وأطواره هذا أفضل بلا شك، لكن إن عجز، أو فرط، فلا أقل من أن يختم له بالعمل الصالح؛ لأنه إذا ختم له بالعمل الصالح تجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عما سلف لاسيما إذا اقترنت به التوبة، قَالَ تَعَالَى: {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان:٧٠-٧١].

فلنحرص على أن تكون النهاية طيبة لأنفسنا ولغيرنا، لأن النهاية إذا كانت طيبة بدأنا الحياة الثانية بالطيب، وكنا من أهل الطيب، قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل:٣٢].

انظر تسليم الملائكة على من؟ على الطيبين الذين خُتِم لهم بأعمال أهل بالطيب.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما إذا كان آخر العمل سيئًا فهو نذير شؤم لصاحبه لاسيما إذا كان شركًا، أو نفاقًا، أو ما في بابهما؛ لأن الحياة الآخرة تسوء، قَالَ تَعَالَى: {وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل:٩٤]، فيستمرون في السوء ويقارنهم السوء عذابًا بأنواعه شربًا، وأكلًا، ولبسًا، وتهكمًا، إلى غير ذلك مما ينالهم، نسأل الله السلامة.

فيا أيها الأخوة بدأ رمضان، ونحن نظنه طويلًا، ثم انتهى رمضان ورأيناه قصيرًا، وهكذا العمر حين يعيش الإنسان يرى أنَّ أمامه عمر طويل ستين سنة، خمسين سنة، سبعين سنة أقل، أكثر.

لكن في الوقت الذي يقرب من النهاية يعرف أن هذا العمر لم يكن شيئًا، يستحضر ماذا قدم؟، ماذا عمل؟، ماذا فعل؟، يجد أنه كان على تفريط، المجتهد عنده قصور فما بالك بالمضيع بالكلية، والله المجتهد يرى قصور نفسه، ويعترف بقوله وفعله، وانظر إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع بشارته بالجنة، يقول: «وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا، لاَ لِي وَلاَ عَلَيَّ، لاَ أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلاَ مَيِّتًا»(١)، لكن نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة والعافية.

* ومن هنا نقول للمسلم الذي وفقه الله في رمضان بشيء من الصلاة، والصيام، والقيام، وحضور الجمعة، والجماعات أن يستمر على ما هو عليه، لا يخرج رمضان ويترك العبادة، والطاعة، والمسارعة، فإننا لا نعبد رمضان العبادة هي لرب رمضان سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وهو حي لا يموت، وقيوم لا ينام.

فلنستمر في الخير، ولنستمر في بذل المعروف من التوحيد فما دونه، وليكن

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٨).

انتهاء رمضان انطلاقة إلى حياة سعيدة بالعلم والعمل؛ لأن رمضان مع الصيام قد يُشغل الإنسان عن كثير من الأعمال، لكن إذا انتهى رمضان علينا أن نشمر إلى طاعة الملك الديان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ﻫ فطلاب العلم يقبلون على الحفظ، والدروس، والمراجعة، والدعوة، وغيرهم مُطالب بذلك، يُقبل على الخير الذي كان يعمله في رمضان ويستمر.

وأسوء الأحوال في كل هذا أنَّ كثيرًا ممن كان يصلي في رمضان يترك الصلاة بعد رمضان ، لأنه يخرج به من الإسلام إلى الكفر، ومن طريق أهل السعادة إلى طريق أهل الشقاوة، ومن أسباب الخلود في الجنة إلى أسباب الخلود في النار، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

ويا لله كم يخطب الخطباء، ويوجه الموجهون، ويتكلم المتكلمون على شأن الصلاة، وكم تلاحظ من الشباب المنسوب إلى الإسلام من يضيع هذه العبادة أو يتركها أو ربما صلاها بغير وقتها، وهذا لضعف الإيمان في القلوب، كثير من الناس ضعف الإيمان في قلوبهم، وأصبح عباد الأوثان يجتهدون مع أصنامهم وأوثانهم أكثر من اجتهاد هذا مع ربه الذي خلقه، ورزقه، وصوره.

لما كنا في مدينة كولمبو عاصمة سيرلانكا، كنت أسمع أصواتًا مثل التواشيح، من وقت الفجر عند المسلمين إلى وقت الشروق، فسألت عن ذلك،

(١) أخرجه مسلم (٨٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند».

فقالوا: هؤلاء البوذيون، يقومون لعبادة بوذا في هذا الوقت، مشرك، مندد، كافر، يعبد صنمًا، ووثنًا، وحجرًا لا ينفع ولا يضر، ويقوم في وقت الفجر، ويبقى إلى طلوع الشمس في معبده يترنم بتلك الترانيم.

ومسلم يعبد الله الذي قال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة:٢١]، وترى منه الفتور، وأعظم من ذلك أن يترك العبادة، تصبح العبادة عنده قول فقط، يقول: لا إله إلا الله، يقول: أنا مسلم، يقول: مُحمدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لكن يصلي ما هناك صلاة، يزكي ما هناك زكاة، يحج ما هناك حج، يصوم ما هناك صوم.

وقريب منه ومثله أيضًا من يقول: لا إله إلا الله، ويقول: مُحمدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ويصلي، ويصوم؛ لكن تعلق قلبه بقبرٍ أو وثنٍ أو وليٍّ أو شريفٍ يدعوه، ويرجوه، ويذبح له، أو يطوف بقبره أو ينذر له أو يخافه كخوف الله أو يحبه كمحبة الله، إلى غير ذلك مما يتعاطاه الناس.

فيا أيها المسلم اتقِ الله في نفسك، واحرص على ما ينفعك، والمسلم والمؤمن كيس فطن، أي: أنه عاقل يتفطن لما ينفعه.

والله المستعان.

الفائدة السابعة والخمسون:

التـــوبة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فكانت النصيحة عند استقبال رمضان أن نستقبله بالتوبة، والاستغفار لما في ذلك من التجاوز عن السيئات، والزلات، ولما في ذلك من رفع الدرجات، ولما في ذلك من العون من الله عَزَّوَجَلَّ على الطاعات؛ فلا تُجلب الحسنة بمثل الحسنه، ولا تُدفع السيئة بمثل الحسنة.

ومن أعظم الحسنات، وأوجبها التوبة، فهي واجبة في كل حين لا يخصها وقت من الأوقات، فعن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

وهذا من رحمة الله بعباده؛ لأن الناس يقع منهم الزلل، والمعصية، والمخالفة، وترك الطاعة، إلى غير ذلك فتعين عليهم الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالتوبة، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١].

ولهذا كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغفر الله «**فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(٢)، وفي رواية: «**أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بل في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»(١).

في مجلس واحدٍ مائة مرةٍ يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه ﷺ يُشَرِّع للأمة أن تكثر من التوبة، والاستغفار.

ولهذا شُرع دبر كل صلاة أن تَقُولَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ثَلَاثًا، وشُرع بعد الحج أن تستغفر الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة:١٩٩]، وشُرع بعد الجلوس في المجلس أن تَقُولَ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»(٢).

وكم هي الألفاظ التي تحدث بها التوبة، فالتوبة أمرها عظيم؛ فإنها تصقل القلوب من الذنوب، وهي كفارة لما قبلها إذا صدق فيها التائب، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢].

فتحصل المغفرة لمن تاب توبة نصوحًا، وكان مؤمنًا، وكان مبادرًا إلى العمل الصالح، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وهذا من تمام النعمة على العبد أن الله يغفر الذنب الأول، ويبدل السيئة بالحسنة، وهذا منةٌ من الكريم، المنان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه الآية نزلت في قوم رأوا

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) اخرجه الترمذي (٣٤٣٣) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أن لا توبة لهم، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ} [الفرقان:٦٨] وَنَزَلَتْ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر:٥٣](١).

فكل ذنب يغفره الله عَزَّوَجَلَّ إذا صدق الإنسان في توبته، ورجوعه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، انظر إلى نبي الله إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مع إسماعيل في مكه، يعمران البيت العتيق ومع ذلك؛ {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة:١٢٧-١٢٨]، فيدعوان الله عَزَّوَجَلَّ بالتوبة، فنحن أحرى، ونحن نعاشر الشرور، الشرور موجودة في البيوت، والمراكب، والطرق، وفي كل مكان.

وما زال الأنبياء، والمرسلون، والأولياء، والصالحون يبادرون إلى هذه الشعيرة العظيمة لفضلها، وبركتها، ولعلو منزلتها، ولحاجتنا إليها، ولكثرة الخطأ والزلل منا.

ولذلك ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ أنه يجب على العبد أمورًا:

* **الأول**: فِعْلَ الْمَأْمُورِ.

* **الثاني**: تَرْكَ الْمَحْظُورِ.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

* **والثالث**: الصَّبْرَ عَلَى الْمَقْدُورِ.

* **والرابع**: الِاسْتِغْفَارِ.

من لازم هذه الأربع الأمور نال سعادة الدارين.

(فِعْلَ الْمَأْمُورِ): صلى، وصام، وحج، واعتمر، وأحسن إلى والديه، وإلى جيرانه، وإلى أرحامه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة.

(تَرْكَ الْمَحْظُورِ): ابتعد عن الشرك، والزنا، والخنا، والكذب، والخيانة، وغير ذلك من الشرور.

(الصَّبْرَ عَلَى الْمَقْدُورِ): ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ بموت قريب أو بمرض أو بفقر أو غير ذلك، وهو صابرٌ على قدر الله عَزَّوَجَلَّ لله عَزَّوَجَلَّ.

ومع ذلك يحتاج لأمر رابع لجميعها، أمر يحيط بهذه الثلاثة ألا وهو الاستغفار.

إن كان قد فرط في عدم الإتيان بالمأمور كما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ؛ الاستغفار يمحو ذلك التفريط.

إن كان قد فرط ووقع في محظور من المحظورات التي نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنها؛ الاستغفار يقضي على ذلك التفريط.

إن كان قد وقع منه التسخط، والتذمر، وعدم الرضى بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ؛ الاستغفار يقضي على هذا الأمر.

إذا نحن بحاجة إلى أن نتقمص بهذا القميص العظيم.

انظر إلى سورة هود من أولها إلى آخرها حين يذكر الله عَزَّوَجَلَّ حال الأنبياء يذكر دعوتهم إلى الاستغفار، قَالَ تَعَالَى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ

يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود:٣]، هذا قول نبينا ﷺ.

ثم قول هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود:٥٢].

وذكر الله عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح:١١-١٢].

وهكذا يذكر عن صالح، وشعيب، وكل نبي يأمر قومه بالاستغفار، والتوبة إلى الملك الغفَّار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* فوالله يا إخوة نحتاج إلى هذا الأمر لاسيما ونحن في خاتمة هذه العبادة لعل الله أن يتجاوز عنا الزلل في هذا الشهر الكريم، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتجاوز عن ضعفنا، وتقصيرنا في عدم الإتيان بالصيام كما شرع وأمر، وإنما بقدر المستطاع، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ القبول.

وكم نتذمر من قلة ذات اليد، أو المصائب التي تصيب الإنسان فنستغفر الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

فالله عَزَّوَجَلَّ غفور رحيم أسمه الغفور، والغفار، والغافر، ثلاثة أسماء دالة

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على صفة واحدة، فالغفَّار: دال على المبالغة في مغفرة الذنوب، وستر العيوب، فعلى الإنسان أن يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من أي ذنب وفي كل حين، وإذا أحس العبد في نفسه أنه لا يحتاج إلى توبة فهذا ذنب في حد ذاته، يحتاج أن يتوب منه، وكون الإنسان يؤخر التوبة هذا ذنب يحتاج إلى توبة.

وذكر ابن القيم، وابن تيمية رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: أن كثيرًا من الناس قد تقع منهم التوبة من الذنوب وتبقى عليهم معرة الذنب؛ لأنه لم يتب من تسويف التوبة، ولهذا قال يحتاج إلى توبة عامة تقضي على جميع الذنوب، والسيئات، والزلات.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتوب علينا، وعلى جميع المسلمين، ونسأله تعالى أن يعيننا على الرجوع إليه، فوالله إنَّ في الرجوع إليه خير عظيم، قَالَ تَعَالَى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات:٥٠]، كل شيء تفر منه إلى غيره إلا الله فإن الفرار منه إليه؛ لأنك إذا فررت إلى غيره هلكت، وإذا أردت النجاة اهرب إليه وأتِه فهو سبحانه يقبل، «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١)، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الكريم المنان، الرحيم، الرحمن.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ**

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لَكَ»، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ»(١).

وليس معنى ذلك أن الإنسان يتلاعب بالتوبة، لا، هذا العبد الذي ذُكِرَ عبدٌ رجاعٌ توابٌ، ربما غلبته نفسه، وهواه، والشيطان ثم أتى بالتوبة بشروطها وأركانها فيتوب الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ثم يعاود الذنب فيتوب الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

وقد ذكر أهل العلم في معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا} [التوبة:٨]: أن الإنسان لا يعود إلى الذنب، وهذا قد يتعذر.

لكن التوبة النصوحة هي المستوفاه، لشروطها، وأركانها:

* **الأول: الإخلاص لله** عَزَّوَجَلَّ؛ لأن التوبة عبادة ولا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من العبادات إلا ما كان خالصًا لوجه.

* **الثاني: أن تكون في زمن تقبل فيه التوبة**، وهي منقسمة إلى قسمين:

١- زمن خاص.

٢- زمن عام.

أما الخاص: فهي توبة العبد ما لم يغرغر، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(٢).

وأما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها، من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه.

* **الثالث: الإقلاع عن الذنب**، فلا يصلح أن يقول الإنسان: أنا تائب وهو ملازم للذنب ومعاقر له؛ بل يقلع عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨)، واللفظ له.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧).

* الرابع: الندم على فعل الذنب، فلا توبة مع الفرح بالذنب الذي عصى الله عَزَّوَجَلَّ به.

* الخامس: العزم على عدم العودة إلى الذنب.

* بقي التوبة في حقوق العباد، وشرطها سادس إضافة إلى ما تقدم، وهو رد الحقوق إلى أصحابها، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»(١).

وإن كان الرجل مبتدعًا وجب عليه إضافة إلى الخمسة الشروط، ما في قوله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا} [البقرة:١٦٠]، الإصلاح من البدعة التي هو عليها، والبيان أنه كان على ضلال.

وإن كان الذنب نفاقًا فشروطه مع ما تقدم، ما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} [النساء:١٤٦].

وإن كانت التوبة من الكفر، فقد قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} [الأنفال:٣٨].

والصحيح من أقوال أهل العلم أن التوبة تصح من الزنديق، والمنافق، والساحر، وغير ذلك خلافًا لما ذكره بعض أهل العلم من عدم صحتها منهم، ومن أتى بها على أوجهها، وشروطها فهي صحيحة مقبولة.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفائدة الثامنة والخمسون:

عشر مقومات للدعاة إلى الله تعالى

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فنتواصى بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، وطاعته؛ فإنها وصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} [البقرة:٤١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [آل عمران:٥٠].

وتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وطاعته تكون على وفق ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه أو فيما أوحاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى رسوله ﷺ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران:١٣٢].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [النساء:٦٩].

فعلينا بهذا الأمر الذي هو الفوز العظيم: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧١].

والذي به العز والتمكين: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر:١٠]، فالعزة في طاعة الله، وفي متابعة رسول الله ﷺ، قَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون:٨].

ثم إنَّ هذا الطريق، الذي هو طريق الله، الذي هدى الله عَزَّوَجَلَّ إليه من شاء من عباده، قَالَ تَعَالَى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:٦-٧].

طريق يحتاج سالكه إلى أمور:

* الأول: أن يعمل بما شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكون منقادًا لله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥].

* الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران:٣١].

الثالث: عدم الافتئات والمخالفة لمنهج السلف الصالح، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:١١٥].

* الرابع: طلب العلم النافع، حتى يعمل بمرضاة الله تعالى، وعلى وفق شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه:١١٤]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٌ} [المجادلة:١١].

* الخامس: العمل بما تعلم، حتى لا يكون العلم حجة عليه، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة:٥]، وكما وصف الله عَزَّوَجَلَّ غير العامل بأنه كالكلب، قَالَ تَعَالَى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} [الأعراف:١٧٦].

فلا بد للسائر إلى الله عَزَّوَجَلَّ الجمع بين الطريقين: العلم، والعمل.

العلم: حتى يرفع الجهل عن نفسه، **والعمل**: حتى يكون منقادًا لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ تَعالَى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم} [التوبة:١٠٥].

فالله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بالعمل وهو ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

وفي حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»(٢).

حجة لك إن عملت به، وحجة عليك إن ضيعته.

* **السادس: نحتاج إلى أن ندعو إلى الله** عَزَّوَجَلَّ، فإن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ واجبة على قدر المستطاع، «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٣).

فأَضْعَفُ الْإِيمَانِ، أن تعلم المنكر وتنكره بقلبك، وتغيير المنكر، وإنكاره، وبذل النصيحة، كله من الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والدعوة تكون بالحكمة قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:١٢٥].

والحكمة ما وافق الكتاب والسنة، وتكون ببصيرة وعلم، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:١٠٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٣) أخرجه مسلم (٤٩)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتكون بما ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»(١).

والنبي ﷺ بعث البعوث، وبعث السرايا، وجاءته الوفود لطلب العلم وبثه بعد ذلك.

فلنسلك هذا السبيل بتعلم قول الله عَزَّوَجَلَّ، وقول رسوله ﷺ، وما سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، ثم نسعى في تعليم غيرنا، ودعوتهم؛ سواء كان الغير من الكفار كاليهود والنصارى ومن إليهم، أو من المبتدعة، فكلهم يُدْعَونَ إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وهكذا عصاة المسلمين يُدْعَونَ إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، والمستقيمون يُدْعَونَ إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ فيحتاجون إلى التذكير، وإلى الموعظة، وإلى العلم، قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد:١٦]، فهذه الآية نزلت في صحابة النبي ﷺ، وأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ بالتذكر، والتدبر، والتعقل، والعلم، إلى غير ذلك.

ثم إنَّ الذي يُميز أهل السنة والجماعة على غيرهم من الطوائف أنهم يتميزون بتحصيل علم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما، ويسعون في تبليغهما كما شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وكما جاء عن رسوله ﷺ، وكما جاء وما أجمع عليه السلف الصالح.

*** السابع: ينبغي لمن سلك هذا السبيل أن يعود نفسه الصبر على ما يلاقيه من الأذى، وغيره**، سواء كانت الأذية قولية أو فعلية، فالله عَزَّوَجَلَّ، يقول: {كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

طَاغُونَ} [الذاريات:٥٢-٥٣].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور:٤٨].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل:١٠].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل:١٢٧].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر:٩٧-٩٩].

* **فنحتاج إلى أن نصبر على ما نلاقي**، سواء كان ذلك الصبر على الطاعة فلا نضيعها لثقل فيها إن شعرنا في ذلك مع أن الله قد خفف عنا ورفع عنا الآصار والأغلال.

* **ونحتاج إلى أن نصبر على طلب العلم، وتحصيله، وحفظه، وتدوينه.**

* **ونحتاج أن نصبر عن معاصي الله عَزَّوَجَلَّ**، التي هي من ملذات الدنيا الفانية، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»(١).

* **ونحتاج أن نصبر على أقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، التي تقع على العباد من المصائب وغير ذلك، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٢).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

فيا أيها المسلم عود نفسك على الصبر على ما تلاقي في هذه الدنيا، إن وجدت حمدًا، وذكرًا، وثناءًا، وراحةً؛ فاحمد الله هو الذي يسر لك ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس:٢٢].

والفرح بفضل الله تعالى على العباد من علم، وصحة، وعمل، ودعوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

وإن وجدت غير ذلك فاعلم أنه: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٢).

فإن سجنت فقد أرادوا سجن رسول الله ﷺ.

وإن قتلت فقد قتل الأنبياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

وإن تسب فقد سب غيرك.

مـا سـلـم الله مـن بريتـه ❁❁❁ ولا نبي الهدى فكيف أنا!

وقبل ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

إن شُرِّدتَ من بلدك، فقد أُخرج رسول الله ﷺ، فهو القائل: «**وَاللَّهِ إِنَّكِ**

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، **وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١).

* **الثامن: نحتاج إلى أن نتخلق بالقرآن، وبسنة النبي** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، من صدق الحديث، وحسن الخلق، والرفق بالناس، والتؤدة، والسكينة، والحلم، والأناة، وعدم الطيش، وعدم الشدة على الناس، وجملة ذلك سلوك سبيل رسول الله ﷺ.

نحتاج إلى أن نتخلق بأخلاق النبي ﷺ في السخط والرضا، وفي الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء، وفي السفر والحضر.

فإن أهل السنة والجماعة هم صفوة المجتمعات، وخيرة الأمة؛ بل وبقيتها الصالحة، فإذا ضيعوا هذا الباب فمن له!؟

إذا لم يتخلقوا بالرفق واللين، والتؤدة والسكينة، ومحبة الخير للمسلمين، وأن يرفق بعضهم ببعض مع تميزهم عن المعاصي والسيئات، وعن البدع والخرافات.

ولا يلزم من التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ التميع؛ بل والله في أخلاق رسول الله ﷺ غاية التميز عن الباطل وأهله، وغاية الرفعة، والعزة في عزة الإسلام، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

فالمسلمون يحتاجون إلى أن يُظْهِروا الإسلام بأجمل صورة، وأحسن ما هو عليه؛ حتى يكون دعوة لشر البرية، أو لمن أراد منهم الخيرية، لعلهم حين يرون الخلق الحسن، والسمت الحسن، والعمل الحسن، وصدق الحديث، وأداء الأمانة،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٧١٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ الزُّهْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦٩٥٧)، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والإحسان؛ أن يعرفوا أن هذا الإسلام: هو دين الحق، وهو دين الكمال، قَالَ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣]، هو دين المحبة لمن أطاع الله، وأطاع رسوله ﷺ، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ: **الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»(١). والمحبة في الله شأنها عظيم.

* **التاسع: علينا بالاستمرار والمداومة على الخير الذي علمناه،** لا ننقطع عنه، فالاستقامة ليست يوم، ولا شهر، ولا سنة، ولا عشر سنوات، الاستقامة مطلوبة حتى نصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ} [فصلت:٦].

نحتاج أن نستقيم على شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى دين الله عَزَّوَجَلَّ حتى نصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا فرض الله علينا في كل صلاة أن نقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:٧]. وجوبًا.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق والسداد على هذا الطريق حتى نلقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والنبي ﷺ كان يقول: «**يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**»(٢)، ويقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**»، ويقول: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد(١٧٦٣٠،٦٥٦٩)، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال ربنا عَزَّوَجَلَّ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران:٨]، فالإنسان يدعو ربه بالثبات.

ويوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أخبر الله تعالى عنه بقوله: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف:١٠١].

فعلينا بالاستقامة حتى نلقى الله عَزَّوَجَلَّ، ونسأل الله الثبات عليها؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ**»(١).

فالأعمال بالخواتيم، ويبعث العبد على ما مات عليه، كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»(٢)، وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»(٣).

* **العاشر: الاستغفار والتوبة والإنابة**، فإنه يحصل من العبد من الزلل، فإن كان الذنب فيما بينه وبين الله فيستغفر الله عَزَّوَجَلَّ، ويندم على فعله، ويعزم على ألا يعود إليه، ويقلع عنه.

وان كان الذنب حقٌّ لآدمي، يزيد إلى ذلك التسامح والتحلل.

وان كان الذنب بدعة، عليه أن يزيد إلى هذه الشروط التخلص منها والبيان، قَالَ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣)، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة:١٦٠].

وان كان الذنب نفاقًا نعوذ بالله من ذلك، فعليه أن يُخلص لله عَزَّوَجَلَّ ويعتصم به، مع ما تقدم من الشروط، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:١٤٦].

وان كان الذنب كفرًا، فالإيمان، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} [الأنفال:٣٨].

فعلينا بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتحقيق شروطها كما هي موجودة في الكتاب والسنة، وعلينا بكثرة الاستغفار، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١).

وفي رواية: «**أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٢).

وكان إذا انتهى من الصلاة قال: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**»(٣).

وأمر الله عَزَّوَجَلَّ اذا انتهوا من الحج أن يقولوا: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} [البقرة:١٩٩].

ودعوة الرسل جاءت بالاستغفار، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود:٣].

وبملازمة ما ذكرنا، التي نرجو أن يكون عليها مدار صلاح الدنيا والدين، ينتفع الإنسان في الدنيا والآخرة، ويصلح حاله، وتصلح دعوته.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٥١٩) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا ولكم القبول والسداد، والتوفيق والرشاد، وأن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وأن يبلغنا وإياكم سبيل مرضاته، وأن يجعلنا من الدعاة الى كتابه وإلى سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يرزقنا الرفق، والحلم، والأناة، والتميز، والثبات على الأمر حتى نلقاه.

و«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

الفائدة التاسعة والخمسون:

النَّصيحة بدراسة الكتب المليحة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فالقاعدة عند أهل العلم: «من حُرِمَ الأُصول حُرِمَ الوصول».

* وسأل أخوة عن كتبٍ يدرسها المبتدئ، فنقول:

اعلم رحمك الله أن طلب العلم أشرف ما تنافس فيه المتنافسون، وحصَّلَه المحصلون؛ فبه يُعبد الله كما شرع وأمر، وبه يُرفع الجهل، وبه يزداد الإيمان، وبه الخيرية:

قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(١).

وبه الأفضلية: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

وقال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة:١٢٤]، في أدلةٍ كثيرة تدل على فضل العلم، تكلمنا عليه في كثيرٍ من كتبنا لاسيما: «الوسائل الجلية في نصرة الدعوة السلفية»

* فإن أعظم سبيل تُنصَر به الدعوة هو العلم.

إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يُوحِي إلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالأعمال والشرائع؛ أمره

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٨)، عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالعلم: قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق].

إلا أنه ينبغي لطالب العلم؛ أن يسلك المسلك النبوي في تتلمذه؛ فإنه إن فعل ذلك؛ اختصر على نفسه الطريق وسَلِم من بنياتها وسَلِم من الشُبه.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(١).

فيبدأ الطالب من نشأته ومن أول مبدئهِ في تصحيح العقيدة، ومعرفة عقيدة السلف في باب الأسماء والصفات، وفي باب الإيمان بالغيب، وفي غير ذلك من الأبواب.

إذ أن الخيرية كل الخيرية في اتباع السلف، قال الله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام:٩٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} [البقرة:١٣٧].

وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:١١٥].

وليحرص الطالب على إخلاص النية والطوية ؛ فإن الإخلاص سبب من أسباب الرفعة و«**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» كما ثبت عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «الصحيحين»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٢) متفق عليه، البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].

وليحرص الطالب على متابعة النبي ﷺ؛ فإن الإخلاص والمتابعة هما قُطبا قبول العمل؛ فإن الله لا يقبل من عامل عملًا إلا بهما.

١- الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ: وهو التقرب إليه وحده لا شريك له، والقصد طاعته.

٢- والمتابعة لرسوله ﷺ.

ثم ليحرص الطالب على التخلق بأخلاق أهل العلم فيتواضع لله بقبول الحق، ويتواضع لرسول الله ﷺ بمتابعته ويتواضع لمعلمه.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ[(١)].

وعليه أن يعمل بعلمه مع الناس، وأن يتغير خُلُقه؛ فطالب العلم يحتاج أن يتغير خلقه جملة وتفصيلًا فإن إساءته إساءة إلى ما يحمل؛ فعليه أن يتحلى بالصبر، والسماحة، والرفق وطلاقة الوجه، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، ويحافظ على الفرائض ابتداءً، ثم يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما استطاع من النوافل.

وعلى الطالب أن يحرص على الحفظ؛ فإن النبي ﷺ، يقول: لوفد عبد القيس: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الآجُري في «الشريعه» (١/ ٤٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

فدل الحديث على أهمية الحفظ، والحديث في «الصحيحين». ويقول الناظم:

.... ❁❁❁ فـاحفظ فكـلُّ حـافظ إمـامُ

ويقول أحد السلف: «كُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْخُلُ مَعَ صَاحِبِهِ الْحَمَّامَ فَلَا تَعُدَّهُ عِلْمًا»(١).

فالعلم إذا حُفظ، أما إذا كان العلم في الكتب، فغير نافع، قَالَ الشاعر:

رُبَّ إِنْسَـانٍ مَـلأَ أَسْـفَاطَهُ ❁❁❁ كُتُبَ الْعِلْمِ وَهُوَ بَعْدُ يَخُطّ
فَـإِذَا فَتَّشْـتَهُ عَـنْ عِلْمِـهِ ❁❁❁ قَالَ عِلْمِي يَا خَلِيلِي فِي السَّفَطْ
بِكَـرَارِيسَ جِيَـادٍ أُحْـرِزَتْ ❁❁❁ وَبِخَـطٍ أَيِّ خَـطٍّ أَيِّ خَـطّ
فَـإِذَا قُلْـتَ لَـهُ هَـاتِ إِذًا ❁❁❁ حَـكَّ لَحْيَيـهِ جَمِيعًا وَامْـتَخَطْ

إذا سُئِل وهو لا يحفظ هنا يصاب بالتوقف عن الإجابة والكلام، والناس لا ينتظرون منك العودة إلى الكتب؛ إذا أردت التوسع والتفصيل لا بأس؛ لكن إذا أردت التصدر للناس والاستفادة منك؛ فعليك بحفظ العلم.

وليكن لنا العناية بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه كلامه ووحيه، وتنزيله:

قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]

لماذا نزل القرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لينذر به، وليعلمه.

إذا أنت تريد أن تكون داعيًا فاحفظ القرآن، أو من القرآن واحفظ السنة، أو من السنة ما استطعت على ذلك سبيلًا؛ فإن هذه هي الأصول أصولنا التي نسير عليها علمًا، وعملًا، ودعوةً، الكتاب، والسنة، والإجماع.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٧٥٦).

١ - **أما الكتاب:** فأدلة وجوب الأخذ به كثيرة.

٢ - **والسنة:** كذلك.

٣ - **والإجماع:** قول النبي ﷺ: «**لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ هَذِهِ الْأُمَّةَ - عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا**»(١).

*** ولنذكر بعض الكتب التي تفيد المبتدي ولا يستغني عنها المنتهي، والعلم واسع:**

ما حوى العلمَ جميعًا أحدٌ ❁❁❁ لا ولو مارسه ألفَ سنة

إنما العلمُ كبحرٍ زاخرٍ ❁❁❁ فاتخذ من كل شيءٍ أحسنَهْ

ومن هذه الكتب ابتداءً **بالتوحيد لأهمية التوحيد لأنه حق الله على العبيد**، قال رَسُول ﷺ لمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ حِين بَعَثَهُ إلى أَهْلِ اليَمَنِ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**»(٢).

ﮪ إذن طالب العلم عليه أن يبدأ بالتوحيد، والعقيدة.

فالكتب التي تُقرِب التوحيد مع ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

١ - «الأصول الثلاثة».

٢ - «القواعد الأربع».

٣ - «كتاب التوحيد».

٤ - «كشف الشبهات»، وغير ذلك من الكتب، للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - «نواقض الإسلام»، للشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٩٨)، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وخرجه الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند».

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٩).

٦- «الدر النضيد» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- «تطهير الاعتقاد» للإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩- «القول المفيد على كتاب التوحيد» للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- ولي بحمد الله في هذا الباب: «فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد».

١١- ولي بحمد الله شرح على كتاب التوحيد، «فتح الوهاب لشرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب».

١٢- «الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة»، للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣- «الدروس المهمة لعامة الأمة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** والكتب في الباب كثيرة.**

وفي العقيدة:

١- «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن أحسن شروحها شرح الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولي بحمد الله شرحٌ بعنوان: «الفوائد الذهبية على العقيدة الواسطية».

٢- «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، للإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «العقيدة الطحاوية»، مع معرفة ما يُنتَقَد عليها، ولي رسالة مختصرة في بيان ما ينتقد عليها.

٤- وهكذا «السفارينية»، مع معرفة ما يُنتَقَد عليها.

٥- «شرح السنة للبربهاري»، ولها شروح جميلة وقد شرحتها في مجلدين، بعنوان «فتح الباري شرح السنة للإمام البربهاري».

٦- «المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة» لشيخنا أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى.

٧- «شرح ابن أبي العز على الطحاوية».

٨- ولا بأس للتوسع والاستفادة «الشريعة» للإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩- وكذلك «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- «اللامية» المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١- «حائية ابن أبي داود».

١٢- «الإيمان للقاسم بن سلام».

١٣- «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لشيخ الإسلام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* **فإن النظر في مثل هذه الكتب تفيد المبتدي والمنتهي.**

١٤- ولي بحمد الله تقريبٌ لباب العقيدة في كتابٍ سميته: «سلامة الخلف في طريقة السلف».

وكتب القواعد التي تُفهم بها الأسماء والصفات، هناك كتب مفيدة مثل:

١- «القواعد المثلى» للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- ولي بحمد الله في هذا الباب «القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن».

٣- «التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- «الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* ولا بأس في التوسع في هذا الباب بقراءة:

٥- «مختصر الصواعق المرسلة» لابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأصل الكتاب لابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وهناك كتب أخرى في هذا الباب للمتقدمين، والمتأخرين من العلماء.

وهكذا في النحو يقرأ:

١- «الآجرومية».

٢- «متممة الآجرومية».

٣- «قطر الندى».

٤- «الممتع شرح الآجرومية» لأخينا أبي أنس مالك المهذري حفظه الله تعالى.

وما عليها من الشروح حتى يُقَوِّمَ لسانه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

* ولمن أراد التوسع:

٥- «ألفية ابن مالك» وشرحها لابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي الاملاء:

١- «المفرد العلم».

٢- «ملخص الاملاء» لأخينا عادل بن سلم حفظه الله تعالى.

٣- «قواعد الاملاء» لعبد السلام هارون، وغيره كثير.

وفي الصرف:

١- «شذى العرف في فن الصرف».

٢- «عنوان الظرف في فن الصرف».

٣- «المدخل إلى علم الصرف».

٤- «فتح الودود اللطيف في بعض مسائل التصريف»، وهذا والذي قبله لأخينا الشيخ فتح القدسي حفظه الله.

ﮩ وفي تعليم القراءة والكتابة:

١ - «القاعدة البغدادية».

٢- «القاعدة النورانية» وما في بابهما.

٣- كتب تعليم غير الناطقين للعربية.

ﮩ وفي الفقه:

١ - «عمدة الأحكام» للإمام ابن قدامه المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «الأربعون النووية».

٤- «الدراري المضية شرح الدرر البهية» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥ - «صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ» للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- «الدرر البهية في المسائل الفقهية» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- «شروط الصلاة» للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- «منهج السالكين» للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** والكتب في هذا الباب كثيرة.**

ﮩ وفي الأصول :

١ - «الورقات».

٢- «تسهيل نظم الورقات».

٣- «الأصول من علم الأصول» للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- «المذكرة» للشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما في بابها.

٥- «روضة الناظر» للإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- «اللمع في أصول الفقه» للإمام الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي القواعد الفقهية:

١- «منظومة القواعد الفقهية» للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «منظومة القواعد الفقهية» وشرحها للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «القواعد الفقهية» للحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي الحديث:

١- لا يستغني عن اقتناء الأمهات الست وإدامة النظر فيهما؛ لاسيما «البخاري»، و«مسلم»، وما استطاع من كتب الحديث.

وفي الشروح:

٢- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع الحذر من بعض هفواته، وزلاته، لا سيما في باب الأسماء والصفات وفي باب التبرك بآثار الصالحين.

٣- «شرح النووي على صحيح مسلم» مع الحذر من بعض زلاته، وتأويلاته.

٤- «سبل السلام شرح بلوغ المرام» للإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- «فتح العلام شرح بلوغ المرام» للشيخ محمد بن حزام الفضلي حفظه الله.

٦- «مسك الختام شرح عمدة الأحكام» للشيخ زايد الوصابي حفظه الله.

وفي مصطلح الحديث:

١- «التذكرة لابن الملقن».

٢- «مقدمة ابن الصلاح».

٣- «البيقونية».

٤- «اختصار علوم الحديث» للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- «النخبة» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- «نزهة النظر شرح نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- «الموقظة» للإمام لذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ولا بأس أن يتوسع إلى:**

٨- «تدريب الراوي» للحافظ السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما في بابه من الكتب.

وفي التفسير:

١- «تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ» فهو من أنفس وأصح التفاسير.

٢- «تفسير السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ» هو مقرِب ومفيد للمبتدئ، وللمتعلم وللعالم ولغيره، وكتب التفاسير كثيرة.

وفي علوم القرآن:

١- «مقدمة في اصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «القواعد الحسان في تفسير القران» للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «البرهان في علوم القرآن» للإمام الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- «الصحيح المسند من أسباب النزول» لشيخنا الإمام المجدد مقبل ابن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وفي التجويد:

١- «الجزرية» وبعض شروحها ويعتمد التلقين؛ فهو من المهمات فمن قصر فيه ندم، والله المستعان.

وفي الغريب:

١- «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «غريب القرآن» لابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- «نعمة المنان بتفسير وبيان كلمات القرآن» لأخينا الشيخ أبي عمرو الحجوري حفظه الله تعالى.

وفي الفرائض:

١- «الرحبية» وبعض شروحها.

وفي الرقاق:

١- «الأذكار» للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «رياض الصالحين» للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «أدب الطلب ومنتهى الأرب» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** وكثير من الكتب مثل:**

٤- «الفوائد» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تُرقق القلوب من القراءة فيها وتهذب الطباع، ويتعود الإنسان السنن.

ﷻ وبالتراجم:

١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإذا أراد التوسع فالباب واسع، وفي الجملة عليه أن يحرص على القراءة في كتب السلف من المتقدمين، ومن المتأخرين.

ﷻ ومن أشهر كتب أئمة السنة:

١ - «التوحيد» للحافظ ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - «السنة» للحافظ ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «الإيمان» للحافظ ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ - «السنة» للإمام عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعة» للإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وغير ذلك كثير، ولا بأس بقراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لمن استطاع أن يقرأ منها ويتتلمذ عليها ففيها خير، وكذلك كتب تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ﷻ ومن المتأخرين مثل:

١ - كتب الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- كتب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- كتب الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ - كتب الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥ - كتب الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- كتب الشيخ زيد المدخلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهكذا من الأحياء ككتب:

١- الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله تعالى.

٢- الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى.

٣- الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله تعالى.

٤- الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله تعالى.

٥- الشيخ محمد بن آدم الأثيوبي حفظه الله تعالى.

وغيرهم كثير من العلماء ربما لا نستحضر.

ولمشايخ اليمن كثير من الكتب المؤلفة، والمصنفة، يستفاد منهم فإنهم قد شرحوا الكثير وغيرهم، نحن إذ نقول مشايخ اليمن لأننا نتكلم على أناس بين أيدينا ربما تكون كتبهم موجودة في المكاتب وتُدَرَّس يدرسها المؤلفون والمصنفون، وإلا فعلماء المسلمين كثر في بلاد الحرمين، وفي غير بلاد الحرمين.

١- منهم الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى.

٢- ومنهم عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى.

٣- ومنهم غير ذلك من المتقدمين، والمتأخرين، فرحم الله الأموات وحفظ الله الأحياء.

ﵟ وإذا ذكرنا بعض كتب أهل السنة والجماعة، فينبغي كذلك الحذر من كتب أهل البدع فلا تُقرأ ولا تُقتنى، لا كتب الرافضة، ولا الصوفية، ولا المعتزلة، ولا الأشاعرة، ولا من سلك سبيلهم من الخوارج.

وفي هذا العصر كتب الحزبيين لا تُقتنى ولا تُشترى، ولا تُباع، لما فيها من الغوائل، ككتب:

١- طارق السويدان.

٢- وكتب عدنان عرعور.

٣- وكتب القرضاوي.

٤- وكتب الزنداني.

٥- ولا تقرأ كتب فتحي يكن.

٦- وكتب سيد قطب.

٧- وكتب حسن البنا.

٨- كتب الغزالي.

٩- وكتب سلمان العودة.

١٠- وكتب حسن الترابي.

١١- وكتب عبد الرحمن عبد الخالق.

ﵟ ومن اليهم من أهل البدع والضلال، وكتب كثير من أهل البدع، والأهواء، سواءً من أصحاب الجمعيات، أو من غيرهم.

الإنسان يكون حريصًا على دينه فلا يأخذه إلا من الكتب المعتمدة السالمة من الغوائل فإن الشُّبَه خطافة.

والنصيحة لمن أراد أن يشتري كتابًا أن يستشير من يعلم فيه الخير والصلاح إن لم يكن لديه أهلية لمعرفة الكتب والمصنفين، والمؤلفين، وهذا عبارة عن مختصر لأن الأسئلة تكثر عن هذه المسألة وربما نتكاسل عن الإجابة؛ لأن الجواب المختصر قد لا يفيد والمطول قد يرهق، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ العون والسداد.

وسبحانك اللّهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الفائدة الستون:

الإفادة بذكر بعض أسباب الاستفادة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فما من طالب علمٍ إلا وهو يرغب في سرعة الاستفادة، والوصول إلى درجة الإفادة، وهذا الأمر يتحقق بأسباب شرعية، وقدرية ينبغي للطالب أن يحرص عليها، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل أسباب للوصول إلى المطلوب.

فأول أسباب الاستفادة، التفرغ لطلب العلم:

بحيث أن الإنسان يَعطي وقته للعلم، وكما قال بعضهم: الْعِلْمُ إِذَا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ أَعْطَاكَ بَعْضَهُ، بينما الذي لا يتفرغ ربما يحصل على بعض الخير، لكن لا يصل إلى الدرجة المطلوبة التي يرغب فيها، والذي يُعين على التفرغ أن الإنسان يعلم أن طلب العلم أشرف، وأزكى، وأعظم ما حَصَّلته النفوس.

الأمر الثاني: الحرص على الطلب:

فإن الحرص على العلم، وعلى الزيادة من أسباب الاستفادة.

فعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

فَغَبَّطه النبي ﷺ لحرصه على العلم، وهكذا الحفظ.

الأمر الثالث: الحفظ:

أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ(١).

وفي «الصحيحين» عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -**» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: «**المُقَيَّرِ**» وَقَالَ: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»(٢).

الرابع: الدعاء:

فالدعاء سببٌ عظيم في تحصيل المطلوب، وفي البعد عن المرهوب، والمكروه؛ ولهذا علمَّ الله عَزَّوَجَلَّ نبيه محمد ﷺ أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

[طه:١١٤]، وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا»(١).

الخامس: الاستمرار وعدم الانقطاع:

فمن ثبت نبت، ومن سار على الدرب وصل، بينما المنقطع وإن كان قد حفظ شيئًا فربما ضاع منه وفاته، والمستمر وإن كان قليل الحفظ، إلا أنه يوشك أن يدرك من سبقه.

السادس: الإخلاص:

فإن الإخلاص له بركة عظيمة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يؤيد، ويحفظ، وينصر من أخلص له، وطَلَب العلم لأجله، فيوشك أن يستفيد ويوشك أن يفيد وأن كان علمه قليل.

السابع: المراجعة:

إذا حفظ الإنسان ودرس يحتاج إلى المراجعة، وفيما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قال: تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ بَعْضُهُ بَعْضًا(٢).

بينما إذا حفظ الإنسان ولم يراجع يوشك أن ينسى ولا يستفيد؛ فالمراجعة شأنها عظيم وهي مطلوبة شرعًا وقدرًا؛ لأن الحفظ خوان، ولأن الإنسان ما سمي بهذا الاسم إلا لأنه ينسى، والمراجعة قد تكون مع نفسه وقد تكون مع غيره، وربما تكون مع غيره أنفع.

الثامن: البعد عن الشواغل:

فإن من شغل بشيء صُرِفَ عن غيره، ويوشع بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٢٥).

(٢) «العلل ومعرفة الرجال» (٢٠).

لِقَوْمِهِ: «لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا»(١).

لأن الشواغل قد تحيل بين الإنسان وبين الوصول إلى المطلوب.

وفي المأثور عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا هممتُ بشراء بصلة ضاعت مسألة.

التاسع: ملازمة أهل العلم وعدم الانقطاع:

فإن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لازم النبي ﷺ في فترة وجيزة واستفاد، وقال عن نفسه: «وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا»(٢).

وسفيان أبن عيينة لازم عمرو بن دينار عشرين سنة، وما زال العلماء يُلزمون مشائخهم حتى تحصل لهم الفائدة المرجوة.

العاشر: الهمة العالية:

بحيث أنه لا يرضى لنفسه أن يكون في الدون ويريد أن ينصر دين الإسلام، فإنه يرى أن هذا الإسلام يحتاج إلى من يقوم به دعوة وعملًا، ويريد أن يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فلابد من الهمة العالية؛ لأن الهمة الهابطة تؤدي بصاحبها إلى المراتب الهابطة، والهمة العالية تؤدي بصاحبها إلى المنازل الرفيعة.

الحادي عشر: الكتابة:

فلابد من الإنسان أن يكتب ويُدَون ما حفظه وما علمه؛ فإن ذلك من

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

أسباب حفظ العلم، ثم هو من أسباب رسوخ العلم في الذهن، وقديمًا قيل:

العِلمُ صَيدٌ والكِتابةُ قَيدُهُ ❁❁❁ قَيِّدْ صيودكَ بالحِبَالِ الواثِقَة

فَمِن الحَماقَةِ أَنْ تَصيدَ غزالَةً ❁❁❁ وتَترُكها بَينَ الخَلائقِ طالِقة

وقال بعضهم:

كل علم ليس في القرطاس ضاع ❁❁❁ كـل سر جـاوز الاثنـين شـاع

وقد تقدم حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ.

الثاني عشر: التدريس:

فإن كل شيء ينقص بالإنفاق منه إلا العلم يزيد بكثرة الإنفاق منه.

يَزيـدُ بِكَثـرَةِ الإنفـاقِ مِنـهُ ❁❁❁ وَيـنقُصُ أَن بِـهِ كَفًّا شَـدَدتا

فالعلم كلما أنفقت منه كلما زاد ونما، وتوسعت المدارك، واحتجت إلى البحث والطلب، فقد سئل سفيان ابن عيينة: من أحوج الناس إلى العلم؟ قال: العلماء.

الثالث عشر: النهمة في طلب العلم:

بحيث يكون عند طالب العلم نهمة، كما أن صاحب الدنيا عنده نهمة ما الذي يجعله يقوم إلى عمله وإلى شغله ويجد ويجتهد مع التعب والنصب؟

لأنه عنده نهمه لذلك، وهكذا طالب العلم ينبغي أن يكون منهومًا من العلم لا يقنع يريد أن يحفظ في هذا، ويحفظ في هذا ويريد أن يُحصِلَ هذا، ويريد أن يعلم هذا، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ، مَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ،**

وَمَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْه»(١).

الرابع عشر: تقديم الأهم فالأهم:

إذا أردت أن تستفيد تأخذ الأهم فالأهم ومن حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول، ومن لم يقدم الأهم ربما لا يتحصل على الخير العظيم، والنبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**»(٢).

فهكذا أنت تعلم التوحيد، والعقيدة، وتعلم ما تستفيد منه لهذا الأمر لتصل به إلى دراسة التوحيد والعقيدة، ونشر العقيدة الصحيحة، والفقه الصحيح، كما جاء عن رسول الله ﷺ.

الخامس عشر: عدم التشعب:

كثير من طلاب العلم يلازم العالم ويحفظ ويصبر في طلب العلم وغير ذلك، ولكنه يتشعب فيريد هذا، وهذا، وهذا فلا يحصل على شيء، من أراد العلم جملة فاته جملة.

والمَثل يقول: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

فإذا كنت ستقرأ عشرة كتب ولا تستفيد منها، وتقرأ كتابًا واحدًا وتستفيد منه، فاقرأ الكتاب واحرص عليه وراجعه، وتحفظ فيه، ثم بعد ذلك تنتقل إلى غيره من الأبواب.

السادس عشر: البعد عن المعاصي:

فإن المعاصي سالبة للاستفادة. ومانعة من الاستفادة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣١٢) عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.
(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ❁❁❁ فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ❁❁❁ ونورُ الله لا يُهْدَى لِعَاصِي

نسأل الله السلامة والعافية.

السابع عشر: الأكل من الطيبات:

فإن ذلك من أسباب صفاء الذهن، ومن أسباب البركة في العمر والعلم.

الثامن عشر: الصبر:

قيل لبعضهم بما نلت العلم قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب.

التاسع عشر: تنظيم الوقت:

بحيث أن الإنسان ينظم وقته، وقتًا للحفظ، ووقتًا للمراجعة، ووقتًا للتدريس، وقتًا للنوم والأكل والشرب، فإن النفس كالراحلة! إذا اجهدتها جَهدت ولم تتحصل منها على شيء، وإذا أعطيتها حظها من أكلها، وشربها، وراحتها، وصلت.

العشرون: العمل بالعلم:

فإن العمل بالعلم يجعلك متذكرًا للأحاديث والآيات الدالة على هذه المسألة التي أنت بصددها.

الحادي والعشرون: التواضع للمدرس:

وفي أثر عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِيَتَوَاضَعَ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا

جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ(١).

فلا يُؤخذ العلم من مبتدع، ولا جاهل، وإنما يُؤخذ العلم ويطلب عند أهله.

الثاني والعشرون:

البعد عن أهل البدع وكتبهم لما في ذلك من ضياع العمر والوقت والبركة وقد قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام:٦٨].

الثالث والعشرون:

التخصص في الفنون بحيث يأخذ من كل فن حاجته حتى يفهمه وينتقل إلى غيره، وقد نبه العلماء قديمًا على أهمية التخصص في العلوم، فقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا فَاقْصِدْ لِفَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا فَخُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ(٢).

وقال أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلامٍ: مَا نَاظَرَنِي رَجُلٍ قَطُّ وَكَانَ مُفَنَّنًا فِي الْعُلُومِ إِلا غَلَبْتُهُ، وَلا نَاظَرَنِي رَجُلٌ ذُو فَنٍّ وَاحِدٍ إِلا غَلَبَنِي فِي عِلْمِهِ ذَلِكَ(٣).

الرابع والعشرون:

إدامة النظر في الكتب والمصنفات لما في ذلك من جوامع كالمراجعة وشحذ الذهن وزيادة العلم وقد قال بعضهم حين سئل: بما نلت العلم، قال: بدوام النظر.

---

(١) «الشريعه» (١/ ٤٧٤) للآجُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢٢) لابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢٣) لابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلا يخلو كتابًا من فائدة، قال أبو الفرج ابن الجوزي: فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطِّلاع على الكتب التي قد تخلَّفت مِن المصنَّفات، فليُكثِر من المطالعة؛ فإنه يرى مِن علوم القوم وعلوِّ هِمَمهم ما يشحذ خاطره ويُحرِّك عزيمتَه للجدِّ، وما يَخلو كتاب مِن فائدة(١). اهـ.

ويدخل في ذلك معرفة سيرة السلف الصالح وما كانوا عليه من العلم والعمل.

الخامس والعشرون:

وهي ملاك ما تقدم، الاستعانة بالله تعالى فإنها نعم البلغة وفي قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥].

بيان ذلك فلا قدرة على عبادة الله تعالى إلا بعونه، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»**(٢).

ولو أراد أحد أن يُفصِّلَ لزاد، لكن هذه أمهات المسائل. فإذا أردنا الوصول إلى الاستفادة في الوقت القصير فما علينا إلا الاجتهاد.

فإذا أراد أحدٌ أن يسافر فإنه يسأل أين الطريق الموصل، والأقرب، والأسهل، فهكذا العلم يحتاج إلى أن يعرف الطالب الطريق الأسهل والموصل فيفيد ويستفيد.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين.

---

(١) «صيد الخاطر» (٤٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

بهذا ننتهي مما عزمنا على جمعه، ولله الحمد والمنة، وأسأله المزيد من فضله، وأشكره على جميع نعمه ومننه.

ثم أشكر والديَّ، ومشايخي على ما قاموا به من التربية والتعليم، رحم الله أمواتهم، وحفظ أحياءهم.

وأشكر لأخي المبارك أبي عمر ماهر الجيلاني، حيث قام بتنسيق الكتاب وتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها، وأشكر من فرغها من المواد الصوتية، والحمد لله رب العالمين.

و«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

المحتويات

المقدمة.. ٣
الفائدة الأولى: النصيحة الهندية، بملازمة توحيد رب البرية.................................... ٤
الفائدة الثانية: بيان الدليل الصريح في إثبات صفة النزول لله عَزَّوَجَلَّ ١٢
الفائدة الثالثة: آداب استقبال شهر رمضان مع بيان بعض فضائل الشهر المبارك ١٧
الفائدة الرابعة: «أَيْنَ اللهُ؟» ٢٥
الفائدة الخامسة: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».................................. ٣٠
الفائدة السادسة: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ» ٣٣
الفائدة السابعة: حكم تناول الطعام أو الشراب مع أذان المؤذن للفجر ٣٥
الفائدة الثامنة: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»................................. ٣٧
الفائدة التاسعة: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»................................ ٤٠
الفائدة العاشرة: صلة الرحم ٤٤
الفائدة الحادية عشر: فضيلة الذكر قبل الدعاء ٤٨
الفائدة الثانية عشر: الأذكار.. ٥١
الفائدة الثالثة عشر: نظرة الناس إلى الجمال أو المال أو قوة البدن.............................. ٥٦
الفائدة الرابعة عشر: تصحيح الألفاظ، والتحلي بالألفاظ الشرعية ٦٢
الفائدة الخامسة عشر: الآداب الشرعية عند حصول الريح.................................... ٦٥
الفائدة السادسة عشر: أهمية مسائل الإيمان، وبيان الشرك بالله تعالى ٦٩
الفائدة السابعة عشر: صفة صلاة التراويح ٧٥
الفائدة الثامنة عشر: التفاضل في الآيات والسور القرآنية، والأسماء والصفات الإلهية ٨٠
الفائدة التاسعة عشر: رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة.. ٨٨

الفائدة العشرون: بيان بعض أهم أسباب الرزق ٩٤
الفائدة الحادية والعشرون: أهمية الصلاة ١٠٠
الفائدة الثانية والعشرون: بيان حال المؤمن، والمنافق المعرض عن وحي الله تعالى ١٠٥
الفائدة الثالثة والعشرون: الإيمان باليوم الآخر ١٠٩
الفائدة الرابعة والعشرون: الموت في الأيام أو الأماكن الفاضلة ١١٨
الفائدة الخامسة والعشرون: عقيدة أهل السنة في الجنة والنار على أنهما موجودتان الآن ١٢٤
الفائدة السادسة والعشرون: كل شيء لم يكتب له البقاء، إذا اكتمل بدأ في النقصان ١٢٨
الفائدة السابعة والعشرون: الاستعاذة من أربع ١٣٢
الفائدة الثامنة والعشرون: اللهم إني: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَشَرِّ بَصَرِي، وَشَرِّ لِسَانِي، وَشَرِّ قَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي» ١٤٠
الفائدة التاسعة والعشرون: قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ} ١٤٦
الفائدة الثلاثون: فضيلة الجلوس مع الصالحين في مجالس الذكر ١٥٠
الفائدة الحادية والثلاثون: قَالَ تَعَالَى: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} ١٥٣
الفائدة الثانية والثلاثون: قَالَ تَعَالَى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا} ١٥٧
الفائدة الثالثة والثلاثون: مختصر صفة صلاة النبي ﷺ ١٦٣
الفائدة الرابعة والثلاثون: ملازمة الطاعة حتى يأتي اليقين ١٧٤
الفائدة الخامسة والثلاثون: ترغيب الله لنا في الجنة وتزهيده لنا في النار ١٧٩
الفائدة السادسة والثلاثون: ما وعظ الإنسان بمثل نفسه ١٨٥
الفائدة السابعة والثلاثون: العبر من قصة غزوة الحديبية، وبيان الوقت المختار لصلاة التراويح ١٨٩
الفائدة الثامنة والثلاثون: بيان أماني اليهود والنصارى، وبعض دعاويهم الباطلة ١٩٦
الفائدة التاسعة والثلاثون: أهمية الإقبال على الله بالدعاء ٢٠٢
الفائدة الأربعون: الأقوال السديدة في وجوب تعلم العقيدة ٢٠٨

الفائدة الحادية والأربعون: الأسباب المعينة على الطاعات والقربات ٢١١
الفائدة الثانية والأربعون: حكم مس وتلاوة القرآن للجنب، والحائض ٢١٥
الفائدة الثالثة والأربعون: بعض فضائل وبركات اجتماعات أهل السنة ٢٢٠
الفائدة الرابعة والأربعون: ليلة القدر، ليلة مباركة ٢٢٣
الفائدة الخامسة والأربعون: صفة العمرة ٢٢٧
الفائدة السادسة والأربعون: المسارعة في الخيرات ٢٣٦
الفائدة السابعة والأربعون: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا» ... ٢٤٠
الفائدة الثامنة والأربعون: مختصر أصول أهل السنة والجماعة ٢٥٠
الفائدة التاسعة والأربعون: زكاة الفطر ٢٧٢
الفائدة الخمسون: حكم دفع الزكاة والصدقة لآل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ٢٧٧
الفائدة الحادية والخمسون: أحوال الإنسان مع الخطيئة، وطريقة علاجها........................ ٢٨٣
الفائدة الثانية والخمسون: ليلة السابع والعشرين من رمضان.................................... ٢٩٠
الفائدة الثالثة والخمسون: أحكام وسنن العيدين.. ٢٩٣
الفائدة الرابعة والخمسون: مكر الكفار، وطرقهم المتنوعة لإضلال المسلمين ٣٠٤
الفائدة الخامسة والخمسون: أذكار الدخول والخروج من المسجد............................... ٣٠٨
الفائدة السادسة والخمسون: فضيلة الخاتمة الحسنة... ٣١١
الفائدة السابعة والخمسون: التــوبة ٣١٦
الفائدة الثامنة والخمسون: عشر مقومات للدعاة إلى الله تعالى.................................. ٣٢٤
الفائدة التاسعة والخمسون: النَّصيحة بدراسة الكتب المليحة..................................... ٣٣٥
الفائدة الستون: الإفادة بذكر بعض أسباب الاستفادة... ٣٥١
المحتويات.. ٣٦١